روايات
عالمية
للفتيان

جزيرة الكنز

تأليف: روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة: نمير علي مظفر



روبرت لويس ستيفنسون

جزيرة الكنز

ترجمة

نمير عباس مظفر

جزيرة الكنز
ترجمة: نمير عباس مظفر
الطبعة الاولى ١٩٨٨

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام/دار ثقافة الاطفال
ص.ب ٨٠٤١ بغداد ـ العراق

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

جزيرة الكنز

قام باعداد النص الانكليزي المختصر

توم بارلنج

مقدمة المترجم

عزيزي القاريء الكريم

تعد الرواية التي انت مقبل على قراءتها من اشهر واروع ما كتب من روايات المغامرات التي تنطلق بك الى عالم غريب عالم السفن الشراعية الضخمة والبحار اللازوردية والقراصنة المغامرين والكنوز المدفونة في الجزر النائية المهجورة.

لقد قرأت هذه الرواية قبلك اجيال عديدة جدا - وذلك منذ اول ظهورها بصيغة كتاب قبل اكثر من مائة عام وستقرأها بعدك اجيال اكثر واكثر، اذ على الرغم من تعاقب السنين وتطور السفن والملاحة البحرية تبقى لتفاصيل السفر بالسفن الشراعية الكبيرة لذة لاتضاهيها

لذة وخاصة خوض المغامرات فيها والمفاجآت التي كانت تجابه ركابها اثناء رحلاتها .

ولعل اروع ما تمتاز به هذه الرواية هو ما لمؤلفها (روبرت لويس ستيڤنسون) من اطلاع واسع ومعرفة دقيقة بامور السفن والملاحة البحرية وهو جانب يتضح بجلاء من خلال التعابير الفنية والمصطلحات البحرية التي يستخدمها بنجاح تام في الرواية .

وقد عكس اطلاعه الواسع ومعرفته الدقيقة من خلال اطار روائي شيّق لايخفق في جلب المتعة والبهجة الى قلوب القراء الكبار في السن منهم والصغار على حد سواء .

وعلى الرغم من ان الرواية التي تجدها في متناول يدك ، ايها القاريء الكريم ، هي صيغة موجزة من الاصل إلا انها ليست صيغة مبسطة اذ ان عملية اعادة الرواية بشكلها الحالي قد اقتصرت على اختصار تلك التفاصيل التي لاتؤثر ابداً على الجانبين السردي والفني لها ، وان مقارنة النص الموجز بالنص الاصلي يوضح لنا ذلك بصورة اكيدة لامجال للشك فيها . وقد حافظت

الـــروايــة المختصــرة بشكــل خاص على نقــل التعــابيــر البحرية كافة الفنية واللغة العامية التي كان رجال الطواقم من البحارة يتكلمونها كما وردت في النص الاصلي تماما .

ولقـد حاولت جهـد الامكـان ان يكون نقلي للاجواء والاحـداث التي اراد الكـاتب وصفهـا وابرازها نقلاً اميناً يحقق للقـاريء الكـريم تذوق الجـانب الجمالي الذي اراد الكـاتب اسـاسـاً عكسه ولعل ما ساعدني على ذلك وسهل مهمتي لافهمي لاسلوب المؤلف ومعرفتي الوثيقة بعـــدد من اعمـالـه حسب بل لأني كنت قد درست هذه الرواية دراسة وافية متخصصة في مرحلة معينة من مراحل دراستي قبل الجامعية .

وحـرصـاً مني على قيـام القـاريء الشاب بالحصول على اقصى درجـــة مِن المتعـة من خلال مطـالعتـه هذه الـروايـة وتحسبـاً مني لاحتمـال وجـود الـرغبـة لديه في الالمـام ببعض التعـابيـر والمفاهيم التي وردت فيها فقد عمدت الى تزويده ببيانٍ موجز وبسيط يضم هذه التعابير والمفـاهيم كافـة وذلـك تحقيقـا لسهـولـة المراجعة كما

اضفت الى النص المترجم العديد من الهوامش لشرح بعض الجوانب او التعابير، التي قد تكون جديدة على قرائنا لاسيما اليافعين منهم، آملاً ان اكون قد وفقت في مسعاي .

المترجم : نمير عباس مظفر
بغداد
آب ـ ١٩٨٧

الفصل الأول
القرصان العجوز

اذكر جيداً ـ كأن الامر قد حدث يوم امس ـ عندما جاء البحـار العجـوز ليسكن في نزل (الاميـرال بينبـو). جاء بمشي ببطء الى باب النزل يعقبه صندوقه البحري الكبير ـ المحمول على عربة ذات عجلين ـ وقد حمل خده ندبة

سيف مال لونهــا الى الـزرقـة وتـدلت من مؤخـرة رأسـه ضفيـرتـه المقطَـرنـة (*) لتسقـط على كتف سترته الزرقاء الملوثـة وحملت يداه المخشـوشنتـان اثار جروح عديدة بينمـا بدت اظـافـر يديـه التي تكسر معظمها بدت مزرية وقـذرة. وقبـل ان يطـرق باب النزل بالهراوة التي حملها بيـده، ذهب ليلقي نظـرة فاحصـة على ارجـاء الخليـج الصّغير القريب من النزل وهو يصفر لحناً لنفسه.

وعنـدمـا ظهـر والـدي ليفتـح البـاب ويرحب بالنزيل الجـديـد، طلب الاخيـر هذا كأسـا من (الـرم) (*) واخـذ يحتسيـه ببـطء بالـغ ويتـذوق طعمـه بتريث بينما راحت عيناه تنتقلان بهدوء في ارجاء الاجرف القريبة.

---

* المقطرنة ـ اي المكسوة بالقار او القطران فقد اعتاد معظم افراد طواقم السفن التجارية البريطانية اكساء ضفائرهم الطويلة بالقطران في ذلك الوقت ـ المترجم.

* (الرم) ـ شراب كحولي يصنع من عصير قصب السكر وهو المشروب المفضل لدى رجـال البحـريـة الاوربيين لاسيمـا في القـرنين السـابع عشر والثامن عشر الميلاديين ـ المترجم

ياله من خليج ملائم قال البحار العجوز يخاطب ابي اظنك قد اخترت موقعاً ممتازا لحانتك الصغيرة هذه فهل يتردد عليك الكثير من الزبائن يارفيقي ؟

اجاب ابي بالنفي وهو يطلق الحسرات.

حسن إذن : واصل البحار كلامه انه خير مكان لي ثم التفت بعد ذلك ليخاطب الرجل الذي كان يدفع العربة ذات العجلين خلفه قائلا : هيا يارفيقي !

قم بادخال هذا الصندوق فقد قررت المكوث هنا لفترة من الزمن ثم اخذ يحتسي (الرم) وهو يحملق في ابي.

قال : «اني رجل بسيط لااطلب سوى (الرم) والبيض ولحم الخنزير ومراقبة السفن التي تأتي لترسو في هذا الخليج خذ هذا المبلغ من المال واخبرني عندما تتجاوزه مصاريفي قال هذا والقى عدداً من قطع النقود الذهبية على المائدة.

وعلى الرغم من خشونة ملبسه وفظاظة سلوكه لم يبد بحاراً اعتيادياً بل بدا شخصاً قد تعود ان يأمر فيطاع طاعة عمياء بدا ربان سفينة او وكيل ربان كما ان الرجل الذي

كان يدفـع العـربـة التي حملت الصنـدوق البحـري قد اخبـرنـا ان الـرجـل هذا كان قد وصـل على ظهـر عربـة البـريـد(*) وانـه قد اختار نزلنا ليسكن فيه بعد ان سمع انه مكان هادىء ومنعزل.

كان بحكم عادته رجلاً صامتاً وهادئاً يقضي ايامه وهو يجـوب ارجـاء الاجـرف القـريبـة وهـو يحمـل منظـرة(*) (تيليسكـويـاً) نحـاسيـاً، اما في الليالي فانه كان يفضل الجلوس قرب المـوقـد حيث يحتسي (الـرم) مع المـاء وكـان في اغلب الاحيان لايجيب عندما يخاطبه احد بل يحملق فيـه وينفـخ بانفـه الى الاسفل وسرعان ما اعتدنا تركه بمفرده وعدم التعرض له.

وكـان عنـد عودتـه من جولاته اليومية يسألنا ان كنا قد شاهدنا بحاراً يجوب ارجاء المنطقة او يمشي قرب النزل فهـو يريـد الابتعـاد عن كل بحـار على مابدا وكان بعض

---

* ـ عربة البريد ـ هي عربة خيل تحمل البريد والمسافرين بين مختلف المناطق والمدن ـ المترجم

* المنظرة يقصد به في العامية الناظور او المنظار او (الدربين)

البحـارة يقـومون احيانا بالمبيت في نزلنا ليلة واحدة وهم في طريـقـهـم الى مينـاء (بـرستـول) وفي مثـل هذه المنـاسبـات كان الـربـان هذا يتفحصهم بدقة من خلال ستارة المدخل قبل دخوله الى الصالة وجلوسه بهدوء في زاوية معتمة .

وقـد كلمني ذات يوم على انفـراد ووعـدني منحي نصف شلن في الاول من كل شهـر اذا ما قمت بتركيز انتباهي على وصول بحار ذي ساق واحدة وان علي القيام باخبـاره فوراً عنـد وصـول هذا البحـار وعلى الـرغم من قيامي بتنفيذ امره هذا إلا انه كان ينفخ بانفه الى الاسفل ويـحـمـلق فيّ ويحملني على الانصـراف بخفي حنين كلمـا توجهت اليه في الاول من كل شهر لأطالبه باجري المـوعـود ولكن لايكـاد ينقضي اسبـوع حتى يعـود اليّ ليعطيني الاجر هذا وليكرر على مسامعي مرة اخرى امره القاضي بقيامي بمراقبة مجيء الرجل ذي الساق الواحدة .

وكـان خوف الـربـان هذا معد : ففي الليالي المظلمة العـاصفـة عنـدما كانت الرياح تهز النزل والامواج تزمجر

امام الاجرف كنت احلم بالبحار ذي الساق الواحدة.

كنت اراه في مختلف الصور والاشكال وهو يعدو ويقفز محاولاً اللحاق بي عبر القنوات واسيجة الشجيرات.

وبذلك كانت هذه الكوابيس المرعبة تجعلني ادفع ثمناً باهظاً للقطعة الفضية التي كنت اتقاضاها شهرياً من الربان.

وعلى الرغم من رعبي من فكرة الرجل ذي الساق الواحدة فقد كان خوفي من الربان نفسه اقل بكثير من خوف من كان يلتقيه من الناس وكان يسرف احياناً في شرب (الرم) مع الماء الامر الذي كان يدفعه الى ترديد اغانيه البحرية الصاخبة غير آبه بمن كان حوله او بقربه من الناس وكان بالاضافة الى ذلك يعمد الى دعوة الجميع للشرب معه ويجبر جلساءه الذين كانوا يرتجفون خوفاً منه ـ على الانصات الى قصصه واغانيه وعلى الاشتراك معه في ترديد هذه الاغاني باعلى صوت واذا ما تحكم به هذا المزاج فانه كان يعمد الى ضرب المائدة براحة يده ليقطع سير الحديث الخافت الذي كان يدور

على (البار) ولينفجر بعد ذلك غاضباً وكان لايسمح لاحد بترك النزل إلا بعد ان يكون قد شرب كمية تدفعه الى الذهاب الى فراشه وهو يترنح سكرا.

وكان اكثر ما يخشاه الناس هي تلك القصص التي كان يهوى روايتها بين وقت واخر: تفاصيل مرعبة عن عمليات الشنق التي كانت تنفذ بالافراد وعن اكراه البعض (لاسيما الاسرى الذين يقعون بيد القراصنة) على الصعود الى حافة السفينة والسير عليها حتى يسقطوا في البحر، وعن العواصف البحرية المهلكة والاحداث الدامية التي كانت تدور باستمرار فوق مياه البحر الاسباني [*] وقد تبين لنا من خلال سرده تفاصيل هذه الاحداث انه كان قد زامل اخبث من طاف ارجاء البحار من الرجال واشدهم شراً واكثرهم جبروتا.

---

* البحر الاسباني هو اسم قديم للبحر الكاريبي الذي كان في الفترة التي اعقبت اكتشاف امريكا الطريق الوحيد لقوافل السفن الاسبانية الكبيرة التي كانت تنقل الكنوز التي كانت تكتشف في امريكا الى اسبانيا ولهذا السبب ايضا كثرت القرصنة على مياه هذا البحر فكانت سفن القراصنة تسرح وتمرح احيانا هناك. المترجم

وقد ارتاع روادنا القرويون البسطاء من اسلوب كلامه الخشن ولغته البذيئة بقدر ارتياعهم من تفاصيل الجرائم والاحداث الدامية التي كان يسردها عليهم. وسرعان ما شعر ابي بحتمية خراب نزلنا وكساد عيشتنا بسبب استبداد القبطان هذا: كان ابي يخشى احتمال توقف الناس عن التردد على نزلنا لما كان ينتابهم من رعشة وخوف من تصرفات هذا الربان وتفاصيل رواياته المرعبة إلا انني اعتقد ان وجوده كان في الواقع يعود علينا بالفائدة فعلى الرغم من خوف الناس من تفاصيل قصصه المروعة عندما كان يقوم بسردها إلا انني عندما استذكر احداث تلك الفترة اجد انهم كانوا يميلون الى اجواء الاثارة التي كانت تضفيها تفاصيل تلك القصص المخيفة على حياتهم القروية الرتيبة الهادئة وكان للربان في الحقيقة مجموعة من الشبان المعجبين الذين اعتقدوا انه كان من صنف الرجال الذين عملوا على توطيد اركان انجلترا وبسط سلطانها فوق امواج البحار.

وبتعاقب الايام والشهور فقد مضى وقت طويل على استنفاد الربان مبلغ الدفعة الاولى التي سددها الى ابي

لقاء وجوده في النزل وبذلك فانه كاد يتسبب في افلاسنا وخرابنا وقد عجز ابي عن استجماع الشجاعة الكافية على الاصرار بمطالبة نزيلنا هذا بدفع ما ترتب بذمته من دين، فاذا ماذكر الموضوع كان الربان يستشيط غضباً وينفخ بانفه ويحملق في ابي بشراسة بحيث يضطره الى التراجع والخروج من الغرفة من دون ان يحقق شيئاً. واني لعلى ثقة تامة ان جو القلق والرعب الذي عاشه ابي في تلك الفترة قد عجل بوفاته المبكرة.

لم يشترِ الربان هذا اية ملابس جديدة، بل كان يعمل على رتق سترته بنفسه حتى باتت مجموعة من الرقع كما انه لم يكتب ولم يتسلّم اية رسالة ابداً ولم يكلم جيراننا إلا عندما كان يسكره (الرم) ويفقده اتزانه ولم يشهد أي منا صندوقه البحري، الكبير مفتوحاً.

وقد شاءت الظروف ان يكون الدكتور (لايفزي) الشخص الوحيد الذي جابه الربان واوقفه عند حده:

كان الطبيب هذا قد جاء لزيارة ابي الذي كان يحتضر.

وبعد ان انتهى من فحص مريضه نزل الى صالة

النزل وجلس ينتظر وصول الشخص الذي ذهب ليجلب له حصـانـه وكـان التباين واضحا بين الطبيب الانيق ذي الطلعـة البهيـة والشعـر المستعـار[*] المـذرور بمسحوق ابيض وذلـك القـرصان الرث الثياب القذر المظهر الذي كان اشبـه بفـزاعـة المزارع التي تنصب لتخويف الطيور وكانت الجمرة قد اثملت الربان فدفعته الى ترديد احدى اغانيه التي كنا جميعاً قد سمعناها من قبل ولذلك لم نعر الامر اهتماماً. ولكنها كانت جديدة على مسامع الدكتور (لايقـزي) الـذي قطب جبينـه استهجاناً. وقد فعل ذلك وهو يكلم بستانياً عجوزاً عن علاج جديد لمرض التهاب المفـاصـل ويـرشـده الى سبيـل الشفاء وسرعان ما اخذ الـربـان يطرب لغنائه الامر الذي دفعه الى ضرب الطاولة بيـده طالباً من الجميع السكوت التام. وسرعان ما توقف الجميـع عن الكـلام باستثنـاء الـدكتور (لايفُزي) الذي

---

* اعتاد اصحاب الشأن ومن هم من علياء القوم في اوربا لبس الشعر المستعار فوق رؤوسهم تكملة للقيـافـة وذلـك في القـرنين السـابع عشر والثامن عشر وفي السنـوات الاولى من القـرن التاسع عشر ومايزال القضاة في بريطانيا يلبسونه في يومنا هذا في المناسبات الرسمية ـ المترجم

واصل كلامه بوضوح ولطف. وهنا استشاط الربان غضباً وبعد ان اطلق كلاماً نابياً حدج الطبيب بنظرة شريرة وصاح قائلاً:

«صمتاً في ارجاء السفينة كافة!»

«هل وجهت كلامك الي ياسيدي؟» سأل الطبيب.

اجابه الربان عن سؤاله بعبارة «نعم» بعد التفوه بعدد من عبارات الشتم النابية.

ثمة امر واحد اريد اخبارك به، قال الدكتور بهدوء، «اذا ما اصررت على الاستمرار في تناول (الرم) فسيشهد العالم قريباً نهاية وغد قذر».

كان غضب الربان مريعا: انتفض واقفاً واستل مديته البحرية وبعد ان وضعها في راحة يده اليمنى هدد بقذفها لتعمل على تثبيت الطبيب في الحائط.

لم تبدر من الطبيب اية حركة فقد واصل جلوسه بهدوء وتكلم من فوق كتفه بتلك النبرة نفسها قائلاً:

«ضع مديتك جانباً وإلاّ ستحكم بالاعدام شنقاً في الجلسة القادمة للمحكمة الدورية».

تلا هذا التهديد معركة في النظرات بين الطبيب والربان تهاوى الاخير بعدها جالساً وهو يدمدم ويتذمر

مثل كلب مهزوم .

ثم قال الطبيب : «بمـا انني قد ادركت الآن ان هنـاك شخصـاً من هذا الطـراز في منطقتي فسوف اقوم بمراقبته ليـلاً ونهـاراً اني لست طبيبـاً فقـط بل قاضيـا في الـوقت نفســه . فان قدمت لي أيّ شكــوى ضدك ، واذا ما بدر منـك اي سوء تصـرف كالذي حدث الان فساعمل على مطاردتك واصدار اشد العقاب بحقك . ولنكتف بهذا القدر» .

وماهي إلالحظات حتى جيء للطبيب بحصانه فركبه وانصـرف عن النـزل امـا الربان فقد التزم الصمت طوالَ تلك الليلة وليال عديدة اعقبتها .

الفصل الثاني
بلاك دوج



باقتـراب فصـل الشتـاء - وازديـاد حدة البرد وشدة الصقيـع - اتضـح لنـا من غير شك ، ان استمرار بقاء ابي

---

* تعني عبارة (بلاك دوج) الكلب الاسود. وقد اثرت استخدامها من غير ترجمة

على قيد الحياة حتى حلول الربيع قد بات امراً ضعيف الاحتمال:

فقد اخذ يزداد سوءاً وضعفاً يوماً بعد يوم تاركاً لي ولوالدتي مهمة الاضطلاع بادارة النزل وتدبير اموره وبذلك الهتنا مشاغلنا عن الاهتمام بامر نزيلنا البغيض ومراقبته.

وفي صباح احد ايام شهر كانون الثاني الشديدة البرد - عندما كانت الشمس ما تزال على ارتفاع واطيء من سطح البحر المتلامع - خرج الربان من النزل واخذ ينحدر ماشياً باتجاه ساحل البحر وقد وضع منظرته تحت ابطه وتدلى سيفه من جنبه واذكر جيداً في تلك المناسبة ان انفاسه كانت تقف معلقة في الهواء مثل الدخان.

كانت امي مشغولة مع ابي في الطابق العلوي من النزل بينما كنت انا منهمكاً باعداد مائدة الفطور قبل عودة الربان من نزهته الصباحية وفجأة دخل قاعة النزل رجل لم اكن قد شاهدته من قبل. كان وجهه شاحباً شحوب الشحم الحيواني الذي تصنع منه الشموع وعلى الرغم من السيف الذي تدلى من جنبه لم تبد عليه

سمات المقاتلين .

وعندما اشار الي بالاقتراب منه لاحظت ان كف يده اليسرى قد فقدت احد اصابعها(*) ولقد حيرني امر هذا الرجل كثيراً :

كانت رائحة البحر تفوح منه ومع ذلك لم يبد بحاراً ابداً . وبعد ان جلبت له كأس (الرم) التي طلبها جلس على المائدة التي كنت لتوي قد انتهيت من اعدادها .

هل اعددت هذه المائدة لرفيقي (بل)؟ سأل الرجل وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة .

اجبته باني لااعرف رفيقه (بل) وبان المائدة قد اعدت لربان بحري يسكن في نزلنا هذا .

قال : من الممكن جدا ان يدعى رفيقي (بل) رباناً . فهو رجل يحمل ندبة على خده كما تتجلى دمائة اخلاقه عندما يحتسي الخمر ـ الندبة تعلو خده الايمن . فهل يسكن رفيقي (بل) نزلكم هذا؟

---

* ملاحظة : جاء في النص الاصلي للقصة ان البحار هذا كان قد فقد اصبعين من كف يده اليسرى لا اصبعا واحدا كما ورد هنا وقد ذكرت ذلك امانة ـ المترجم

اخبرته ان الربان قد خرج يتنزه ثم اشرت الى الطريق الذي يسلكه في عودته.

حسن، قال الرجل الغريب: ساشرب هذه الكأس نخب رفيقي (بل) ولم يوحِ التعبير الذي ارتسم على وجهه بخير ابدا.

قبع خلف الباب الرئيس للنزل وهو يسترق النظر مثل قط يتصيد فريسة وما ان خرجت من النزل الى الطريق العام حتى ناداني واشار الي بالعودة وعندما لم استجب الى امره بالسرعة التي توقعها اعترى وجهه تغير مروع وقد ارعبني حينما انهال علي بالسب والشتم ولكنه سرعان ما استعاد هدوءه عندما عدت الى داخل النزل وبتملقٍ مشوب بالتهديد ضرب بلطف على كتفي واخبرني باني بمثابة ابنه وبانه قد استلطفني ثم نظر الي وقال بلهجة تهديد: «لابد ان يلتزم الفتيان بالنظام وباطاعة الاوامر فلو قدر لك الابحار مع (بل) باركه الله، لما ترددت في اطاعة اوامره لحظة واحدة. فلطالما احب النظام والدقة والطاعة وهاهو ذا رفيقي (بل) قادم فلننسحب الى داخل الصالة لكي نفاجئه عند دخوله».

ومـا ان انتهى الغـريب من كلامـه حتى دفعني خلف البـــاب ووقف الى جانبي . كنت اشعــر بالقلق الــذي سرعـان ما ضاعف حجم ما اعتـراني من الخـوف بعدما ادركت بانه كان هو الاخر خائفاً ثم استل سيفه من غمده ولكنه ظل يبتلع ريقه لكأنما هناك شيء محشور في بلعومه .

واخيـراً جاء الـربـان متهادياً . وما ان دخل حتى اغلق الباب خلفه وسار مباشرة الى مائدة الفطور .

«بـل» قال الغـريب وهو يحاول ان يبدو شجاعاً وكبيراً التفت الـربـان الى الوراء بحركة عنيفة ليحدق النظر فينا وقـد امتقـع لونـه وبدا في لحظة عجوزاً ومريضاً من شدة الخوف ـ بدا كمن يواجه الشيطان ذاته .

«مـا الامـر يا(بل)؟ انك لاشك تذكر رفيقك القديم ، أليس كذلك؟ قال الغريب :

صدر من الربان شيء يشبه الشهيق :

(بلاك دوج)! قال بلهجة تساءل .

«ومن غيـره؟» قال الغريب بسهولة اكبر، (بلاك دوج) كعهده دائما ـ جاء ليتفقد احوال رفيقه القديم (بل) يالها

من اسفار تلك التي قمنا بها سوياً ويالها من تجارب تلك التي مارسناها سوياً منذ ان فقدت ذلك المخلب قال ذلك ورفع يده المشوهة.

«لقد تعقبتني من مكان الى اخر أليس كذلك؟ قل الصدق!» قال الربان يخاطب الشخص الغريب.

«لنتكلم بصراحة يا(بل) ولكنني اريد قبل ذلك كأساً من (الرم) من يد هذا الطفل الذي اعجبت به ومن ثم نجلس ونتصارح كما ينبغي لرفاق البحر ان يفعلوا.

وعندما عدت حاملاً (الرم) وجدتهما جالسين على مائدة الربان ـ كان الغريب يجلس بانحرافٍ قرب الباب ليراقب رفيقه بعين وخط رجعته بالاخرى.

امرني الغريب بالذهاب وترك الباب مفتوحاً. «حاذر من الانصات من خلال ثقب المفتاح يابني قال (بلاك دوج) عندما خرجت من الصالة ودخلت البار.

وعلى الرغم من اجتهادي في الانصات لما كان يقال فاني لم اتمكن من سماع اي شيء باستثناء غمغمة واطئة عديمة الوضوح ولكن صوتيهما ارتفعا اخيراً فتمكنت عند ذاك من التقاط عبارة او عبارتين ومع ذلك

كان معظم ما سمعته هو عبارات الشتم التي كان الربان يوجهها الى محدثة. وسرعان ما سمعت صوت ارتطام الكراسي والطاولة على الارض اعقبه صليل سيفي الرجلين ثم صرخة ألم انطلقت في اعقاب حفيف نصل جارح. وماهي ألا لحظة واحدة حتى رأيت (بلاك دوج) ينقلب على اعقابه هارباً والدم يسيل من كتفه ـ انطلق نحو الباب والربان يسرع خلفه ثم قام الاخير هذا بتوجيه ضربة اخيرة الى عدوه: ضربة سيف ماضية كادت تشطره الى نصفين لولا ارتطامها بالقطعة التي حملت اسم النزل. والى يومنا هذا بامكانك ان ترى اثر هذه الضربة على الجزء الاسفل من اطار القطعة.

وما ان وصل الى الطريق العام حتى اطلق (بلاك دوج) ساقيه للريح على الرغم من الجرح الذي كان يعاني منه.

اتكأ الربان على اطار الباب الرئيس للنزل وبدا مثل رجل لايعرف اين يتجه من شدة الحيرة.

وبعد ان مسح عينيه براحة يده اليسرى استدار ودخل الى الصالة، وفي اثناء دخوله تعثر فتمايل ثم اعتدل في

وقفته بعد ان استند الى الحائط بإحدى يديه. وهنا لاحت منه التفاتة فوجدني انظر اليه.

- «اجلب لي قليلاً من (الرم) يا (جم)! اسرع يابني! لم يعد لدى متسع من الوقت».

هرعت الى برميل (الرم) ولكني كسرت كأساً نتيجة تخبطي ثم تناولت كأسا أخرى. وبعد لحظة سمعت صوت سقوط جاء من صالة النزل، فهرعت الى مصدره ولما وصلت كان الربان يتمدد على ارض الغرفة باسطا ذراعيه ورجليه في الوقت نفسه الذي وصلت فيه امي. وقد تعاونّا على رفع رأسه الى الاعلى كان يتنفس بصعوبة وبصوت عال وقد عكس وجهه لوناً لايبعث على الارتياح.

وكان قد اغلق فكيه بشدة بحيث تعذر عليّ سكب قطرة واحدة من (الرم) في فمه وكم كانت فرحتنا عظيمة عندما وصل النزل الدكتور (لايفزي) الذي كان يقوم بزيارة ابي المريض.

«هل يعاني من جرح؟» سألت قائلا:

- «لايعاني من جرح اكثر مما تعانيه انت!» قال

الطبيب. ان هذا الرجل يعاني من نوبة اصابته كما سبق لي تحذيره اذهبي ياسيدة (هوكنز) واهتمي بزوجك ولاتخبريه شيئاً مما حصل وسوف احاول جهدي انقاذ حياة هذا الرجل التعيس. هل تخشى الدم يا (جم)؟

- «كلا ياسيدي» اجبت قائلا.

- «إذن اذهب وجئني بطست صغير وامسكه لي ريثما اقوم بفصده».

وعندما عدت بالطست كان الطبيب قد مزق كمّ ثوب الربان فظهر ذراعه الموشم.

حمل الساعد هذه العبارات: «حالفك الحظ» و «سفرا ميمونا» و «يحصل (بلي بونز) على مايشتهي».

اما قرب الكتف فكانت هناك صورة واضحة لرجل مشنوق يتدلي من مشنقة.

نزف من الربان دم كثير قبل ان يتمكن من فتح عينيه والنظر حواليه بشيء من عدم الوضوح.

وقد اعتلى وجهه عبوس واضح بعد ان رأى الطبيب ولكنه سرعان ما شعر بالراحة عندما وجدني اقف قريباً منه.

ثم رفـع يده وقـال: «اين (بلاك دوج)؟» «لايوجد اي شخص بهـذا الاسم هنـا» قال الطبيب، باستثنـاء ذلـك الذي وشمت صورته على ظهرك «ياسيد بونز»

«ليس هذا اسمي» اجاب الربان قائلا.

ـ «هــذا امـر لايهمني ابـدا» قال الطبيب. «انـه اسم قرصان وهو يفي بالغرض بقدر تعلق الامر بك.

لقـد اصبت بنـوبـة قلبيـة من جراء الاكثـار من شرب (الـرم). اؤكـد لك بانك ميت لامحالة ان لم تتوقف فورا عن تعاطي هذا الشراب.

هيا بنا الان ـ دعنا نأخذك الى فراشك.

وبعــد مشقـة وجهـد عظيمين تمكنـا انـا والـدكتـور (لايفزي) من حمل الربان الى فراشه حيث استلقى بعد ان كاد يغمى عليه.

والان انصت جيــداً لمــا اقــول ياسيـد (بـونـز) قال الطبيب. تعـد عبـارة (الرم) مرادفة لعبارة الموت بالنسبة لك ثم جرني الى خارج الغـرفـة واضاف قائلا: عليه ان يبقى في فراشــه من دون ايــة حركـة لمـدة اسبـوع لأن اصابته بنوبة اخرى تعني نهاية حياته.

في منتصف نهـار اليـوم التالي جلبت للربان قليلاً من المـرطبـات اضـافـة الى دوائه فوجدته مستلقياً في فراشه كما وضعناه فيه ليلة الامس الا إنه بدأ اكثر ضعفاً واشد عصبية.

«(جم)!» قال لي الـربـان مخـاطبـاً انـك الشخص الـوحيـد الـذي يستحق الاهتمام به في هذا المكان انك تتسلّم نصف شلنـك كل شهـر بانتظام اني اشعر بضعف يارفيقي فاجلب لي قدحا من (الرم).

قال الطبيب. . ولكنه قاطعني قبل ان اكمل الحديث قائلا:

تبـاً للاطباء اما هذا الطبيب بالذات فانه لايعرف شيئاً ابداً عن رجال البحر ومعدنهم الحقيقي لقد زرت اقطاراً لايقـل الحـر فيهـا عما يبعثه القار من حرارة وبقيت على قيـد الحيـاة في منـاطق كان الـرجـال فيهـا يتسـاقطـون بالعشـرات بفعـل اصـابتهم بالهيضـة وقـد تمكنت من العيش على (الرم) لايام لاتعد ولاتحصى فهو اهم شيء بالنسبـة لي. هيـا يا(جم) مجرد جرعة واحدة والا اصبح رفيقـك الـربان يشبه بائساً يترك وحيدا في جزيرة مهجورة

ومـا ان انتهى حتى اخذ يسب ويلعن ويندب حظه العاثر بضعف ظاهـر، وكـانت أصـابـع يده ترتجف من شدة الانفعال ثم نظر الي وقال:

«ألا تلاحـظ ارتجاف اصابعي يا(جم)؟ كيف اتمكن من التغلب على هذه الـرعشـة من دون قطرة من (الرم)؟ ستـداهمني الكـوابيس يارفيقي! لقد شاهدت (فلنت)[*] في تلك الزاوية.. انه يلاحقني اعطيك جنيهاً ذهبياً لقاء جرعة واحدة من (الرم)!».

لااريد منك اكثر من تسوية ماانت مدين به لابي قلت له سأعطيك قدحاً واحداً لاغيره.

وعندما جئت بقدح (الرم) تناوله مني بلهفة وافرغه في جوفه دفعة واحدة.

«كم يجب علي البقاء في الفراش يا(جم)؟»

«اسبوعا في الاقل» اجبته.

«ياللهول!» صرخ ثم امسك بكتفي وضغط عليه بقوة كدت اصـرخ المـاً من جرائهـا «اسبوع! سوف يتمكنون من ارسـال (البقعـة السـوداء) في غضـون هذه الفترة ان الاوغـاد على علم الان بمكـاني انهم يطلبـون ما يملكه

غيـرهـم من شيء ولـكـنـهـم لن يتمكنـوا مني ! سوف اخدعهم مرة اخرى واضللهم مرارا وتكرارا؟

قال ذلـك وحـاول النهـوص ولكن رجليـه اخفقتـا في حمل جسمه لما اعتراهما من وهن .

«لقد قتلني هذا الطبيب» قال بصوت واطىء واستلقى مرة اخـرى بهـدوء وبعـد فتـرة من الـزمن كلمني قائـلا: «(جم)! انك رأيت ذلك الوغد أليس كذلك؟»

- «اتعني (بلاك دوج)؟»

- «انـه شريـر بكـل معنى الكلمـة ولكن هناك من هم اكثـر شرا واشـد قسـوة منـه انهم يريـدون الحصول على صنـدوقي البحـري فاذا ما تمكنـوا من تسليمي (البقعـة السـوداء) فعليـك بالاسـراع في طلب المسـاعدة عليك استـدعاء الطبيب والقاضي وكل من تتمكن استدعاءه اذ سيـداهم نزلكم كل من تبقى من طاقم (فلنت) البحـري ليحصلوا على صنـدوقي البحـري ومـا يحتويه لقد كنت مسـاعـد الـربـان (فلنت) وقـد سلمني صنـدوقه هذا في (سقـانـا) عنـدمـا كان يحتضـر. انتبـه يا(جم)! عليـك بالاسراع في طلب المساعدة اذا ما تمكن هؤلاء الاوغاد

من تسليمي (البقعة السوداء) او اذا ماعاد (بلاك دوج) او اذا جاء البحار ذو الساق الواحدة».

ولكن ماهي (البقعة السوداء) هذه؟ سألت

انهـا استدعاء بالمثول. عليك ان تراقب بيقظة وحذر تامين واعـدك باني ساقتسم معـك كل ما يعـود علينـا به صندوقي البحري من منافع.

وبعد ان تمتم في عدد من العبارات المبهمة راح يغط في سبـات عميق ولـربمـا كان من الاجـدى بي القيـام باعـلام الـدكتـور (لايفزي) حقيقة الامر في ذلك الوقت لأني خشيت من احتمال شعور الربان بالندم على ما باح به اليّ من اسـرار الامـر الـذي قد يدفعـه الى قتلي بغيـة التخلص مني ولكن ابي المسكين توفي مساء ذلك اليوم الامر الذي جعلني اقوم بتأجيل القضايا الاخرى كافة لقد انـصـب همي في العمـل على تحقيق الـراحـة لأمي والتخفييف من مصابها.

وفي صبـاح اليـوم التـالي نزل الـربـان الى الطـابق الاسفـل - لم يأكـل كثيـراً ولكنـه اخذ يشرب كميات من (الرم) تفوق كثيراً ما كان يشربه في العادة وكان يستشيط

غضباً ازاء كل محاولة لمنعه عن تناول هذا الشراب .

وكـان كلمـا ازداد ضعفـاً اصبـح مظهـره اكثـر اخـافة لاسيمـا عنـدما كان يجلس وهو يضع سيفه الصارم امامه وكـان جنـوحـه الى ترديـد اغانيه البحرية المستهجنة في بيت كان اصحابه قد اعلنوا الحداد امراً مقرفاً للغاية .

ولم نتمكن من اللجـوء الى حماية الدكتور (لايفزي) لانه كان قد ذهب للعناية بمريض يسكن في منطقة نائية وبذلك كان الاتصال به صعباً للغاية ان لم نقل مستحيلا .

وكـان اليـوم الذي تلا يوم تشييع جثمان ابي الى مثواه الاخيـر قاتمـاً بسبب الضباب الكثيف الذي غطى معالم الكون كله . وكنت اقفُ عند باب النزل وانا استذكر ابي بحـزن مريـر عنـدما لمحت شخصاً يقترب من النزل، وهو يسير ببطء كان احدب الظهر ضريراً وقد وضع على عينيه عصـابـة خضـراء اللون بينمـا راحت عصـاه تنقر الطريق امـامـه وكـان يلبس معطفـاً بحـريـاً متهـريـاً ذا قلنسوة . ولم اشهـد في حيـاتي شكلاً بشرياً اكثر بشاعة وبؤساً من هذا الذي جاء يمشي باتجاه النزل. وقف امام النزل ثم

صاح بنغمة لم تخل من غرابة: «هل لأي انسان كريم ان يتلطف ويخبر انسانا ضريرا، بائسا فقد بصره في خدمة وطنه ومليكه ـ في أي جزء من اجزاء الوطن هو في الواقع يسير الان».

فاجبته «انت تقف امام نزل (الاميرال بينيو) الواقع في منطقة خليج التل الاسود ايها الرجل الكريم»

«طرق سمعي صوت يافع اعطني يدك، ياصديقي الشاب وقد هذا البائس الضرير الى الداخل!»

مددت له يدي فتلقفها الضرير وامسك بها ثم جذبني نحوه بحركة واحدة من ذراعه ـ كانت قبضته قوية كالفولاذ ـ ثم قال لي بنبرة هادئة مقيتة:

«والآن ايها الغلام! قدني الى الربان!»

قلت له: «لااجرؤ على ذلك.»

شد على يدي وعالجها بلية مؤلمة ثم قال:

بنبرته الهادئة نفسها: «خذني اليه والا كسرت لك ذراعك».

لم اسمع في حياتي صوتاً اكثر منه بشاعة وقسوة ـ «سيدي» قلت: «ان الربان يجلس وهو يضع سيفه البتار

امامه»

ـ «هيا امشِ بدون اي تلكؤ.»

مشينا عبر الصالة الى حيث يجلس القرصان العجوز، المريض الذي افقده (الرم) وعيه واتزانه.

وقد اخبرني الرجل الاعمى ما ارادني قوله بعد ان لوى ذراعي بشدة كادت تفقدني الوعي.

«جئتك بصديق يا(بل)» ناديته قائلا.

رفع الربان عينيه الى الاعلى وسرعان ما تبخر كل اثر لكميات (الرم) التي كان قد احتساها وانتفض يحدق بوعي تام. حاول الوقوف ولكن قوته خانته.

«والان يا(بل) اجلس حيث انت» قال المتسول «فاني اتمكن من سماع حركة الاصبع وما علينا الا ان ندخل في صميم الموضوع! ايها الغلام امسك بيده اليسرى من الرسغ وقربها من يدي اليمنى.»

اطاعه كل منا فقام بدس شيء في يد الربان.

«هاقد انهيت مهمتي» قال الرجل الضرير ثم اطلق يدي. وماهي الا لحظات سريعة حتى استدار وانطلق باتجاه الباب بسرعة مذهلة ثم خرج وتوارى عن الانظار

ولم اسمـع سوى صوت عصـاه التي اخذت تنقر الطريق وبعـد ثوان معـدودات تلاشى صوت النقر. ولم نثب الى وعينـا أنـا والـربان، الابعد وقت طويل. وبعد ان رفعت يدي عن رسغه نظر الى راحة يده ثم صاح قائلا:

«السـاعـة العـاشرة! لدينا ست ساعات ما يزال امامنا وقت كاف لخـداعهم» قال ذلـك وانتصب واقفـاً، ولكنه ترنح ثم رفع يده الى عنقه وماهي إلا لحظات حتى شهق وسقط على الارض. ناديت امي وانا انحني قربه فوجدته جثـة هامـدة. بكيت بمـرارة اذ كانت هذه الحـادثة ثاني حادثـة وفـاة اشهـدها في غضون ايام معدودات.. وكان حزني على الوفاة الاولى مايزال حيا في قلبي.

الفصل الثالث
نهاية (بيوو) المتسول الضرير



اثر اطلاع والدتي على ما كان لدي من معلومات فانها سلمت بالامر الواقع واتفقت معي بالرأي حول الظرف الصعب والخطر الذي كنا نواجهه وفي الحين ذاته كنا ندرك ان نسبة من النقود التي تعود ملكيتها للربان

المتوفى كانت في الواقع من حقنا هذا ان كانت لديه اية نقود بالدرجة الاولى. وكان الامر بالنسبة لنا واضحاً جدا: لم يكن اي من الكلب الاسود او المتسول الضرير على استعداد للتنازل عن اية نسبة من الغنيمة من اجل تسديد ما كان قد ترتب بذمة الربان الراحل من ديون، وكنت انا على بينة تامة من ان لجوئي الى الدكتور (لايفزي) طلباً لمساعدته كان يعني اضطراري ترك والدتي وحدها. ولما كان بقاؤنا من دون اية محاولة منا لمعالجة هذا الوضع يعد ضرباً من الجنون فقد قررنا ـ انا وامي ـ التوجه الى القرية المجاورة طلباً للنجدة.

وقد ابهجنا جدا منظر الانوار التي انبعثت من الشبابيك المضيئة للبيوت في الغسق ولكن سرعان ما خابت امالنا: لم يرض أى من رجال القرية المجاورة العودة معنا الى نزل (الاميرال بينبو) فقد تكلموا عن القبطان (فلنت) والقراصنة، وعن اغراب شوهدوا يجوسون الطرقات وعن مركب شراعي غريب كان يرسو في مياه الخليج. الا انهم وعدوا بارسال رجل لاستدعاء الدكتور (لايفزي) كما قاموا باعطائي مسدساً محشواً

وازاء هذا التصرف غير الشجاع انبرت والدتي تزجرهم بلهجة غاضبة وهي تقول:

هكذا اذن؟ لايجرأ احدكم نجدة امرأة وابنها اليتيم ولكنني لااهاب العودة وكذلك الحال بالنسبة لولدي الغلام. سنعود الى نزلنا معاً وتبقون انتم هنا، غير مشكورين ايها الجبناء سنعود الى نزلنا ونعمل على فتح الصندوق حتى لو كلفنا ذلك حياتنا. هيا بنا يا(جيم).

وانطلقت والدتي عائدة. وكانت تسير بسرعة وجدت نفسي ازاءها مضطراً الى الركض لكي الحق بها وكان البدر قد بدأ بالظهور وقد بدأ احمر اللون من خلال الضباب. وقد آثرنا تجنب السير على الطريق العام نتيجة الاضمحلال التدريجي للضباب وبروز الليل ساطعاً كالنهار. وبعد ان وصلنا الى نزل (الاميرال بينبو) بامان دخلناه وأوصدنا الباب خلفنا واخذت باسدال الستائر باحكام لكي تغطي النوافذ كافة عندما انشغلت والدتي باشعال شمعة.

كان الربان مستلقياً على الارض حيث كنا قد تركناه، وعيناه مفتوحتان واحدى ذراعيه ممدودة بانفراج عن

جســـده بينمـا حملت راحـة يده الاخـرى الـورقـة التي حملت البقعة السوداء.

ولم تجرؤ امي على لمس الجثة ولذلك وجدت نفسي مضطرا الى الجثو على ركبتي وتفتيش جيوب الربان التي لم اجـد فيهـا سوى بعض قطـع النقـود المعـدنيـة ذات الفئـات الصغيرة وقطعة من التبغ وصندوق ثقاب ولكنني لم اجد مفتاحاً.

همست امي بصوت رقيق قائلة: «حول عنقه!»

مزقت ثوبـه من الاعلى ليظهـر المفتاح امام عيني وقد تدلى من خيـط مقطـرن مربـوط حول عنقـه وسـرعان ما انطلقنـا نصعـد درجـات السلم الى الغـرفـة العليـا التي كانت مأواه لفتـرة طويلة من الزمن والتي احتل الصندوق فيهـا حيـزاً ملحـوظـاً وكانت زوايا الصندوق هذا مهشمة نتيجـة الاستخـدام عبـر فتـرة طويلة من الزمن اما الغطاء فقـد حمـل الحـرف (ب) الذي كان قد دمغ عليه بشكل غيــر متـقن ومــا ان ادارت امي المفتــاح حتى انفتــح الصنــدوق لتنبعث منـــه رائحـة قويـة كانت مزيجـا من رائحتي التبــغ والقطــران وكــان اول شيء وقعت عليـه

انظارنا هي بدلة رجالية فاخرة قالت امي انها كانت جديدة ولم يسبق لاحد لبسها.

اما تحت البدلة فقد وجدنا قضيباً من الفضة وربعية(*) ومسدسين جميلين جدا. بالاضافة الى ذلك كان هناك عدد من قطع الحلي الرخيصة الثمن وبوصلتان مثبتتان في حاضنين من النحاس وما يقرب من خمس او ست اصداف غريبة الشكل ومن الانواع التي يجدها الانسان في جزر الهند الغربية ولعدم وجود اية قيمة تذكر لأي من هذه الاشياء التي وجدناها في الصندوق بدأت أشعر باليأس.

ثم حركت امي معطفاً بحرياً قديماً كان قد اكتسب لوناً ابيض بفعل ملح البحر، لنجد امامنا اخر محتويات الصندوق الكبير: رزمة مغلفة بمشمع وكيس من قماش القنب احتوى على قطع نقود ذهبية وكانت هذه النقود بمختلف الاحجام ومن مختلف البلدان: (دبلونات)(*)

---

* الرّبعية اوذات الربع - وهي اداة تستخدم في الفلك والملاحة لقياس الارتفاع وتتألف من قوس مقسم الى (٩٠) درجة - المترجم

* الدبلون (جمعها دبلونات) قطع نقدية ذهبية كانت تستخدم في اسبانيا

اسبـانيـة و (لويسيات) (*) ذهبية و (ثمانيات (**)) وجنيهات وقـد اخـذت امي الجنيهـات دون غيـرهـا بسبب جهلها بقيمة قطع النقود الاجنبية الاخرى.

كانت امي مشغولة بعد قطع النقود التي اخذتها عندما طرق سمعي صوت حملتـه تيـارات الهـواء البـارد وجمد على اثـره الـدم في عروقي! كان صوت نقـرات عصـا المتسـول الضـريـر على الطريق! حبسنا نفسينا كلما زاد صوت اقتـراب هذه النقـرات التي سرعان ما تركزت على باب النـزل ومـاهي إلالحظات حتى سمعنا صوت دوران مقبض الباب ورنين المزلاج.

وبعـد توقف قصيـر عاد صوت النقـرات على الطريق يطـرق سمعينـا مرة اخـرى وهو يبتعد تدريجياً هذه المرة وبعد ثوان قليلات تلاشى الصوت هذا كلياً.

التمست من امي ان ترضى بمـا حصلت عليـه. ولم

---

* * لويس (جمعها لويسيات) جنيه ذهبي فرنسي قديم

* * * ثمانية (جمعها ثمانيات) بيسو اسباني قديم يساوي (٨) ريالات تقريبا

المترجم

تكن امي تريد اكثر ولا اقل مما كان لها من حقّ . كنا ما نزال في محضر نقاش حول هذا الموضوع عندما سمعنا صوت صفير منخفض جاء من اعلى التل.

انتصبت امي واقفة وهي تقول: «سارضى بما وقع في يدي» اما انا فتناولت الرزمة المغلفة بالمشمع وسرعان ما اخـذنـا نتلمس طريقنا الى الاسفل بعد ان تركنا الشمعة قرب الصندوق الكبير.

كان قليــل من الضبــاب ما يزال يخيم فوق الــوادي الذي امتد امام النزل وقد أمن لنا حجابا تمكنا بفضله من الانسـلال والهـرب بعيدا عن ذلك الجو المرعب. وكان توقيتنـا موفقـا للغـايـة: فمـا كدنـا نبتعـد عن النزل حتى شاهـدنـا مجموعة عن الرجال وهي تنحدر من اعلى التل باتجاه النزل. وكان احدهم يحمل قنديلا بيده.

وفجأة التفتت امي وقـالـت: «خـذ النقود يابني العزيز واهرب من هنا! اظنني سأصاب بالاغماء!»

وكنـا قد وصلنـا الى قنطـرة صغيـرة عندما تهاوت امي وهي تطلق حسـرة وتمسك بي. وفي تلك اللحظة لعنت جبن جيـرانـنـا وهـذا الضعف المفاجيء الذي داهم امي

في هذا الظرف الحرج وكنت عاجزاً عن سحب امي الى اسفل المنحدر العميق لاخفيها تحت القنطرة التي لم يسمع لنا ارتفاعها الواطىء الابتعاد مسافة اطول. وهكذا كتب علينا البقاء في موضعنا: كان من السهل اكتشاف موقعنا لو شاء احدهم الاقتراب منا كما كنا في الوقت نفسه على مسمع مما كان يدور خارج النزل.

وماهي الاثواني حتى تغلب فضولي على خوفي الامر الذي دفعني الى ترك موقعي لاصعد الى أعلى المنحدر ولامشي بتأنٍ لاصل الى موضع قريب من باب النزل. وما كدت اصل هذا الموضع القريب حتى وصل اعداؤنا كان عددهم يتراوح بين سبعة الى ثمانية رجال قاد اثنان منهم المتسول الضرير الذي سرعان ما صرخ بصوت مدوّ: «حطموا الباب وادخلوا!»

تقدم ثلاثة منهم على الفور لتنفيذ هذا الايعاز وسرعان ما صاحوا بتعجب عندما اكتشفوا ان الباب كان مفتوحا:

«ادخلوا بسرعة قاتلكم الله!» صاح المتسول الضرير وهو يلعن رفاقة لتلكأهم. وقد استجاب خمسة منهم

لهـذا النـداء بينمـا بقي اثنان بصحبة المتسول وبعد فترة صمت قصيـرة اعقبتهـا صيحـة تعجب جمـاعيـة صرخ احدهم قائلا: «ان (بل) ميت! »

«فتشه! وليذهب رفاقك لجلب الصندوق!»

صاح المتسول الضرير.

اعقب الايعـاز هذا اصـوات اقـدام تصعـد درجـات السلم المؤدي الى الطـابق العلوي. وبعـد لحظـات سمعت صوت تنـاثـر زجـاج الشباك العلوي اعقبه صوت رجل يقول:

«اسمـع يا(يـو)! لقـد وجـدنـا الصندوق مفتوحاً وقد افرغت محتوياته على مايبدو».

«هل وجدتها؟» صاح الضرير بنفاد صبر.

«لااعني النقـود فليلعن الله نقـود (بـل) اقصد هل عثرت على خارطة (فلنت)؟»

- «كـلا! لااثـر لهـا ابـدا»، اجاب الرجل الذي كان يطل عن الشباك.

«لقد جرد (بل) عن كل ما احتوته جيوبه صاح الرجل الذي كان قد انتهى لتوه من تفتيش جيوب القبطان

الميت .

«لقد اخذها ذلك الصبي . كان علي ان اقلع عينيه بيدي» صاح (بيو) وهو يحرق الارم غيظا .

«كان باب النزل موصدا عندما حاولت فتحه . هيا انهبوا البيت واقلبوه رأسا على عقب ثم انطلقوا في البحث عن الصبي وامه» .

كان (ييو) في اثناء ذلك يضرب الارض بعصاه بغيظ ونفاد صبر بينما انهمك رفاقه في رمي قطع الاثاث من خلال الشبابيك وفي كسر الابواب حيثما وجدوها وبعد فترة قصيرة خرج من كان داخل النزل ليعلنوا انهم لم يعثروا على ماجاءوا من اجله . وفي اثناء انشغالهم بهذا الامر سمع من اعلى التل صوت صفيرين واطئين .

«انها اشارة من رفيقنا (درك)» قال احدهم : «علينا ان نولي ادبارنا بسرعة ايها الرفاق» .

«كفاك هراء» صاح (ييو) «ان (درك) هذا هو جبان واحمق هيا ابحثوا عن الصبي . آه! ليتني تمكنت من قلع عينيه!»

انطلق اثنان عن الرجال للبحث عن الصبي بحركة لم

تخل عن تردد اما البقية فلم يتحركوا من اماكنهم فضرب المتسول الضرير الارض بشدة بعصاه وصاح :

«ستضعون ايديكم على الاف من الجنيهات الذهبية لو تمكنتم من العثور على الصبي . ما بالكم تقفون هكذا؟ لم يواجه (بل) الجبار سوى بحار ضرير! لقد ترددتم جميعكم لابل جبنتم من مواجهته .

فهل كتب علي ان استجدي جرعة الدم هنا وهناك في وقت اتمكن في اثنائه ان اعيش عيشة النبلاء المترفين واركب العربات التي تجرها الجياد الاصيلة المطهمة؟ فلو كانت لأي منكم ذرة من الشجاعة لهرع بحثاً عن هذا الصبي اللعين ولجاء به الي لكي نأخذ منه ما نريد .

«لاتقف هنا وانت تصرخ يا (بيو) لقد حصلنا على (الدبلونات) قال احدهم بتذمر واضح . كان لهذا الكلام وقع مؤثر على (بيو) الضرير الذي سرعان ما اتنفض غيظاً واخذ يوجه ضربات عصاه على رفاقه الذين تراجعوا الى الوراء وهم يلعنونه ويتهددونه ويحاولون انتزاع العصا من يده .

وقد شاءت الاقدار ان يكون الخلاف هذا بين الاشرار سبباً في نجاتنا من هلاك كاد يكون اكيدا.

ففي الوقت الذي شُغل القراصنة في خلافهم فانهم لم يتمكنوا من سماع صوت وقع حوافر مجموعة من الخيل التي انحدرت من اعلى التل. وماهي الالحظات حتى سمعنا صوت عيار ناري انطلق الاشرار اثره مولين الادبار في شتى الاتجاهات الكل باستثناء المتسول الضرير الذي بدأ يتخبط في سيره وهويضرب الارض بعصاه ويصيح مستنجداً برفاقه: «جوني)! (بلاك دوج)! (درك)! لاتتركوا (بيو) ايها الرفاق! لاتتركوا رفيقكم!

وفي تلك اللحظة وصل عدد من الفرسان فما كان من (بيو) سوى محاولة الافلات على غير هدى الامر الذي جعله يسقط في حفرة ولكنه سرعان ما وقف على قدميه وعاد الى الطريق العام مرة اخرى وقد شاء سوء حظه وارتباكه ان يدفعاه امام حصان الفارس الاول وماهي سوى لحظات حتى كانت حوافر الحصان هذه تطأ المتسول الضرير الذي اطلق صوتا مزق سكون الليل وسقط على جانبه ثم انكفأ على وجهه بدون حراك.

انتفضت واقفا وناديت الفرسان بعد ان كانوا قد توقفوا كانـوا من رجـال الكمـارك وقد جاء وراءهم الصبي الذي كنـا قد ارسلنـاه لاستقـدام الـدكتـور (لايفزي) وكان قد التقى بهم عنـــدمـــا كانـــوا في طريقهم للاستفســارعن المركب الشراعي الغريب الذي كان يقف في الخليج .

كان (ييو) قد فارق الحياة اما امي فقد استردت وعيها وهدأ روعها وكأن شيئاً لم يحدث ابدا .

وبعـد ان رويت تفـاصيـل قصتي لرئيس المجمـوعة الضـابـط (دانس) ذهبْنـا الى النـزل لنجد ان الاشرارلم يتركوا شيئا لنا لقد حطموا كل شيء حتى معطف امي لم ينـج من جام غضبهم فقـد مزقـوُه اربـا وداسـوه تحت اقدامهم وقد بات واضحا باننا قد افلسنا نتيجة هذا الدمار امـا الضـابـط (دانس) فلم يتمكن من فهم السببَ الذي دفع الاشرار الى انزال هذا الدمار بالنزل .

«ما الذي كانوا ينشدونه بعد ان حصلوا على النقود؟» تساءل (دانس) .

«مـايحتـويـه هذا المشمـع الذي احتفظ به في جيبي اجبتـه قائـلا : «لابدلي ان اسلمه الى الدكتور (لايفزي)

بصفته قاضيا».

«انــك على حق يا(جيم)» اجـاب (دانس) و«يجب على انـا القيـام بتقـديم بلاغ رسمي الى القـاضي وذلك بخصـوص موت هذا الـرجل الاعمى فاذا اردت يا (جم) فبامكانك مرافقتي».

شكـرتـه بحـرارة لهـذه المبـادرة وبعد ان تأكدت من حصول امي على ملجأ امين في القرية ركبت خلف احد الفرسان وسرعان ما انطلقنا باتجاه بيت الدكتور (لايفزي).

الفصل الرابع
خريطة الكنز



بعـد ان وصلنـا بيت الدكتور (لايفزي) وجدناه يسبح في ظلمة دامسة فقد اخبرتنا الخادمة ان الطبيب قد ذهب لتنـاول طعـام العشـاء في قصـر الملاك (تريلوني) الذي يقـع على مسـافـة قصيرة من بيت الطبيب فانطلقنا نحو

القصـــر الـذي ما ان وصلنـاه حتى ادخلنـا الى المكتبـة الكبيـرة فيه حيث وجدنا الطبيب والسيد الملاك يجلسان قرب الموقد وهما يدخنان غليونيهما.

لم اكن قد شاهـدت المـلاك الكبير عن قرب من قبل كان رجـلاً طويـل القـامة ضخم البنية زادت كثرة اسفاره الطـويلة وجهـه السـاذج حمرة اما حاجباه السوداوان فقد اضفا عليه سمة الطبع الحاد.

«تفضل ياسيد (دانس)» قال الملاك (تريلوني).

«مسـاؤك خيـر يا(دانس)» قال الطبيب «وانت كذلـك ايها الصديق (جيم) ترى ما الذي جاء بكما الى هنا في هذه الساعة؟»

وعند سماعهما تفاصيل القصة التي رواها لهما السيد (دانس) نسي السيدان تدخين غليونيهما.

وعنـدمـا اخبرتهما كيف عادت امي الى النزل ضرب الطبيب فخـذه بيده اعجاباً وهتف السيد (تريلوني) عبارة «احسنت!» وكسـر غليونه نتيجة ارتطامه في حافة الموقد واخيرا انتهى (دانس) من سرد قصته.

«انت انسان نبيل جدا ياسيد (دانس)».

قال السيد (تريلوني) «اما دهس ذلك المتسول الضرير فهو عمل جيد للغايه اذ انه بمثابة سحق حشرة ضارة اما الصبي (هوكنز) فهو بطل في الواقع، انهض يا (هوكنز) ودق الجرس فلا بد ان يشرب السيد (دانس) كأساً من الـ «ايل)»(*).

«إذن لديك ذلك الشيء الذي يبحث عنه القراصنة» قال الدكتور (لايفزي).

ناولته الرزمة التي احتواها المشمع، فنظر اليها بفضول وبدا في اشد الرغبة في فتحها ولكنه وضعها في جيبه ثم نظر الى الاعلى وقال يخاطب السيد (تريلوني): «عندما ينتهي (دانس) من شرب مشروبه عليه الانطلاق الى حيث يتعين عليه مواصلة خدمة صاحب الجلالة.

اما (جيم هوكنز) فاريد بقاءه معنا بغية اخذه معي للمكوث في داري اما في الوقت الحاضر فإني اقترح قيامنا بأكل فطيرة اللحم الباردة.

«لقد استحق (جيم) اكثر من ذلك» قال السيد (تريلوني) وهكذا جيء لي بفطيرة حمام فكان عشائي

---

* ايل ويسمى بالعربية (المزر) وهو نوع من انواع الجعة اي البيرة. المترجم

بذلـك شهيـاً ووافيا اذ كنت جائعا جوع العقاب وبعد ان اثني على السيـد (دانس) اذن له بالانصـراف وقـد بدت الاثارة واضحة على الطبيب وعلى السيد (تريلوني).

«انـك قد سمعت عن القرصان المدعو (فلنت) على ما افترض ايها السيد اليس كذلك» سأل الطبيب.

«سمعت عنـه؟» قال السيـد (تـريلوني) بصـوت عال «اجـل لقـد سمعت عنـه الكثيـر. ان ذا اللحية(*) السوداء يعتبر طفلا بريئا اذا ما قورن بـ (فلنت) الشرير هذا الذي يعتبر اكثر القراصنة تعطشا للدماء.

كان الاسبان يخشون بأسه ويهربون منه.

وقـد شاءت الاقـدار ان ارى سفـينتـه بأم عيني في مناسبة معينة ولكن الربان الجبان الذي كان يقود السفينة التي كنت على ظهـرهـا فضـل اللجـوء الى ميناء (پورت ادف سيين)(**) خوفـا من احتمـال مواجهـة هذا القرصان

---

* ذو اللحية السوداء احد قادة القراصنة الكبار السيئي الصيت والذي تروى عن مجازره وافعاله السيئة اساطير وروايات كثيرة ومخيفة.

** پورث اوف سبين **Port Of Spain** عاصمـة جزيـرة (تـرينيـداد) و (توباجو) من جزر الهند الغربية ـ المترجم

الرهيب في عرض البحر.

«هل تعتقد ان لـ (فلنت) هذا ثروة؟» سأل الطبيب.

«ثــروة!» قال (تــريلوني) بصـوت عال. « ما الـذي يهـدف اليـه هؤلاء البغـاة غير الثروة والثراء على حساب الابرياء والمساكين لقد سرق (فلنت) ثروات عديدة».

قال الطبيب: «ما اريد ان اعرفه هو كالاتي:

لنفتـرض ان لدي في جيبي الان دليـلاً يرشـدنـا الى المكان الذي كان (فلنت) قد دفن كنزه فيه فهل تعتقد ان الكنـز هذا يحتـوى على ثروة طائلة؟ وهـل يعتبـر العثـور عليها امراً مجديا؟»

«امـراً مجـديـاً! اهذا ماتقول ياسيدي؟» صاح السيد (تريلوني) بتحمس بالغ. «اذا احتوى المشمع هذا على دليـل يرشـدنـا الى كنـز (فلنت) فاني على اتم استعـداد لتـجهيــز سفينــة كاملة تبحــر من مينـــاء (بـــرستـــول) واصطحابك انت و (هوكنز) للبحث عن الكنز مدة سنة باكملها».

«دعنـا، إذن تفتـح المشمع هذا، بعد الاستئذان من (جيم)» قال الطبيب وهو يضع المشمع على الطاولة.

كانت الرزمة قد غلفت باحكام وقد ربطت محتوياتها بخيـط قوى الامـر الـذي اضطـر الطبيب من خلالـه الى استخـدام مشـرطه الطبي لقطع الخيط هذا وبعد ان فتح المشمـع وجـد انـه يحتـوي على شيئين : كتـاب وورقة مغلقـة وقـد بدأ الطبيب بالكتـاب بينمـا وقفنـا انا والسيد (تريلوني) ننظر الى المحتوى من فوق كتفه .

غطت الصفحـة الاولى كتـابـة مخربشة بشكل يوحي بان من خطهـا لم يكن على عجـل من امـره وقد وجدت العبـارات نفسها التي كانت قد وشمت على ذراع الربان (بلي) الذي كان يسكن نزلنا اما هذه العبارات فكانت :

«بلي بونز يفعل ما يشاء» و «نفد (الرم)» و «لقد تلقاها بعيدا عن منطقة (يالم كي)» وهنا راودتني عدة اسئلة من الذي «تلقاها» ياترى؟

ومـا هذا الشيء الـذي تلقـاه؟ هل كان هذا الشيء سكيناً اغمد في ظهره؟ قد يكون ذلك على اغلب الظن!

امـا الصفحات التي تلت فقد امتلأت بتواريخ وارقام مبـالـغ نقـديـة وحسـاب بدائي ففي الثاني عشر من شهر حزيـران من عام ١٧٤٥ على سبيـل المثـال استحق

احـدهم مبلغـاً قدره خمسـة وسبعون باونا ولم يكن هناك اي شرح يبـرر سبـب الاستحقـاق هذا باستثنـاء ست علامات على شكل صليب.

ويشير السجل الى حسابات لفترة تزيد على العشرين عامـاً وهنـاك زيـادة ملحـوظـة في ارقـام المبالغ التي تم ادخـالهـا تبـاعاً وكان هناك مجموع كلي تم التوصل الى جمعـه بعـد خمس اوست محاولات خاطئة والى جانب المجموع الكلي كانت هناك عبارة تقول: «كدس (بونز)».

«لايمكنني فهم هذه الالغاز والمفردات اطلاقاً».

قال الدكتور (لايفزي).

«بل انها واضحة وضوح النهار» قال السيد (تريلوني).

«هـذا هو دفتـر حسـابـات (بلي بونـز) وتمثـل هذه العـلامـات التي هي على شكـل صليب اسمـاء المـدن التي سلبـوهـا او اسمـاء السفن التي تم اغـراقهـا. امـا المبالغ فتمثل حصة الوغد هذا. انظر الى حيث قد كتب «بعيدا عن ساحل (كراكاهو)» هنا نفهم ان سفينة ما سيئة الحـظ، قد تم مهـاجمتهـا والصعـود اليهـا في المـوقـع

المذكور ليرحم الله ارواح من كانوا على ظهرها من ركاب وافراد الطاقم.

«هذا صحيح» قال الطبيب «والمبالغ تزداد كلما تقدم في المناصب التي احتلها الوغد هذا في قيادة عصابات القراصنة».

«والان دعنا نلقِ نظرة على الورقة» قال السيد (تريلوني). كانت الورقة قد اغلقت من عدة جوانب.

وبعد ان اجتهد الطبيب في فض الاختام ببطء وترو سقطت خريطة جزيرة موضحة فيها خطوط الطول والعرض ومعلومات تخص سبر الاعماق واسماء التلال والخلجان والمداخل باختصار. . . كانت الخريطة تحوى جميع المعلومات التي من شأنها ارشاد السفن الى مراس امينة قريبة من سواحل الجزيرة وكان طول الجزيرة يبلغ تسعة اميال تقريباً اما عرضها فكان بحدود خمسة اميال.

وكان هناك مرفآن تحيط بهما الارض وتل في وسط الجزيرة كتبت جنبه عبارة «المنظار» كما كان هناك ثلاثة صلبان نقشت بالحبر الاحمر وضع اثنان منهما في الجزء

الشمـالي من الجـزيـرة بينمـا وضـع الثـالث في الجـزء الجنـوبي الغـربي منها. كما كتبت عبارة هنا موقع الجزء الاعظم من الكنز بخط انيق جدا.

وفي ظهـر الـورقـة كانت هناك معلومات اخرى كتبت بالخط الانيق نفسه:

شجرة طويلة، كتف المنظار، باتجاه نقطة تقع شمال الجهـة الشمـاليـة الشرقية (لجزيرة الجمجمة) التي تقع شرقا باتجاه جنوبي شرقي. عشر اقدام.

السبيكة الفضية في المخبأ الشمالي حيث يتم العثور عليها من خلال الطريق المؤدي الى الرابية الشرقية وعلى بعـد عشـر قامـات(*) من النهـاية الجنوبية للصخرة الوعرة التي نقش عليها شكل وجه بشري.

يمكن العثـور على الاسلحـة بسهـولـة فهي في التل الـرملي الـذي يقع شمال رأس المدخل الشمالي، ومن ثم الاتجاه شرقاً والانحراف ربع درجة نحو الشمال الشرقي.

---

* القامة هي مقياس للعمق وتعادل القامة ستة اقدام ـ المترجم

لم افهم شيئاً ابداً من هذه المعلومات إلا انها اثلجت قلبي السيد (تريلوني) والدكتور (لايقزي).

«عليك الان ترك ممارسة الطب فورا يا «لايقزي)»

قال السيد الملاك.

سأنطلق غداً الى (برستول) وفي غضون ايام معدودات سوف اكون قد جهزت احسن سفينة واخترت افضل البحارة الذين يمكن العثور عليهم في انجلترا وسيكون (هوكنز) اشهر «غلام سفينة»(*) عرفته البحرية التجارية اما انت فستكون طبيب السفينة وسأكون انا الاميرال. كما ساصطحب معي رجالي الثلاثة المخلصين وهم (ريدرووث) و(جويس) و(هنتر) آمل ان نحظى بريح مؤاتية ورحلة سريعة كما امل ان نجد الجزيرة هذه ونحصل على كميات وافية من النقود تمكننا من العيش في بحبوحة ورغد الى اخر ايامنا.

اني معك يا(تريلوني) وكذلك صديقنا (جيم) ونأمل

---

* غلام السفينة هو الشخص الذي يعمل في خدمة الربان وضباط السفينة والسهر على راحتهم من النواحي كافة ـ المترجم

ان يكون كلانا عند حسن ظنك وظن كل من سيرحل معنا على ظهر السفينة ولكن هناك ثمة رجل واحد اخشى منه على هذه المهمة .

«من هو؟» صاح الملاك بغضب «ما اسم الوغد هذا؟»

«انت!» قال الطبيب بهدوء لانك لاتستطيع السيطرة على لسانك فلسنا الوحيدين اللذين يعلمان بامر هذه الخريطة ان البحارة الذين نزلوا الى البر من ظهر مركب الصيد (اللغر) وتعرضوا الى نزل (الاميرال بينبو) هم كذلك على بينة تامة من امر الخريطة وكلهم جياع يريدون الحصول على الثروة المدفونة في الجزيرة وكلهم سيوف وسكاكين ماضية لايعرف لشرهم حد ولايقبلون باقل من الحصول على الكنز هذا وبذلك يجب ألّا يكون احدنا بمفرده منذ الان وحتى موعد الابحار سنبقى انا و(جيم) احدنا مع الاخر بينما ستقوم انت باستصحاب (جويس) و(هنتر) عند ذهابك الى (برستول) وعلى كل منا كتمان امر ماكتشفناه والالتزام بالصمت المطبق بهذا الصدد .

«انــك على حق يا(لايفــزي) قال السيــد (تــريلوني)
«ساصمت صمت القبور!»

الفصل الخامس
طباخ السفينة



استغرق السيد (تريلوني) في مهمة تجهيز السفينة وطاقمها وقتاً اطول مما كان يتصور وقد تعذر علينا تنفيذ اية من خططنا الاولية فقد اضطر الدكتور (لايفزي) السفر الى لندن بغية العثور على طبيب يقوم بالعمل نيابه عنه

في اثناء غيابه بينما بقيت انا برعاية (ريدرووث) حارس الطـرائـد[*] الـذي يعمل في المقاطعة التي يملكها السيد (تريلوني) وفي اثناء فترة الانتظار هذه كانت خريطة الكنز تراود مخيلتي ساعـة بعـد ساعة وكنت احلم باقترابي من الجزيرة من شتى الجهات وبتسلقي تل (المنظار) مرات ومـرات وبخـوضي قتـالاً داميا مع اوباش شديدي البأس ووحوش كاسرة.

ومع ذلك لم ارَ في اكثر احلامي غرابة ورعباً ما يمكن مقـارنته بالمغـمرات المأساوية الشديدة الرهبة التي كتب لنا خوضها في الواقع.

ومـرت الاسابيع وتعاقبت الايام. . وذات يوم وصلت رسـالـة معنـونه الى الدكتور (لايفزي) وقد حمل الظرف الـذي احتـواهـا الملاحظة التالية: تفتح الرسالة من قبل السيـد (تـوم ريـدرووث) و (جيم هوكنز) في حالة غياب الـدكتـور (لايفزي) ولما كان (توم ريدرووث) قارئاً افتقر

---

* هي وظيفـة معـروفـة في الاريـاف الاوربيـة لاسيمـا الريف البريطاني ويقوم صاحبهـا بمنـع المتطفلين من صيـد الطيـور بانواعها في مزرعة اومقاطعة ريفية كبيرة يملكها نبيل ارستقراطي او سيد ملاك - المترجم

الى الجــودة في القــراءة والفهم الصحيــح للعبــارات الفصيحــة فقــد قمت بفتـح الـرسـالـة بحضـور رفيقي (ريدرووث) وقرأت مايلي :

نزل المرساة القديمة

ميناء برستول

الاول من اذار

عزيزي لايفزي :

بالنظر لعدم معرفتي محل اقامتك في الوقت الحاضر اي فيما اذا كنت في القصر ام في لندن، فقد كتبت هذه الرسالة بنسختين وارسلت نسخة الى كل من المكانين.

لقـد تم لي شراء السفينـة وتجهيـزها وهاهي ذي ترسو الان في المـرفأ على اتم استعـداد للابحـار وانهـا تدعى (هسيـانيـولا) وهي سفينة متوسطة الحجم جميلة الشكل وبسعــة مائتي طن. وقــد تمكنت من الحصـول عليهـا بوسـاطـة صديق لي ـ هو السيد (بلاندلي) الذي ثبت انه رجــل اعــمــال ومــديــر امــور من الــبــاب الاول.

وقـد كرس نفسه لمساعدتي والسهر على راحتي وتلبية ما اريـد شأنـه في ذلـك شأن جميـع المعنيين في مثل هذه الامـور في مينـاء (برستول) عندما علموا اننا سنبحر بحثاً عن كنز.

وهنـا وضعت الـرسـالـة جانبـاً وقلت مخـاطبـاً (ريـدرووث): لقد كشف السيد (تريلاوني) سرنا وسوف لايرتاح الطبيب عند سماعه هذا الخبر.

«ومن له حق اكثر في الكلام؟» دمدم حارس الطرائد لم انبس بكلمة واحدة حول الموضوع بعد هذا الجواب بل واصلت قراءتي:

وقـد قام (بـلانـدلي) شخصيـاً بالعثـور على السفينة (هسيـانيـولا) واشتـراهـا نيابة عني بسعر اعتبرت بموجبه صفقة رابحة. وعلى الرغم من قيام البعض باخباري ان شراءهـا قد تم في الـواقـع بسعر باهظ الا ان أياً منهم لم يتمكن في الو'ت ذاته من انكار خواصها ومزاياها الرائعة وبـالنظـر لرفض ، في باديء الامـر استخدام افراد الطاقم من ب. الفـ نسـ ن او القـراصنة اوسكان البحر الكاريبي الاصليين، فقـد واجهت صعـوبة ملحوظة في الحصول

على طاقم جيد إلا ان الاقدار شاءت ان تضع في طريقي الرجل الذي كتب له ان يمد لنا يد العون انه بحار متمرس عرف البحر وخبره وصاحب حانة في الوقت الحاضر الامر الذي مكنه من معرفة الكوادر البحرية الموجودة في ميناء (برستول) كافة على اختلاف درجاتها واختصاتها.

وقد تدهورت صحته مؤخراً نتيجة ابتعاده عن ركوب البحار فاراد العمل بصفة طباخ على ظهر سفينة مثل الـ (هسيانيولا) وقد جاء يعرج صباح ذلك اليوم ليلقي نظرة على البحر وليشم رائحة ما به من ملح ولقد عينته على الفور ـ انه يدعى (جون سلفر) وهو طويل القامة وكان قد فقد إحدى رجليه. وقد اعتبرت عجزه هذا شهادة لما يتمتع به من شجاعة واقدام اذ ان اصابته قد تمت من جراء خدمته بامرة الاميرال (هوك).

ومن خلال ما ابداه (سلفر) من جهود مضنية تمكنا من توظيف اشد البحارة المتمرسين بأساً واكثرهم خبرة ومعرفة بامور السفن والبحار.

وقد لانتمكن من وصف معظمهم بلطافة المظهر

والـوسـامـة إلا ان حركـاتهم وتصـرفـاتهم توحي بوضوح مايتمتعون به من قوة العزيمة وشدة البأس.

وبـذلـك استطيـع القـول بكـل ثقـة باني اتمكن من خلالهم من مهاجمة فرقاطة واسرها بكل بساطة.

وقـد انهى (جـون) الطويل خدمات اثنين من البحارة السبعـة الـذين سبق لي تعينيهم بعـد ان بين لي بوضوح انهمـا قليـلا الخبرة ويفتقران الى الاقدام وحب المغامرة اللذين يدفعـان المـرء الى ركـوب الاخطار والسعي وراء المغامرات من غير تردد او تهيب.

انـنـا جاهـزون وعلى اهبة الاستعداد للبدء في رحلتنا والان يا (لايڤـزي) عليـك التوجه اليّ فورا ولا تحاول ان تخسـر ساعـة واحدة ان كنت تحترمني وعليك في الحين ذاتـه السمـاح للصبي (هـوكنـز) بالـذهـاب بصحبـة (ريدرووث) لزيارة امه شريطة ان لايمكث معها ألاّ ليلة واحدة.

المخلص

جون تريلوني

حاشيـة ـ تمكن (بلاندلي) ان يجد لي رباناً ماهراً هو القبطـان (سمـوليت) الـذي يؤسفني ان اخبرك بانه رجل جاف وقليل المجاملة كما تمكن (جون) الطويل ان يجد لنا مساعد ربان كفوءاً جدا اسمه (ارو).

وقـد نسيت اخبـارك ايضـا ان لـ (سلفـر) رصيـدا في المصرف وانه لم يسبق له استنفاد الرصيد هذا.

وقد ترك ادارة حانته لزوجته الزنجية وعلى اغلب الظن فان الـدافـع الـذي يحثه الى ركوب المخاطر انما يكمن في رغبته في الابتعاد عن زوجته بقدر لهفته الى استرداد عافيته.

ج. ت

لابد لي ان اقول بان الرسالة هذه قد اثارتني جدا. اما (تـوم ريـدرووث) فقد اكتفى بالتذمر بكلام مبهم. وكان أيّ من مسـاعـديـه على استعـداد تام للذهـاب بدلاً منه بمجـرد اشـارة بسيطـة منه اما بالنسبة له فلم تكن لرحلتنا اي طعم لديه.

وفي صباح اليوم التالي وجدت امي في نزل (الاميرال بينبو) وهي في اتم صحة وعافية وكان السيد (تريلوني) قد امر بتصليح النزل واعادة كل شيء الى سابق عهده كما امر باعادة صبغ الغرف واللوحة التي حملت اسم النزل بالاضافة الى ذلك فانه زود النزل بقطع الاثاث وعلى رأسها كرسي هزاز لامي حيث وضعته في البار. واخيراً وليس اخراً فانه قد وجد لها صبياً يقوم بمساعدتها والخدمة في النزل في اثناء غيابي في المهمة التي كنا على وشك القيام بها.

وبعد ان مكثنا ليلة واحدة في النزل ودعت امي في اليوم التالي وقد ركبنا عربة البريد عند الغروب خارج نزل (الملك جورج) المطل على الغابة.

وقد نمت معظم الرحلة التي قطعناها ولم أصحُ إلا عندما كان (ريدرووث) يقوم بوكزي بمرفقه بين محطة واخرى وعندما وكزني للمرة الاخيرة وجدت نفسي خارج مبنى كبير في شارع من شوارع مدينة ما وكان الوقت صباحا.

«اين نحن؟» سألت وانا اتثاءب.

«في (برستول)! هيا انزل من العربة» اجاب (توم).

وفي اثناء مسيرنا للوصول الى النزل الذي كان السيد (تريلاوني) يسكن فيه فقد مررنا بعدد كبير من السفن - على اختلاف انواعها واحجامها - وكان عدد منها يرفع اعلاما اجنبية دلالة على انها ليست من اساطيل البحرية البريطانية العسكرية منها والتجارية.

وقد لاحظت عدداً من الرجال وهم منهمكون بمختلف الاعمال على ظهور هذه السفن وكان عدد منهم قد تسلق صواريها الشاهقة بينما شُغل عدد اخر في الرواح والمجيء بين الاشرعة والحبال الغليظة وكانت رائحة الملح والقطران منعشة جدا كما شاهدت تماثيل جميلة في مقدمة عدد من السفن ورأيت الكثيرين من هؤلاء البحارة العاملين كانوا يضعون الاقراط في اذانهم بينما تجعدت شعور لحاياهم لتشكل جدائل صغيرة وتدلت من مؤخرة رؤوسهم ضفائر مقطرنة تمرح فوق اكتافهم بفعل حركتهم وقد بدالي اني لم اشاهد البحر ابدا حتى هذه المناسبة وقد سرني ذلك المنظر واثلج صدري اكثر مما لو كنت اراقب مسيرة تضم ملوكاً

واساقفة يلبسون ابهى الحلل.

وفجأة وجـدنـا نفسينـا امـام نزل ضخم وقف السيـد (تـريلوني) عنـد مدخله وقـد لبس لبـاس ضابط البحرية التجارية الازرق اللون.

«هـاقـد وصلتمـا إذن! مرحبا!» صاح السيد الملاك، ثم واصل كلامه قائلا: «لقد وصل الدكتور (لايفزي) من لندن مساء يوم امس ياله من توقيت رائع».

«متى سنبحر؟» سألت.

«نبحر. . !» قال: «غدا عند المد».

الفصل السادس
بارود واسلحة



بعـد ان انتهينـا من تناول وجبة الفطور اعطاني السيد (تـريلوني) رسـالة وطلب مني تسليمها الى (جون سلڤر) الـذي كان بامكـاني مقـابلتـه في حانـه تدعى (المنظار) وبعد مسيرة قصيرة ـ اخترقت خلالها مجاميع مختلفة من

الناس وشاهدت انواعاً عديدة من العربات والاحمال ـ وجدت المكان المنشود من دون اية صعوبة ابدا .

كانت الحانة تتلامع بفعل الطلاء الجديد الذي دهنت به ابوابها وجدرانها وقد غطت النوافذ من الداخل ستائر حمر اللون انيقة المظهر بينما فرشت الارض بطبقة من الرمل النظيف وكانت صالة الحانه . . عبارة عن غرفة طويلة ذات سقف واطىء ولها باب في كل من نهايتيها وكان اغلب الزبائن من رجال البحر وقد جلسوا يشربون ويتكلمون بصوت عال وسط سحب كثيفة من الدخان الذي انبعث من لفاقات التبغ والغلايين وكان صوت الحديث عاليا جدا بحيث جعلني اكاد اخاف الدخول .

وبينما كنت اقف متردداً لاحظت خروج رجل من غرفة جانبية وسرعان ماراودني شعور اكيد انه (جون سلڤر) بعينه كانت رجله اليسرى مقطوعة من منطقة قريبة من الورك وقد حمل تحت ذراعه الايسر عكازاً وكان يدرج هنا وهناك بخفة الطير ونشاطه كان طويل القامة مفتول العضل قوي البنية وكان وجهه العريض الكبير ذا ملامح بسيطة واعتيادية ولكنه صبوح وذكي وقد اذهلتني

سرعـة حركتـه كمـا ادهشني توازنه التام وهويعرج بمرح بين المـوائـد ليطلق العبـارات المـرحة وليمر بيده بلطف على ظهور زبائنه المفضلين .

منـذ ان ذكـر اسم (جـون) الطـويـل للمرة الاولى في رسـالـة السيـد (تـريلوني) خشيت ان يكون هو البحار ذا الـرجـل الـواحـدة الذي كان الربان (بونز) قد طلب مني ترقب مجيئـه اي الشخص الـذي كان يخشاه ولكن نظرة واحــدة كانت كفيلة بان تزيــل هذا الشـك مني لم يكن هنـاك اي وجـه للشبـه بين (جون سلڤر) الطويل والربان (بونز) او (بلاك دوج) او (بيوو) الاعمى .

لملمت اطـراف شجاعتي ومشيت الى (سلڤر) الذي مال على عكـازه يكلم احـد الـزبـائن ووقفت قربـه وانـا احمـل الـرسـالـة بيـدي ثم سألته قائلا : هل انت السيد (سلڤر) ياسيدي؟

ـ انــه اسمي يابني ومن تكـون انت؟ ثم رأى رسـالـة السيـد (تـريلوني) بيدي فتباغت ثم قال بصوت جهوري وهـو يمـد يده لي : «آه! لابد انك غلام سفينتنا الجديد . مرحبا بك . اني مسرور بلقائك» .

وفي تلك اللحظة نهض احد الزبائن فجأة وتوجه نحو باب الحانة. وما هي الا لحظات حتى خرج متوارياً عن الانظـار ولكنـه لم يتمكن من الافـلات قبـل تمكني من التعـرف عليـه ـ كان الـرجـل ذا الوجه الممتقع اللون وذا الاصبـع المفقـود الـذي كان قد تشاجر مع الربان (بونز) في نزل (الاميرال بينبو).

«أوقفوه!» ناديت صائحا. «انه (بلاك دوج)».

«لا يهمني ابدا من يكون» زمجر (سلفر) غاضبا، «انه لم يدفع حسابه. اسرع يا (هاري) وامسك به!»

وما ان انتهى (سلفر) من ايعازه هذا حتى انطلق رجل كان يجلس قرب الباب محاولا اللحاق بـ (بلاك دوج).

«سأرغمه على دفع حسابه حتى لو كان الوغد هذا هو الاميـرال (هـوك) نفسـه» قال (جـون سلفر) «ما هو اسمه ايها الصبي؟ (بلاك) ماذا؟»

«(بـلاك دوج) ياسيـدي» اجبت. «الـم يخبرك السيد (تريلوني) ان هذا الشخص كان واحداً من القراصنة؟»

«قـرصـان في حانتي؟» صاح (سلفـر بنبـرة تعجب» اسـرع يا (بين) وسـاعـد (هـاري) في العثـور على هذا

الوغد وجلبه ألم تكن جالساً معه يا (مورجان)؟ تعال هنا فورا!»

تقـدم (مـورجان) وقد بدا عليه الخجل والارتباك كان بحـاراً كبيـر السن، اشيب الشعـر وذا وجـه ما هوغني (*) اللون تقدم وهو يمضغ قطعة من التبغ.

«والان يا(مـورجـان)» قال (سلڤر) بوجه متجهم ونبرة حادة لم يسبق لك مشاهدة هذا الشخص من قبل؟ أليس كذلك؟

«كلا ياسيدي» قال (مورجان) وهو يؤدي التحية.

- «ولم تعرف اسمه ابدا اليس كذلك؟»

- «كلا ياسيدي»

اعلم يا(تـوم مورجـان ان جهلك بهـذه الامور قد عاد عليـك بالفـائـدة اني احرم عليك الدخول الى حانتي ان كنت تصـاحب اشـرارا مثـل هذا الشخص ما الـذي كان يقوله لك؟»

---

* المـا هوغني - نوع من الخشب الفـاخـر الذي تصنع منه قطع الاثاث الجيدة ويكون لونه بنيا ضاربا الى الحمرة - المترجم

ـ «كنا نتحدث عن جر الاشخاص تحت «رافدة القص»(*)
اجاب (مورجان).

«جـر الاشخـاص تحت رافـدة القص إذن؟ يالـه من موضوع شيق! عد الى مكانك ايها الابله!»
التفت (سلفر) نحوي وهمس قائلا:
«ان مورجان رجل مخلص وامين ولكنه غبي جدا؟»
ثم رفـع صوتـه عاليـاً ليقـول: «اذكر جيدا الان: لقد شاهـدت هذا الصعلوك المـدعـو (بـلاك دوج) قبل هذه المناسبة اظنه كان يتردد على الحانة بصحبة متسول ضرير».
ـ «اني اعرف المتسول هذا. كان اسمه (بيوو)» قلت.

* جر الاشخاص تحت رافدة القص رافدة = القص هي العارضة الرئيسة، التي قد تكون من الخشب او الحديد الفولاذ التي تمتد على طول قعر السفينة اما جر الاشخـاص تحتهـا فكـان صيغة من صيغ العقاب حيث كان يربط الرجل بحبل ويـرمى الى البحـر من جهـة ما من جهتي السفينة ثم يصار بعد ذلك الى سحب الحبـل وجـر الرجل المربوط به من تحت هذه العارضة عدة مرات حتى يمتلىء جسمه بالجروح والكدمات وقد ينتهي احيانا بالموت ـ المترجم

- «(بيوو)! اجل هذا اسمه بلا ادنى شك»

صاح (سلڤر) قائلا . كان مظهره كالكوسج لابد لـ (بين) ان يتمكن من اللحاق بـ (بلاك دوج) وجلبه الينا . لايوجد من يركض اسرع من (بين) هكذا إذن!

كان يتكلم عن جر الاشخاص تحت رافدة القص! سأجره انا شخصيا تحت رافدة القص وانزل به ما يستحق من عقاب وعذاب .

كان (سلڤر) يتحرك هنا وهناك بعصبية في اثناء كلامه ويضرب الموائد بقبضته وقد ايقنت من خلال تصرفه هذا وردود افعاله انه لا يعرف اي شيء عن القرصنة والقراصنة وقد ازداد يقيني هذا رسوخا عندما انبرى يكيل اللعنات والشتائم للشخصين اللذين كان قد ارسلهما لتعقب (بلاك دوج) وجلبه واللذين اخفقا في القيام بذلك

«اعلم يابني (هوكنز)» قال (جون سلڤر) ان ما حدث هو امر صعب بالنسبة لرجل مثلي ، الا تؤيدني في ذلك؟ ما الذي سيظنه السيد (تريلوني) لوطرق سمعه ما دار هنا اليوم من احداث؟ ماذا سيكون رأيه عني عندما يعلم ان

ابن الهولندي هذا كان يشرب الخمر في حانتي؟

ماعساي ان افعل وانا تحت رحمة هذا العكاز ولايمكنني مطاردة مثل هؤلاء الاوغاد كما ينبغي لذلك؟ عليك فهم موقفي يا(هوكنز) وعليك ان تكون منصفاً عندما تكلم السيد (تريلوني) وتخبره عما حدث انك صبي ذكي وواع على الرغم من حداثة سنك لوحدث مثل هذا الشيء في الايام التي لم اكن فيها معوقا كما تراني الان لما استطاع هذا الوغد الافلات من قبضتي ولعدت به مخفورا وصاغرا في لمح البصر اما الان. . وفجأة فغرفاه كما لو كان قد تذكر امرا ثم صاح قائلا: الحساب! ان الوغد هذا مدين لي بثمن ثلاث كؤوس من (الرم) لن انسى ذلك ابدا!

ثم تهاوى على المقعد وضحك ملء شدقيه حتى سالت الدموع من عينيه وجرت على خديه.

وقد اخذني الضحك انا الاخر وماهي إلا لحظات حتى اخذت الحانة كلها تعج بالضحك وقد عاد اليها جو المرح الذي كان سائدا قبل اكتشافي (بلاك دوج).

«يالي من ابله» قال (جون سلفر) وهويمسح الدموع

من خديه ويجفف عينيه سننعم برفقتنا يا(هوكنز) . ولكن على القيام بمهمة مستعجلة الان . انتظرني ريثما اجلب قبعتي لأرافقك الى السيد (تريلوني) ولاقص عليه مادار اليوم هنا انه امر في غاية الخطورة والاهمية .

وفي اثناء سيرنا بمحاذاة الارصفة كان يخبرني عن انواع السفن التي كنا نمر من امامها وعن حمولتها وعن شكل وعدد وترتيب الاشرعة والصواري في كل منها وعن جنسياتها وقد روي لي عدداً من القصص ولقنني العديد من العبارات والمصطلحات الفنية والبحرية وكان يرددها علي مراراً وتكراراً حتى اتمكن من حفظها عن ظهر قلبي .

وعندما وصلنا النزل وجدنا الطبيب والملاك جالسين يحتسيان الـ (أيل) قبل ذهابهما الى ظهر (السكونة)(*) في زيارة تفقدية . وقد قام (جون) الطويل بسرد احداث ماحصل بكل دقة وامانة .

«هذا ما حدث بالضبط أليس كذلك يا (هوكنز)؟»

هذا ما كان يردده في اثناء كلامه مما اضطرني الى تأييده

---

* السكونة **Schooner** هو مركب شراعي ذو صاريين او اكثر ـ المترجم

على طول الخط.

ولقد اعرب الطبيب والملاك عن اسفهما لهروب (بلاك دوج) الا انهما اتفقا في الحين ذاته بانه موقف لايمكن معالجته وبذلك اخذ (سلقر) عكازه وانصرف.

على افراد الطاقم كافة ان يكونوا على ظهر السفينة قبل الساعة الرابعة من عصر هذا اليوم صاح السيد (تريلوني) خلفه.

«امرك ياسيدي» اجاب (سلقر)

«في الواقع ايها السيد اني اجد (سلقر) شخصا ملائما واختيارا موفقا قال الدكتور (لايفزي).

«انه الشخص المثالي» اجاب (تريلوني) ثم التفت نحوي قائلا: سأذهب مع الطبيب الى السفينة (هيسيانيولا) يا (جيم) خذ قبعتك وتعال معنا.

كانت الـ (هسيانيولا) ترسوفي مكان بعيد من المرفأ ولكي نصل اليها كان علينا المرور بسفن عديدة كنا اما ان نمر فوق حبالها السلكية التي كانت تربطها بمراسيها او نمر من تحت هذه الحبال. واخيرا وصلنا الى سفيتنا التي تقدم ضابطها الاول السيد (ارو) يحيينا عند صعودنا

الى ظهرها وكان (ارو) هذا بحارا متمرسا ذا بشرة سمراء وله حول في عينيه وكان يضع قرطا في اذنه وقد لاحظت ان علاقـة (ارو) بالسيـد (تـريلوني) كانت وثيقة وحميمة جدا ولكن الامـر لم يكن كذلـك بين السيـد الملاك هذا والربان (سموليث) قائد السفينة، الذي بدأ انساناً صارماً وغـاضبـا من كل انسـان وكـل شيء على ظهـر السفينـة (هسيانيولا) وكنت بصحبة الطبيب والسيد (تريلوني) في القمـرة الـرئيسـة عنـدما جاء الربان (سموليت) لزيارتنا. وبعد ان دخل القمرة اغلق الباب خلفه.

قال (تريلوني): «امل ان يكون كل شيء على مايرام واننـا على اهبـة الاستعداد للقيام برحلتنا ياحضرة الربان اليس كذلك؟»

«لابـد لي من التحـدث معكم بصـراحـة تامـة، نظراً لاهميـة الامر وخطورته على الرغم من احتمال خروج ما اريـد قولـه عن حدود اللبـاقـة فاعلمـوا ياسادتي اني غير مرتـاح لهـذه الرحلة ولا لأفراد طاقم السفينة بما في ذلك مساعدي السيد (ارو).

«قـد لاتعجبك هذه السفينة ايضا أليس كذلك؟ سأل

السيد (تريلوني) بغضب.

«لايمكنني الجزم في هذا الامر الان لاني لم اجرب السفينة بعد وان بدت على احسن ما يرام».

وهنا قاطع الدكتور (لايفزي) سير هذه المحادثة قائلا: «هل يمكن للربان افادتنا عن سبب عدم ارتياحه من رحلتنا هذه؟»

لقد تم استخدامي لقيادة هذه السفينة الى حيث ما يأمر السيد (تريلوني) وبموجب ما يسمى في لغة البحرية (اوامر مغلقة) ولكنني تفاجأت عندما وجدت ان افراد الطاقم كافة يعرفون عن امر هذه الرحلة والوجهة المقصودة اكثر مما اعرفه انا فهل تعتبرون ذلك امراً لائقاً؟

«كلا!» اجاب الدكتور (لايفزي).

«ثم اني سمعت من رجالي اننا نسعى وراء كنز ـ اكرر باني قد سمعت ذلك من رجالي لامنكم.

ان رحلات البحث عن الكنوز لاتخلو من مخاطر وعواقب وخيمة لابد ان تكونوا على بينة تامة منها لاسيما عندما يصبح الامر حتى على لسان الببغاء»

«اتعني ببغاء (جون سلفر)؟ «سأل الملاك بتعجب واضح .

اقـول ذلـك ان جاز التعبيـر لقـد كثـر الكلام عن هذا الجانب ولا اظنكم مدركين ما يترتب على ذلك من نتائج لاتحمـد عقبـاهـا فالرحلة هذه قد تعني الحياة او الموت لكثير ممن هم على ظهر هذه السفينة .

ـ «هـذه هي حقيقـة الامـر لاشـك في ذلك واننا لسنا بغـافلين عنهـا كمـا قد تظن ثم انـك عبـرت عن عدم ارتيـاحـك من طاقم السفينـة . فهـل تجدهم بحارة دون المستوى اللائق؟»

ـ «كنت اود اختيـار الكـوادر بنفسي قد يكـون السيـد (ارو) بحـاراً جيـدا إلا ان علاقتـه الحميمة بمن هم دونه رتبـة تخـرج عن حدود المألـوف لاسيمـا عنـدمـا نجـده يجلس ويتنـاول المشـروبـات مع رجـاله . فعلى مساعد الـربـان ان يرتفع عن مستوى هذه الممارسات التي لابد ان يكون لها في النهاية تأثير سيء على الضبط والنظام . »

«لربما كان من الاجدى بالسيد (تريلوني) اخذ رأيك

قبل القيام بتعيين افراد الطاقم ومع ذلك دعني أوكد لك ان ماتم لايشكل باي حال من الاحوال استهانة بك او بمقدرتك».

«حسن. هل انتم مصرون على المضي في هذه الرحلة؟» سأل الربان (سموليث).

«اصراراً اكيدا لارجوع منه ابدا». اجاب السيد (تريلوني)

«إذن هناك ما اريد اضافته الى ماقلته لكم.

يتم الان تحميل السلاح والبارود في العنبر الامامي. كما اقترح ان توضع هذه المواد تحت قمرة القيادة اولاً. وثانيا، اقترح ان تخصص لرجالكم اماكن نوم قرب قمرة القيادة لكي تكونوا قريبين من بعضكم.

«هل هناك ما تريد اضافته لذلك؟» سأل (تريلوني)

-«اجل هناك ثمة أمر اخر» اجاب الربان «لقد كثرت الثرثرة - ولابد من وضع حد لمثل هذه الحال».

«اجل - ثرثرة زادت عن حدها» اضاف الطبيب مؤيدا كلام الربان.

«ساخبركم ما سمعته شخصياً» واصل الربان

(سمـوليث) كلامـه «سمعت ان لديكم خريطـة لجـزيرة يوجد فيها كنز وقد اشر موضع هذا الكنز على الخريطة».

بعـد ذلك اخبرنا الربان عن الموقع الحقيقي للجزيرة كما لو كان شخصياً قد اطلع على الخريطة بدقة تامة.

«لم اخبـر احـدا بهـذه المعلومـات ابـدا» صاح السيـد (تريلوني) معترضا.

«ان افـراد الطـاقم يعـرفون هذه المعلومات حق المعرفة ياسيدي» اجاب الربان.

وقـد لاحظت عدم التفـات اي من الطبيب او الـربان الى ماقـالـه السيـد المـلاك ـ ولا انـا في الواقع فقد كان انسانا ثرثاراً لايستطيع كتمان اي سر ابدا.

«إذن ياسـادتي الكـرام هنـاك من توجد لديه الخريطة هذه انـــي لاأعــرف من هو هذا الــشـخص ولـكـن من الضــروري ان يبقى الامـر سرا حتى عني شخصيـا ومن مســاعـدي (ارو) وخـلاف ذلـك ارجـو ان تسمحـوا لي بالاستقالة من منصبي هذا».

«فهمت قصـدك ياحضرة الربان» قال الطبيب. «تريد منا كتمان هذا الامر كما تريد منا فرض الحراسة المشددة

والرقابة الدقيقة على الجزء الخلفي من السفينة اي بعبارة اخرى انك تخشى من وقوع تمرد في صفوف طاقم السفينة» .

ـ «لم اقل اي شيء من هذا القبيل . كل ما اطلبه هو الالتزام التام بالحيطة والحذر اني مسؤول عن حياة كل شخص على ظهر هذه السفينة ولذلك لايفترض بي الموافقة على الانطلاق بالرحلة ان كنت اظن ان هناك احتمال قيام تمرد» .

«اراهن ، ياحضرة الربان ، انك كنت تعنيٍ اكثر مما قلت» علق الدكتور (لايڤزي) ضاحكا .

«انت انسان ذكي ، ياحضرة الطبيب» قال الربان .

«اردت ان افضي بما في صدري من امور لاني لم اظن ان السيد (تريلوني) كان على استعداد لسماع ما اردت قوله» .

ـ «صدقت ! » قال السيد (تريلوني) بنبرة انفعال . «لولا وجود الدكتور (لايڤزي) لما توانيت عن قبول استقالتك . » «لك ان تفعل ما تشاء ياسيدي» اجاب الربان ولكنك ستجدني ملتزما بتنفيذ مايمليه على

الواجب في كل الاحوال. قال ذلك واستأذن منصرفا.

وهنـا التفت الطبيب الى السيـد (تـريلوني) وخـاطبـه قائلا: «لديك شخصان مخلصان على ظهر هذه السفينة ياعزيزي (تريلوني) هذا الرجل و(جون سلڤر)».

«اوافقك بالنسبة لـ (جون سلڤر)» قال السيد الملاك. «امـا بالنسبـة لهذا المحتال فانه يفتقر الى التصرف الذي يليق بسيد مهذب وبضابط بحري وبرجل انكليزي.»

«ستكشف لنـا الايـام حقيقـة الامـور» اجاب الطبيب وعنـدما صعدنا الى ظهر السفينة وجدنا الرجال منهمكين في نقـل الاسلحـة والبـارود وكـان العمـل يجري تحت اشراف الربان ومساعده.

بلغ عدد الاسـرة المـوجودة في مؤخرة الجزء الخلفي من العنبـر الـرئيس ستا وقد ارتبط العنبر الرئيس هذا بكل من المطبخ والسلوقية(*) بممر يقع في الجانب الايسر من السفينـة وكـان لكـل من السيـد (تـريلوني) والـدكتـور

---

* السلوقيـة **Forecastle** هو ذلـك الجـزء من القسم الامـامي للسفنـة التجارية الذي يبيت فيه افراد طاقمها من النوتية

(لايفــزي) و(هنتــر) و(جــويس) و(ريــدرووث) ولي شخصيــا قمـرة منفـردة وكـان لكـل من الـربان ومساعده السيــد (ارو) ارجـوحـة شبكية وقد ثبتت الارجوحتان في منطقـة درج السفينـة[**] التي كانت واسعة مثل بيت مدور على الرغم من كونها واطئة جدا.

كنـا منهمكين في عمليـة اشغـال قمراتنا عندما وصل (جـون سلفـر) وما تبقى من افراد طاقم السفينة وكانوا قد وصلوا الى السفينة بقارب صغير.

وقد صعد (سلفر) الى ظهر السفينة بخفة القرود وسرعتهم.

وما ان وضع قدمه على ظهر السفينة حتى سأل الرجال الـذين كانـوا يتصببـون عرقا نتيجة قيامهم بنقل الاسلحة والبارود قائلا: «ما الذي تقومون به؟»

«اننا ننقل البارود من مكان الى اخر».

اجاب احدهم.

---

* درج السفينة هو السلم الذي يصل ظهر السفينة بالقمرات او الصالة الرئيسة

المترجم

«ولكننا سنفقد فرصة الابحار مع المد اذا ما تأخرنا في هذه العملية» قال (جون سلفر).

«اني انفذ الاوامر التي صدرت لي» قال الربان باقتضاب «عليك النزول الى المطبخ فورا اذ سيكون الرجال جاهزين لتناول وجبة عشائهم».

«امرك ياسيدي» اجاب الطباخ الذي لمس ناصيته وانطلق ذاهبا الى مطبخه. «انه رجل جيد، ايها الربان» قال الدكتور (لايفزي).

«من المحتمل جدا ان يكون كذلك» اجاب الربان (سموليث) الذي حانت منه التفاتة فراني اتفحص المدفع النحاسي الدوار الذي كان مثبتاً في الجزء الوسطي عن السفينة وهنا صاح بي قائلا: «اذهب من هنا ايها الغلام وكفاك عبثاً اذهب الى الطباخ لتجد لك عملاً يشغلك.»

رحت اسرع بالتواري عن انظاره وتنفيذ ايعازه عندما سمعته يقول بصوت جهوري:

«لن ارضى بوجود مدللين على ظهر سفينتي!» وفي

تلك اللحظة بالذات ايدت رأي السيد (تريلوني) في الربان.

الفصل السابع

الرحلة



انهمك افراد الطاقم ورجال السيد الملاك كافة طوال تلك الـليلة في خزن وتنظيم المــواد التي تم نقلهــا الى السفينـة التي زارتها قوارب عديدة حملت اصدقاء السيد (تريلوني) الذين جاءوا ليتمنوا له رحلة ميمونة وعودة

وكـان عملي في تلك الليلة بالـذات شاقاً ومرهقاً الى حد لم اكن قد اعتدته في نزل (الاميرال بينبو) وكنت في اقصى درجـات الارهـاق عندما سمعت صوت زمارة كبير ملاحي السفينـة التي اطلقها قبل الفجر بوقت قصير جدا وعندها اخذ افراد الطاقم يعملون على تشغيل القضبان الـرحـوية(*) وهنا انطلق (جون) الطويل يغني تلك الاغنية التي كان الـربـان (بلي بونـز) يرددهـا في نزل (الاميـرال بينبو) كلما دارت الخمرة في رأسه:

خمسة عشر رجلا

فوق صندوق الرجل الميت

يو هو. . هو

وزجاجة رم

اشرب فالباقي

تولاه الشيطان

يو هو. . هو

---

* اداة دوارة تحرك يدويا او آليا لرفع الاثقال او المراسي في السفن ـ المترجم

وزجاجة رم

بدا كأن الـربـان (بـونز) كان يشترك في الغناء مع بقية الطـاقم عنـدما رفعت المرساة لتتدلى من مقدمة السفينة وهي تذرف قطرات الماء. واخذت الاشرعة ترتفع عندما استلقيت في فراشي لأستسلم الى سبات عميق.

بدأت الـ (هسيـانيـولا) رحلتها الى جزيرة الكنز. لقد ثبت ان السيـد (سمـوليث) كان ربـانـاً ماهراً وقد اعترف بدوره وان تم ذلك على كره منه ان الـ (هسيانيولا) كانت سفينـة جديـرة بالثنـاء ومن جانب اخر فقد ثبت ان السيد (ارو) كان اسوأ بكثير مما كان يخشى: فلقد فقدَ احترام افـراد طاقم السفينـة بسبب ادمانه على شرب الخمر الى الدرجة التي كان من خلالها يفقد السيطرة على نفسه وقد اصبح ذلك مشهدا يوميا مألوفا وقد عرضه تصرفه هذا الى زجر الربان وتعنيفه ولكن من دون جدوى اما امر حصوله على المشـروب فقـد بقي لغزا لم يكتشفه احد ابدا على الرغم من المراقبة المشددة التي فرضت عليه. وفي ليلة مظلمة اختفى فجأة ولم يرَه احد بعد ذلك ابدا.

«سقط من السفينة!» قال الربان بتعجب

حسن لقد وفر علينا ذلك مشقة تكبيله بالاغلال .

وقد ناب عنه في القيام بمهام وواجبات مساعد الربان كبير النوتية (جوب انديرسن) بينما كان السيد (تريلوني) يقوم احيانا باستلام النوبات عندما يكون الطقس حسنا . وكان موجه الدفة ، البحار (هاندز) نوتياً متمرسا وحريصا وقد تمكن من كسب ثقة الجميع في كل الامور تقريبا . وكان صديقا حميما لـ (جون سلفر) .

كان (جون سلفر) يربط عكازه بحبل قصير يضعه حول عنقه وذلك من اجل ان تكون يداه طليقتين وكان يثبت عكازه على احدى الحواجز ليتكيء عليها ويواصل طبخ الطعام كما لو كان يقف في مكان ثابت على اليابسة اما مراقبته وهو يعبر سطح السفينة من جانب الى اخر في اثناء الامطار والعواصف فكان من اكثر المشاهد غرابة حيث كان يسير بخفة وسرعة مثل اي واحد من رفاقه ومع ذلك كان البعض منهم يرقون لحاله بسبب عجزه هذا .

«انه ليس برجل اعتيادي» قال لي (هاندز) في مناسبة معينة «فلقد اكتسب خبرة واسعة منذ صباه وبامكانه التحدث عن كل ماله علاقة بالسفن والبحار من

موقع المعرفة والاقتداراذ يعتبر حجة في هذه الامور. كما انه يتمتع بشجاعة لايضاهيه فيها حتى الاسود الضارية! لقد رأيته ينازل اربعة اشخاص في مناسبة ويتمكن منهم بلا مشقة علماً انه كان اعزل لايحمل بيده اي نوع من السلاح.

وفعلا فقد كان يتمتع باحترام افراد الطاقم غير المحدود كما كانت اوامره نافذة مهما صعبت وكان لطيفاً للغاية في تعامله معي ولايترك فرصة الا واستغلها لاكرامي والترحيب بي كلما اقتضت الضرورة ذهابي الى المطبخ الذي دأب (سلڤر) على ان يكون نظيفا دوما. وكانت له ببغاء تقبع في قفصها الذي أفرَدَ له مكانا في احدى زوليا المطبخ.

تعال يا (هوكنس) وتحدث مع صديقك (جون) كان يقول لي. «اني ارحب بمجيئك اكثر من ترحيبي باي شخص اخر، يابني انظر الى ببغائي التي اسميتها الربان (فلنت) اي نفس اسم القرصان الشهير وها هي تتمنى لرحلتنا التوفيق اليس كذلك ايها الربان؟»

وكـانت الببغـاء تجيب بسرعة وهي تقول: ثمانيات(*)

. . ثمـانيـات . . وتستمـر على النطق بهـذه العبارة حتى يقوم (جون) بالقاء منديله فوق قفصها.

وكان (جون سلفر) يقول كذلك: «قد يبلغ عمر الطير هذه مائتي عام انهـا قد شهـدت من المعاصي والاعمال الشـريرة قدرا كبيرا يفوق مقدار ما شهده الشيطان نفسه. لقـد ابحرت مع الربان (انجلاند) احد مشاهير القراصنة وزارت بقاعا شاسعة من العالم وشمت من رائحة البارود اكثر من كفايتها اليس كذلك أيها الربان (فلنت)؟»

«استعـدوا للهجوم!» هذا ما كانت الببغاء تصرخ به. وازاء هذه العبارة كان (سلفر) يلقي لها قطعة من الحلوى بينمـا كانت هي تنقـر قضبـان القفص بمنقـارهـا وتـردد عبارات شتم بذئية جدا.

وفي الحين ذاتـه كان الـربـان (سمـوليت) والسيـد (تـريلوني) ما يزالان على خلاف احـدهما مع الاخر ولم

---

* ثمـانيـات هي جمـع ثمـاني والثماني هو (بيزو) اسباني قديم ويساوي ثمانية ريالات ـ المترجم

يخف الملاك ما كان يكنُّ للربان من شعور بالازدراء . اما الـربـان فلم يتكلم الا عنـدما كان الكلام يوجه له بصورة مباشرة وكان يتوقع على ـ مابداـ حدوث المشاكل في اية لحظـة وممـا زاد الطين بلة ان المـلاك كان يفسـد روح الضبـط والنظـام من خلال افـراطـه بتـدليل افراد الطاقم الامـر الـذي ازعج (سموليتَ) الى اخر حد. فكان على سبيـل المثـال يأمر باعطاء النوتية ضعف استحقاقهم من الخمـر لاتفـه الاسباب لربما لمناسبة عيد ميلاد احدهم كمـا كان يضـع تحت تصـرفهم دائما برميلا مليئا بالتفاح ليأكلوا منه ما شاءوا ومتى شاءوا .

وكـان الـربان يقول : «لاخير يرتجى من دلال من هذا النـوع لانـه يجعـل من الرجال شياطين لايقفون عند أي حد ابدا . هذا ما أومن به» .

وتشاء الاقدار ان يكتب لبرميل التفاح هذا انقاذنا من الخيانة .

كان ذلـك في اليـوم الـذي سبق مشاهدة الجزيرة كنا نسيـر جنـوبـاً باتجـاه جنـوبي غربي تدفعنا رياح منتظمة السـرعـة كانت تهب باتجـاه جانب السفينـة وكـان البحر

هادئاً والسفينة تتهاوى بانتظام وهي تغمر مقدمتها بين حين واخر لتقذف بنفحة من الرذاذ وكانت معنويات الجميع جيدة تجاه احتمال انتهاء الجزء الاول من رحلتنا.

كنت قد انتهيت من اداء مهامي قبل غروب الشمس فشعرت فجأة برغبة في تناول تفاحة فذهبت الى ظهر السفينة وكان المكلفون بالمراقبة قد شُغلوا كليا بترقب رؤية الجزيرة بينما راح البحار المكلف بادارة الدفة يصفر لحنا شجيا وهو يراقب حافة الشراع الامامية ولم يسمع سوى صوت البحر الذي راحت امواجه ترتطم بجوانب السفينة باستمرار منتظم.

كاد البرميل يخلو من التفاح وعندما دققت النظر وجدت عدداً ضئيلاً منها في اسفله فتسلقت الى داخله وجلست في القعر المظلم احاول اختيار تفاحة جيدة عن طريق اللمس وبفعل الظلمة وحركة السفينة المنتظمة غلبني النعاس.

وكنت على وشك الاستسلام للنوم عندما جلس رجل ضخم قرب البرميل الذي اهتز بفعل اتكاء هذا الرجل

عليـه وكنت على وشـك النهـوض للخـروج من البـرميل عنـدمـا بدأ هذا الـرجـل بالكلام . كان (جون سلقر) اما كلامه فجعلني اجمد في موقعي : كدت لااجرؤ على التنفس .

الفصل الثامن
ما سمعته داخل برميل التفاح



«كان (فلنت) قائد السفينة» قال (جون سلفر) «وكنت انـا مسؤولا عن امـور الاعـاشـة بعـد ان فقـدت ساقي. اجـل! فقـدت ساقي في نفس جانب السفينة ذلك الذي افقد (بيوو) المسكين نعمة النظر وقد قام ببتر ساقي جراح

حاذق اقصـد جراحـاً حقيقيـاً كان يحمـل شهادة جامعية ويجيـد اللغـة الـلاتينيـة اجـادة تامـة. اجل! ذلك الجـراح المسكين الـذي شنق في النهـايـة مع بقية افراد طاقم الربان (روبرت) في (قلعة كورسو) هذه نتيجة قيام البعض بتغيير نمط حياتهم او قيام بعض «الربانية» بتغيير اسمـاء سفنهم يجب ان تستمـر السفينة في حمل الاسم الذي يطلق عليها ابتداءاً ولا يفترض تغييره ابدا.

كان اسم سفينـة الـربـان (فلنت) هو (والـروس) وقد سالت عليهـا انهـار من الـدم وحملت انفس الغنـائم واغـلاهـا ثمنـا ولكن اسمهـا بقي ثابتا من دون تغيير ومع ذلك فانها كانت دائما تعمل على ايصالنا بر السلام.

«كـان (فلنت) اعظم من ركب البحـار» قال احـدهم وقـد تمكنت من تمييـز صوتـه والتعرف عليه: كان اصغر افراد الطاقم سناً.

«لم يقل الربان (ديفس) عن (فلنت) مقدرة او كفاءة» قال (سلفـر) «لم يسعفني الحـظ بالابحـار معـه والعمـل بامـرتـه. عملت اولا بامـرة الـربان (انجلاند) ومن بعده بامرة (فلنت) وانا الان اعمل في هذه السفينة لقد ابحرت

تسعمائة مرة مع الربان (انجلاند) والفين اخرى مع (فلنت).

انهـا خبـرة رائعـة لايستهـان بهما بالنسبة لبحار. وقد جمعت ثروة لابأس بها اودعتها في المصارف.

والان اخبـرني يارفيقي أين بقيـة افراد طاقم (فلنت)؟ ستجـد ان معظمهم هنـا على ظهـر هذه السفينـة فرحين بفـرحـة الحصول على الثروة واين كانوا قبل ذلك؟ كانوا متسولين بؤساء كان لدى (بيو) الاعمى في باديء الامر ثروة لابأس بهـا وكان ينفق منها بمعدل الف ومائتي باون سنـويا اجل يارفيقي! كان ينفق المال ويعيش حياة مترفة مثل اي عضو من اعضاء مجلس اللوردات في البرلمان.

امـا اليوم فهو يرقد تحت التراب وعلى الرغم مما كان لديـه من ثروة فانـه تمكن من اضـاعتهـا ليعيش في فقـر وبؤس في اثنـاء العـامين اللذين سبقـا موته: كان يتسول ويسـرق ويقتـل من اجل لقمة العيش ومع ذلك فقد كان جائعا هذا ما حدث له ياعزيزي.

- «ما جدوى القرصنة وسلب الاموال والنفائس إذن؟» سأل البحار الشاب.

- «انها لاتليق بالحمقى والاغبياء» قال (سلڤر).

«انـك شاب وذكي ، وقـد تبين لي ذلك منذ ان القيت عليـك نظـرتي الاولى وسـاكلمـك كمـا اكلم الـرجـال الأشـداء فبـامكاننا الانسجام في العمل احدنا مع الاخر على ما اعتقد».

شعـرت بغضب شديد وانا اسمع هذا المحتال يغدق على شخص اخـر نفس عبـارات المـديـح التي كان قد خصني بهـا . وقـد شعـرت في تلك اللحظـة باني كنت على اتم استعداد لقتله من خلال البرميل لو كان بامكاني القيـام بذلـك. ولكنـه واصل كلامه وهو لايعلم ان هناك من كان يستـرق السمـع لمـا يقـول «هكـذا يعيش المغامرون: انهم يحيون حياة خشنة يضعونها في كفهم اذ يحتمـل ان تنتهي عنـد حبـال المشـانق من اجـل ان ينـعـمـوا بطيـب الـمأكـل والمشـرب ووافـرهمـا.

وعنـدمـا تنتهي الـرحلة التي يقـومـون بهـا فانهم يعودون حامـليـن معـهـم مئـات الـبـاونـات بدلا من مئـات

الغـارذنغـات[*] لينفقوها في المسرات والملذات وليعودوا الى ركــوب البحــر ثانيـة وهم لايملكـون سوى ما على ظهـورهم من ثيـاب بالية اما انا فقد اخترت لنفسي نهجاً مغايراً لذلك لقد جمعت ثروتي واحتفظت بها ولكنني لم اضعهـا في مكـان واحـد تفـادياً لاثارة الشكوك حولي بل وضعتها في اماكن عديدة هنا وهناك.

لقـد بلغت الخمسين من عمـري وبعـد انتهـاء هذه الـرحلة سأتقـاعـد عن العمـل واصبـح سيدا محترما وقد يقـول البعض منكم ان وقت تمتعي بالـراحـة والـرفاه قد حان ولكني اقـول لهم بان حيـاتي بعيـدا عن البحـار لم تكن حياة بؤس وشقاء بل حياة ترف ونعيم علما باني قد بدأت حياتي بحارا بسيطا شأني بذلك شأن اي واحد من البحارة.

وهنـا انبـرى له الشـاب قائلا: «وما جدوى ما جمعته

---

* الفـارذنـغ هو عملة بريطـانيـة قديمـة ويسـاوي ربع (بني) ويساوي (اليني) ١/١٢ من الشلنـج اي ١/٢٤٠ من اليـاون وكـان ذلـك قبـل تحـول العملة البريطانية الى النظام العشري حيث يساوي الباون مائة (ينس) جديد ـ المترجم

من مال وكسبته من ثروة فبعد هذه الرحلة لن تجرؤ على الظهور في شوارع (برستول)».

- «اين تظنني قد اودعت ما املك من اموال؟»

سأل (جون).

«في مصارف مدينة (برستول) على ما اظن» اجابه.

- «لم تعد مودعة هناك» قال (سلڤر) «لقد امنتها لدى زوجتي اما حانتي (المنظار) فقد بعتها كاملة بما فيها من ادوات وعدد، وقد اوعزت الى زوجتي ان توافيني في مكان حددته لها. ولامانع لدي من اخباركم عن هذا المكان لاني اثق بكم ولكن اجد من الحكمة الالتزام بالصمت خشية ان يثير ذلك غيرة البقية».

- «وهل بامكانك ان تثق بزوجتك؟» سال الشاب

«اجل اني ادرك جيدا انها لاتجرؤ على خيانتي فلدي اسلوب خاص في التعامل يفهمه من يعرفني.

كان البعض يخشى من (ييوو) والبعض الاخر من (فلنت) وكان (فلنت) شخصيا يحسب لي الف حساب ومع ذلك فانه كان ابيا وفخورا برجـ . الذين كانوا اشد من ركب البحار بأسا واكثرهم عنفا وضراوة كانوا من النوع

الــذي يخشى ابليس نفســه رفقتهم لست بالـذي يؤمن بالتبجـح والمغـاخـرة انكم تدركـون دماثة خلقي وسرعة انسجـامي مع غيـري من العـاملين ولكنني كنت احظى باحتـرام الجميـع عنـدما كنت ضابط الاعاشة على ظهر السفينة (والروس).

«دعني اخبـرك الان ياعـزيـزي (جـون)» قال الشاب «لم اكن مرتـاحـا لهـذه الـرحلة ابدا حتى لحظة سماعي كلامك خذ يدي التي اقدمها لك عربونا لصداقتي.»

«شـاب مقـدام وذكي ايضـا» قال (جون) وهو يصافح الشـاب بحـرارة وقـوة اهتـزّ من جرائهما البرميل بشدة. - «انك مثال حي للرجل المغامر وافضل من وقعت عليهم عيني من هذا النوع من الرجال».

وهنـا ادركت ان عبـارة (المغـامر) كانت تعني قرصانا اعتيـادياً لقد كنت شاهدا على عملية افساد شخص كان من اكثـر افـراد الطـاقم امـانـة وصـدقـا وسرعان ما اطلق (سلفـر) صفيـراً انضم على اثـره شخص ثالث الى هذه المجمـوعـه وعنـدمـا حيا هذا الشخص (سلفر) ادركت فورا انه (هاندز).

«لقد انضم (دك) الينا» قال (سلڤر).

«ادركت منذ البداية انه شخص ذكي» قال (هاندز).

«ولكن اريـد ان اعـرف الى متى يفترض بنا الانتظار؟ لقـد سئمت الـربان (سموليث) واوامره التي يوجهها الينا وكأننـا على ظهر سفينة من سفن الاسطول النظامي اريد اقتحام تلك القمرة لاتذوق مالديهم من نبيذ ومخللات».

ـ «انتبـه لمـا اقـول يا (هـانـدز): ستحيـا حياة البحار الشـاقـة وتلتـزم بالكلام المهذب اللائق الى حين قيامي باعطائكم الاشارة».

«لم اقصد التمرد اردت فقط معرفة متى؟»

«بحق السمــاء!» صاح (سلڤـر) قائـلا: «حتى اخـر لحظة يمكنني الاستفادة منها. اعلم يا (هاندز) ان الربان (سمـوليث) هو رجـل بحر كفوء وذو خبرة طويلة وبامكانه ادارة هذه السفينـة وتسييـرها لنا كما ان بامكاننا قيادة هذه السفينـة وادارة دفتهـا باتجـاه معين ولكن من منـا بامكانه تحـديـد الاتجـاه اورسمـه؟ لااستطيـع انـا القيام بذلك ولايستطيـع اى منكم ذلـك ايضـا ثم ان بحـوزة السيـد

الملاك الخريطة التي تدلنا على الكنز فلو كنت واثقا منكم جميعا لفضلت قيامكم باكتشاف الكنز وتحميله على ظهر السفينة ولما اعلنت عن حقيقة امرنا وتوليته زمام الامور الا بعد ان نكون قد قطعنا نصف طريق العودة افضل ان يقوم الربان (سموليث) بارشادنا الى الخطوط التجارية المعتمدة في الاقل قبل ان ابتدىء باي عمل من جانبي وبذلك سوف نأمن عدم ضياع السبيل والاضطرار الى الاقتصاد بشرب الماء بمعدل جرعة واحدة في اليوم للرجل الواحد.

ولكنكم لن ترتاحوا ولن تهدأوا الا بعد ان تسكروا وتلعب الخمر برؤوسكم ولذلك قررت البدء بتنفيذ عمليتنا والتخلص منهم في الجزيرة. اني اسف جدا لما ساضطر للقيام به لاني لاارغب في الابحار مع من هم على شاكلتكم من الرجال.»

«على مهلك يا (جون)» قال (هاندز) «من اغضبك؟»

«انك تستعجل الامر مثل البقية أليس كذلك؟»

قال (سلڤر) بغضب واضح كم من الشبان شاهدت وهم يتدلون من اعواد المشانق لالسبب سوى انهم كانوا

قد اهملوا الالتـزام بالحـذر والعمـل بالتـوقيت الصحيح ووفق ضوابــط ثابتــة وسليمــة؟ انكم تفضلون الان ان تملأوا افواهكم بـ (الرم) وليأخذ الشيطان غدا وما بعده! اعلم يا (هـانـدن) انـك ستموت متسولا بائسا مثل (ييوو) كان بامكـان الـربان (فلنت) ان يحيا حياة النبلاء ويركب العـربـات التي تجـرها الخيول المطهمة ولكنه مات في (سڤانا) ميتة بائسة نتيجة اسرافه في شرب (الرم) ولو قدر لك ان تكــون في موقـع القيـادة الان بدلا مني لفضلت الذهاب الى القمرة وتقطيع من فيها من السادة اربا وهذه هي طريقة الربان (انجلاند) وهي كذلك طريقة (بلي بونز).

«الاموات لايؤذون احدا!» قال (هاندز).

«صـدقت. عنـدما يحين الوقت سوف اطالب بقتلهم لاني لااريـد ان يضـايقني المحـامـون ورجـال القضـاء عندما اصبح سيدا وعضوا برلمانيا ولكن الانتظار والتروي واجبان في هذه المرحلة اما عندما يحين الوقت فليكن ما يكون».

«جون» صاح (هاندز) «انت رجل بحق».

«سترى بام عينك حقيقة ما قلت» قال (سلڤر) «ولكن هنـاك ثمـة امـر واحـد اريده لنفسي . انه (تريلوني) اريد قطع رأسه اللعين ذلك الرأس الذي هو يشبه رأس عجل بيدي الاثنتين هيا يا (دك) اقفز الى البرميل وناولني تفاحة ارطب بها فمي وحنجرتي» .

بامكـان القـاريء تصـور ما اعتـراني من رعب اثـر سمـاعي الايعـاز الاخيـر هذا . لو كانت لدي الشجـاعـة الكـافيـة لمـا توانيت عن الانطـلاق من البـرميل والهرب ولـكنني شعـرت فجأة بضعف شديـد يصيب ساقيّ ثم سمعت صوت نهـوض (دك) لتلبيـة ما اوعـز اليه القيام به ولكن (هاندز) تكلم فجأة قائلا :

«لاداعي لاكل هذه القمامة! دعنا نتناول شيئا من (الرم) يا (جون)» .

«(دك)» قال (جـون) «اني أأتمنـك على المفتاح لقد تركت معيـارا قرب برميـل (الـرم) عليـك ان تملأ قدحـاً معدنياً صغيراً فقط وجلبه . »

على الـرغم ممـا اعتـراني من خوف وهلع لم اتمكن من مغـالبـة تصـوري ان هلاك (ارو) نتيجـة ادمـانه على

تعـاطي (الـرم) بكميـات كبيرة لابد ان يكون قد تم بهذه الطريقة وما كاد (دك) يتوارى عن انظار (جون) و (هاندز) حتى اخـذ يتهـامسان ولـم اتمكن من سماع ما تبادلاه من حديث باستثناء العبارة التالية: «يرفض اي رجل اخر الاشتراك معنا.» هكذا الامر إذن! ما يزال هناك رجال مخلصون يمكن الاعتماد عليهم.

وعنـدمـا جاء (دك) بـ (الـرم) شرب الثلاثـة نخب بعضهم البعض الاخـر وانشـد (سلفر) قائـلا: «لنشرب نخب انفسنـا التـزمـوا بالهـدوء والتـزمـوا بالصبر، فامامنا نفائس كثيرة واموال اكثر.»

وفي تلك اللحظـة اضـاء شعـاع منير الجزء الداخلي من البرميل وعندما نظرت الى الاعلى رأيت ان القمر قد توسـط السمـاء ومـا هي الا لحظـات حتى صاح الرقيب باعلى صوتـه: «اشـرفنا على البر!» اعقب ذلك اصوات اقـدام كثيـرة تنـدفع بقوة فوق ظهر السفينة وكان بامكاني سمـاع سقـوط البعض من الـرجـال وهم يهـرعـون من القمرات والسلوقية.

ووسـط هذا الهـرج والمرج تمكنت من الانسلال من

البرميل والانضمام الى الدكتور (لايفْزي) و(هنتر) اللذين كانا متوجهين نحو مقدمة السفينة. وباتجاه جنوبي غربي تمكنا من مشاهدة تلّين واطئين يبعد احدهما عن الاخر بحدود ميلين بينما ارتفع خلفهما تل ثالث اكثر منهما ارتفاعا وقد بدت التلال الثلاثة حادة القمم مخروطية الشكل.

وقد وجه الربان (سموليتْ) السفينة بحيث اخذت تسير باتجاه شرق الجزيرة ثم التفت الى افراد الطاقم وقال: «هل سبق لأي منكم مشاهدة البر الماثل امامنا؟»

«انا ياسيدي» قال (سلفْر) «لقد نزلت في مناسبة للتمون بالماء عندما كنت طباخا على ظهر سفينة تجارية».

«تقع منطقة الارساء في الجهة الجنوبية خلف جزيرة صغيرة على ما اظن اليس كذلك؟»

سأل الربان (سموليتْ).

«اجل ياسيدي» اجاب (سلفر) «انها تدعى بـ (جزيرة الجمجمة) وكانت في وقت ما ملاذا للقراصنة. وكان معنا بحار يعرف المناطق واسماءها كافة انه يدعى التل

الـرئيس وان قمتـه محـاطـة بسحـابـة (المنظـار) وكـان القراصنة يستخدمونه موضعا للمراقبة عندما كانوا يلجأون الى الجزيرة لادامة سفنهم وتنظيفها.

«لـدي خريطـة هنـا» قال الـربان (سموليتْ). «فهل يكون المكان هذا هنا ياترى؟»

تحـرقت عينـا (جـون) الطـويـل شوقـا عنـدمـا اخـذ الخـريطـة بين يديـه ولكنني ادركت انه قد اصيب بخيبة امـل كبيـرة بمجـرد النظـر الى الـورقة التي بدت جديدة وهكـذا كانت فعـلا اذ انها كانت نسخة من خريطة (بلي بونـز) الاصليـة بكـافـة التفـاصيـل ما عدا المـلاحظات والعـلامـات. وقـد كان لـ (سلقَـر) من المقـدرة وضبـط النفس ما امكناه من كبت انزعاجه وكظم غيظه.

«هذه هي المنطقة بالضبط انها خريطة جيدة ودقيقة» قال (جـون) الطـويـل «من ياتـرى قام برسمهـا؟ لااظنها عمل احد رجال القراصنة، اذ انهم جهلة لايتمكنون من القيـام بعمـل متقن كهـذا هذا هو المـرسى وكـان رفيقي الـذي حدثتكم عنـه يسمي المـرسى هذا باسم (مـرسى الربان (كيد)).

«شكـرا على ملاحظاتك» قال الربان (سموليث)« قد اطلب مساعدتك مرة اخرى. يمكنك الانسحاب الان.»

لقـد اذهلني برود (سلڤـر) وهـدوءه ومـا تمتـع به من امكـانية ضبط الاعصاب والسيطرة على النفس. وكدت انتفض هلعا عندما دنامني ووضع يده على ذراعي وقال لي:

«امـامـك موقـع رائـع لشـاب يريـد النـزول الى البـر والتمتـع بالـراحة والاستجمام فبامكانك السباحة وتسلق الاشجـار وصيـد المـاعز. انه لامر ممتع ورائع للغاية ان يكـون الانسـان شابـا ويتمتـع بنعمة اطرافه كافة. عندما تنـوي الـذهاب بهدف اكتشاف ما على هذه الجزيرة من اشيـاء فمـا عليـك سوى اعـلام صديقـك (جون) الذي سيهيء لك طعاما تأخذه معك.

وبعد ان ربت على كتفي مشى الى الامام وهو يعرج واتجه الى اسفل السفينة.

كان الـربـان «سمـوليث» يكلم كلا من الـدكتـور (لايڤزي) والسيد (تريلوني) على سطح مؤخرة المركب.

وقـد كنت تواقـا الى اخبـارهم تفاصيل قصتي ولكنني لم اجـرؤ على مقـاطعتهم والتحـدث معهم بصـراحـة كنت احــاول العثــور على عذر يمكنني من الاقتــراب منهم والتحـدث اليهم عنـدما ناداني الدكتور (لايفزي) وطلب مني جلب غليونه له من قمرته.

«سيـدي الطبيب» قلت باندفاع «ارجوك ان تهبط الى قمـرتــك بصحبـة السيـد (تـريلوني) والـربـان ومن ثم استدعائي للمثول امامكم فلدي اخبار رهيبة».

لم تتغير تعابير وجه الطبيب ابدا، ولكنه قال لي وكأني قد اجبته عن سؤال كان قد طرحه علي: «شكرا يا (جيم) هذا كل ما اردت ان اعرفه».

انضم الطبيب الى المـلاك والـربـان وتكلم معهمـا. بعـد ذلـك اوعـز الـربـان الى (جـوب انديرسن) باطلاق زمارته من اجل استدعاء افراد الطاقم كافة والتجمع على ظهر السفينة وعندما تم ذلك وجه الربان الكلمة التالية:

«ابنـائي ان الجـزيـرة التي شوهـدت قبـل قليـل هي المكـان الـذي قصدناه من خلال رحلتنا هذه ومن خلال مراقبتي لسيـر الامـور في اثنـاء الـرحلة فقـد تمكنت من

اخبـار السيـد (تريلوني) ان جميع الرجال العاملين على هذه السفينـة وبـلا استثنـاء قد ادوا واجبهم على احسن مايرام وهو امر يثلج الصدر اذ لايمكن ان تؤدى الواجبات بهمـة اكبـر وبكفـاءة اعلى ممـا لاحظتـه فبوركتم جميعا ولهـذه المنـاسبـة قررنـا انـا والسيـد (تريلوني) والدكتور (لايفزي) النزول الى القمرة لشرب كأس نخب صحتكم وحظكم ان السيـد (تـريلوني) هو شخص كريم على ما اعتقد فاذا ما شاركتموني في الرأي فبامكانكم التعبير عن ذلك من خلال الهتاف بحياته هتافاً بحرياً صميما.

وقـد اعقب كلمـة الربان هتاف جاء كأمر طبيعي. وما ان انتهى حتى صاح (جـون) الطـويـل قائـلا: «لنهتف هتافا اخر وليكن هذا بحياة الربان (سموليت)» فهتف الجميع.

وبغض النظـر عن النـوايا فقد جاء الهتاف الثاني اشد حمـاسـا واكثـر دويا من الاول وقد شعرت انه كان صادرا من الاعمـاق وبـذلـك كدت لااصـدق ان الرجال هؤلاء كانـوا ينوون قتلنا ويخططون له. وسرعان ما هبط السادة الثلاثة الى قمرة السيد (تريلوني) وبعد دقائق تم

استدعائي .

عندما دخلت القمرة وجدتهم جالسين حول المائدة التي توسطتها قنينة نبيذ اسباني وصحن من الزبيب . وكان الطبيب يدخن غليونه وقد وضع شعره المستعار على ركبته وهو دليل اكيد على انفعاله وانزعاجه . ومن خلال الشباك الخلفي للسفينة ارسل القمر ضياءه الفضي ليغمر به الاثر الذي كانت السفينة تخلقه وهي تمخر عباب البحر.

وقد اخبرت السادة المجتمعين بما سمعته مصادفة باكثر ما تمكنت من ايجاز وكانت انظارهم تراقبني بدقة في اثناء كلامي الذي لم يقاطعني خلاله اي منهم وبعد ذلك اذنوا لي بالجلوس ثم ملأوا لي كأسا من النبيذ وناولوني حفنة من الزبيب وشربوا كأسا نخب صحتي وهم يثنون على حظي وشجاعتي وهنا انبري (تريلوني) يخاطب الربان قائلا :

«اعترف بانك كنت على صواب وكنت انا على خطأ وبذلك اعلن باني كنت احمق وباني الان على اتم استعداد لتلقي اوامرك والعمل بمشورتك» .

«ان كنت احمق فانــك لم تكن اقــل مني حمــاقـة ياسيـدي» رد عليه الربان قائلا : «توجد اعتياديا مؤشرات معينـة تعكس فيـه افراد الطواقم في القيام بتمرد وبامكان الفـرد منـا توقع حدوث المشاكل. اما بالنسبة لافراد هذا الطاقم فالامر يختلف تماما اذ لم اتمكن من ملاحظة اي شيء من شأنه الاشارة الى احتمال قيامهم بتمرد».

«ان (سلفـر) هذا هورجـل هائـل ويلفت النظـر» قال الدكتور (لايفزي).

«وسيلفت الانظـار بدرجـة اكبـر كما سيبدو اكثر روعة وهـو يتـدلى من عود المشنقة» قال الربان «هناك عدد من النقاط اريد ذكرها بهذا الصدد».

«قــل ما بدا لك ياسيــدي الـربـان، فانت الشخص الـذي يمسـك زمـام الامـور بيـده» قال السيد (تريلوني) بهيبة واجلال.

بدأ الربان (سموليث) بالنقطة الاولى قائلا :

«اولاً: لابـد لنـا من مواصلة القيام بما جئنا من اجله اذ لا يمكننـا العـودة فبمجـرد شروعي بالايعاز بالعودة فانهم سيعلنون تمردهم،

ثانيا:لدينا بعض الوقت الذي يمكننا في اثنائه محاولة ايجاد مخرج لهذه الورطة وذلك على الاقل حتى الوقت الذي سيتم فيه العثور على الكنز ثالثاً: هناك عدد في الافراد المخلصين الذين يمكننا الاعتماد عليهم

رابعا:في ضوء ما جاء اقترح قيامنا بضرب المتمردين في اسرع وقت يتوقعون منا فيه القيام بذلك فهل بامكاننا الاعتماد على رجالك ياسيد (تريلوني)؟»

«مثلما يمكنك الاعتماد علي» اعلن الملاك بحماس «اذا يبلغ عددنا سبعة بما في ذلك (هوكنز)» قال الربان «اين سنجد المخلصين من الافراد؟».

«سيكونون على الاغلب ضمن المجموعة التي تم تعيينها قبل تعرف السيد (تريلوني) على (جون سلفر)» قال الطبيب.

«كلا» اجاب السيد الملاك «كان (هاندز) من ضمن الذين تم تعيينهم من قبلي قبل التقائي بـ (سلفر). ان ما يحزنني ويدهشني في آن واحد هو انهم جميعا بريطانيون! كم اتوق الى نسف السفينة والتخلص من هؤلاء الاوباش!»

«حسن ايهـا السـادة» قال الـربـان «علينـا الانتظـار والالتـزام في الحين ذاتـه باقصى درجات اليقظة والحذر سنـواجـه تجـربـة شاقـة ومجهـدة للغـايـة بحيث تصبح المـواجهـة عنـدما يحين الوقت عملية اسهل واهون شرا ولكن لاحيلة لدينـا سوى الانتظـار اذ لايمكننـا تحقيق ما نصبو اليه من غير معرفة من سيقف الى جنبنا من الرجال».

«بـامكـان (جيم) هنا ان يساعدنا اكثر من اي شخص اخر» قال الدكتور (لا ـ فزي) «فالرجال لايشعرون بالحرج والتردد تجاهه كما انه بدوره انسان ذكي وقوي الملاحظة».

شعـرت اننـا في وضـع ميؤوس منـه ونحن نواجه هذه المشكلة الرهيبة: كنا سبعة ضد تسعة عشر.

الفصل التاسع
مغامرتي في البر



كانت الـ (هسيانيولا) قد سارت مسافة لا بأس بها في اثناء الليل ولكنها توقفت صباح اليوم التالي على بعد ميل ونصف من الشاطىء الشرقي الواطىء بسبب قلة الريح وكانت تتمايل وتترنح مع حركة امواج البحر وهي ترسل اصوات صرير وانين بينما راحت دفتها تقرع غادية رائحة

وقد وجدت نفسي مضطرا للتمسك بشدة بـ (الشكال الخلفي)[*] فعلى الرغم من اني كنت بحارا جيدا عندما كانت السفينة تمخر عباب البحر الا ان تمايلها وترنحها على هذا النحو قد جعلني اشعر بعدم الراحة.

غطت معظم ارجاء الجزيرة غابات رمادية اللون تتخللها هنا وهناك خطوط صفراء من الرمال.

وقد ارتفعت التلال الصخرية الجرداء فوق قمم اشجار الصنوبر العالية وكان تل (المنظار) وهو اعلى التلال. . يرتفع عموديا الا انه ينقطع على نحو فجائي قرب القمة ليصبح مثل قاعدة تمثال تنتظر من يقوم بوضع التمثال المناسب عليها. وقد خانتني الشجاعة وانا انظر الى الغابات الكئيبة الماثلة امامي ؤالى القمم الصخرية المستدقة الجرداء والى الامواج التي كانت تهدر وترتطم بالشاطىء الشديد الانحدار.

وبسبب انعدام الرياح كليا كان علينا انزال الزوارق الى الماء والتجديف من اجل سحب السفينة حول

---

* الشكال الخلفي - هو قيد او حبل متين يمتد من اعلى صاري السفينة الى احد جانبيها ثم يميل منحدرا نحو الجهة الخلفية منها - المترجم

الجزيرة حيث يتم ارساؤها خلف (جزيرة الجمجمة) عبر الممر الضيق وكان الحر مميتا وقد اخذ افراد الطاقم يتذمرون بشدة وبلغة نابية وهم يقومون باعمالهم وقد تولى (انديرسن) قيادة القارب الذي كنت فيه وبدلا من محاولته مراعاة تطبيق الضبط والنظام فانه اخذ يتذمر بشدة وبصوت مرتفع اكثر من ادنى البحارة منزلة وكان ذلك مؤشرا سيئا اذ كان الرجال جميعا قد قاموا بتأدية واجباتهم بالشكل الامثل حتى ذلك اليوم .

وقف (جون) الطويل طوال فترة العملية هذه بجانب عامل الدفة ليقوم بتوجيه سير السفينة لانه كان يعرف تفاصيل الممر الضيق معرفة جيدة وقد رست (الهسيانيولا) على بعد ثلث الميل تقريبا من كل من جانبي الممر المائي هذا الذي يفصل بين الجزيرة من جانب و (جزيرة الجمجمة) من جانب اخر، وعندما القيت المرساة وشقت طريقها الى القعر محدثة صوتا عاليا بفعل ارتطامها بسطح الماء ومرسلة رشاشا كبيرا من الماء هبت اسراب من الطيور منتفضة وحلقت فوق قمم الغابات لتعود مرة اخرى الى مجاثمها واعشاشها بعد

دقيقة واحدة وليخيم السكون على المنطقة كما كان عليه سابقا.

كانت الاشجار بمستوى العلامة المائية(*) العليا وكان الخليج المائل امامنا مصباً لنهيرين موحلين. لم نتمكن من مشاهدة اي من المنزل او الحصن المبينين على الخريطة وذلك من موقعنا على ظهر السفينة وقد يظن المرء اننا اول من كتب له الارساء على سواحل هذه الجزيرة منذ اول انبثاقها من تحت سطح البحر. لقد كان صوت ارتطام الامواج بالصخور الساحلية هو الصوت الوحيد الذي ساد الجو وكاد الهواء يكون عديم الحركة وقد فاحت في الجو رائحة غريبة اوشكت ان تكون عالقة فوق كل شيء كانت مزيجا من رائحة الاوراق المشبعة بالماء وما تعفن من جذوع الشجر.

«لست متاكدا من وجود الكنوز على هذه الجزيرة ولكني واثق جدا من وجود الحمى!» قال الدكتور

---

* العلامة المائية العليا - هي العلامة التي تبين اعلى نقطة يصلها المد والعكس منها هي العلامة المائية الدنيا وهي اوطأ نقطة تصلها المياه - المترجم

(لايقزي) وهو يجعد انفه.

وعندما عاد افراد الطاقم الى ظهر السفينة كان تصرفهم قد ازداد سوءا فقد جلسوا جماعات هنا وهناك على ظهر السفينة وهم يزمجرون غضبا وكانوا يقابلون كل ايعاز يصدر اليهم بنظرات قاتمة ولايعمدون الى تنفيذه بدقة وسرعة بل بتذمر وعدم اكتراث وهكذا فقد خيم علينا شبح التمرد مثل السحابة الرعادة.

وكان (جون) الطويل منهمكا في الذهاب والمجيء بين جماعة واخرى وقد بدأ مثالا للتصرف اللائق والحرص على الاستجابة والتعاون كان لايضن على احد بابتسامة ولايترك ايعازا الا وعمد الى تنفيذه بكل دقة واحترام وعندما لايجد له اي عمل يقوم به فانه كان ينشد اغنية تلو اخرى وكان أسوأ جانب من الجوانب المعتمة المحزنة لعصر ذلك اليوم هو دأب (جون) الطويل ومحاولته معالجة الموقف واستدراكه لتغطية التصرف غير اللائق للبقية.

وعقدنا مؤتمرا في قمرة السيد (تريلوني) لتدارس الموقف

«سادتي» قال الربان (سموليث) «اشعر باني ان قمت باصدار ايعاز اخر فسوف تنقلب الدنيا رأسا على عقب ومن جانب اخر فاني ان توقفت عن اصدار الاوامر والايعازات فسير تاب (سلقر) ويشعر ان هناك امرا ذا بال ولذلك اقترح اعطاء افراد الطاقم استراحة عصر هذا اليوم يقضونها في البر فاذا ذهبوا كلهم فسنقاتلهم جميعا اما اذا رفضوا جميعهم الذهاب فسنعتصم في القمرات ونحاول الدفاع عنها ولينصر الله الحق.

واذا ما ذهب البعض وبقي البعض الاخر فان (سلقر) سيعود بالذين يذهبون كما يعود الراعي بالخراف الى حظائرها اني واثق مما اقول.

وقد تقرر اعتماد الاجراء الذي اقترحه الربان (سموليث) وتنفيذه واعطاء كل شخص من جماعتنا مسدساً محشوا وذلك بعد ان بحنا بالسر الى كل من (هنتر) و (جويس) و (ريدرووث) الذين لم يبد عليهم التعجب مما سمعوه اما الربان فقد ذهب الى ظهر السفينة ليخاطب افراد الطاقم.

قال الربان (سموليث): «لقد امضينا يوما مضنياً وقد

انهكتنـا فيـه حرارة الجـو وجعلتنا نخرج احيانا عن حدود التصـرف الـلائق ولـذلـك فان استـراحة على الشاطىء ستعـود على الجميـع بالفـائـدة وعليـه تجدون عددا من القـوارب جاهـزة لنقلكم الى الشاطىء وبامكان أي عدد منكم الذهاب ان شاء ذلك وساطلق اطلاقة مدفع واحدة عند الغروب ايذانا بعودتكم».

وسـرعـان ما علت البهجـة وجـوه الرجال وغاب عنها العبـوس وانطلقـوا بهتـاف مدو اثـار الطيـور وجعلها تترك اوكارها واعشاشها مرة اخرى.

وقد ترك الربان بحكمته المعهودة (جون سلقر) للقيام بتـدبيـر الامور وتنظيمها وقد بات واضحا ان (سلقر) كان هو الربان الحقيقي تماما ما عدا الاسم.

واخيـرا تم تحـديـد المجمـوعة التي تقرر ذهابها الى الشـاطىء والتي بلغ عدد افـرادهـا ثلاثـة عشـر رجـلا بضمنهم (سلقر) نفسه كما تقرر ايضا ابقاء ستة رجال من افراد الطاقم على ظهر السفينة.

وهـنـا خطـرت لي فكـرة كانـت الاولـى من جملة تصـورات ومبـادرات قدر لها على الرغم من كل شيء ان

تساهم في انقاذ حياتنا ان ترك ستة اشخاص من قبل (سلقر) يعني عدم تمكن مجموعتنا من السيطرة على السفينة ومحاربة بقية افراد الطاقم في آن واحد وكان هذا امراً واضحا.

اما الامر الاخر الذي لم يقل عنه وضوحا فهو ان وجود ستة من المتمردين على ظهر السفينة كان يعني ان مجموعتنا لم تكن بحاجة انية لمساعدتي ولذلك تبادر الى ذهني فورا الذهاب الى الشاطىء وسرعان ما اندسست بخفة من فوق جانب السفينة وجلست بهدوء في احد القوارب الذي ما ان جلست فيه حتى انطلق في طريقه اتجاه الساحل.

لم يلحظ وجودي احد باستثناء المسؤول عن المجذاف الامامي الذي قال لي: «اهذا انت يا (جيم)؟ اخفض رأسك!» ولكن (سلقر) صوب نحونا نظرة حادة ثم سأل أأنت على ظهر القارب؟ ومنذ تلك اللحظة ندمت على ما فعلته.

تسابق افراد الطاقم نحو الشاطىء وقد تمكن قاربنا من الفوز بالسباق بسبب خفة وزنه وكفاءة رجاله وما ان

وصلنا حتى قفزت من القارب بحركة سريعة وتواريت عن الانظار بالاندفاع وسط اول دغل وجدته امامي بينما كان (سلق) والبقية على بعد مائة يارد خلفي .

وقد سمعته يناديني قائلا : «جيم! جيم!» ولكنني لم أعره اي اهتمام بل واصلت ركضي وقفزي حتى لم اتمكن من الركض بعد ذلك .

بدأت انظر حولي وامتع نظري بما اشاهد من مناظر : كنت قد اجتزت بقعة ارض سبخة مليئة باشجار الصفصاف والبردي وبعدد من الشجيرات المستنقعية الغريبة الشكل لاصل بعد ذلك الى منطقة مفتوحة كانت أرضها رملية متموجة تنقطها اشجار الصنوبر وشجيرات ملتوية الجذوع تشبه اشجار البلوط الا انها كانت ذات اوراق باهتة اللون . وقد انتصب في الطرف البعيد من هذه المنطقة احد التلال بقمتيه الوعرتين الجذابتين اللتين لم تخلوا من غرابة وهماتتلا معان بفعل نور الشمس الساطع ثم تجولت بين الاشجار ولاحظت عددا كبيرا من الافاعي قابلتني احداها بفحيح وهي تلتف متراجعة لتختفي خلف صخرة امتدت حافتها البارزة مثل

الرف.

وبعـد لحظات وصلت الى اجمة من شجرات البلوط الـدائمـة الخضرة التي امتدت على ارتفاع واطىء لتصل الى حافة ارض مستنقعية يغطيها القصب وقد انبعث من المستنقـع بخـار بفعل حرارة الشمس بينما راحت معالم تل (المنظار) ترتجف من خلال الضباب الشفيف.

وفجأة كان هنـاك نشـاط بين شجيرات البردي حلقت على اثـره في الجـوّبطـة بريـة اعقبتها سحابة من الطيور التي تعلقت في الجـووهي تصـرخ وتحوم حول المنطقة وقـد ادركت ان رفـاقي في السفينـة لابـد ان يكونوا على مقربة من الارض المستنقعية وسرعان مااتضح لي صدق ادراكي بعد ان سمعت صوت رجل وقد اخذ الصوت هذا يزداد ارتفـاعـا فهـرعت لاندس تحت غطاء اقرب شجرة بلوط متواريا عن الانظار ولاجلس بصمت يشبه صمت الفار.

ومـاهي الا لحظـات حتى سمعت صوتـا ثانيـا يناقش الأول الـذي ادركت فورا انـه كان صوت (جـون سلڤـر) واخيرا بدا لي إنهما قد توقفا عن السير ولربما قد جلسا اذ

انهما لم يتوقفا عن الاقتراب مني حسب بل ان الطيور نفسها بدأت تكون اكثر هدوءاً وكأنها راحت تستقر مرة أخرى في اماكنها في المستنقع .

ثم بدأت اشعر باني كنت اهمل واجبي : لما كانت الحماقة قد دفعتني الى القدوم الى الجزيرة مع هؤلاء المارقين فان اقل ما يمكنني القيام به في مثل هذا الظرف هو استراق السمع بهدف الاطلاع على ما كانوا يبيتونه من امور ولذلك فاني زحفت الى الامام تحت غطاء الأشجار حتى وصلت الى موقع تمكنت عنده من التحديق من خلال الاوراق والاغصان الى اسفل وهدة كان (سلفر) وبحار اخر يجلسان فيها وجها لوجه وكانت الشمس تطرق رأسيهما باشعتها المحرقة من الاعلى .

كان (سلفر) قد القى بقبعته جانبا وقد تلامع وجهه من شدة الحرارة وكان يخاطب البحار الاخر قائلا :

«اسمعني يارفيقي هل تعتقد اني اكلف نفسي مشقة انذارك وتحذيرك لولا ثقتي التامة بجودة عنصرك لاسبيل لك الى الرجوع .

اني احاول الحفاظ على حياتك يا (توم) لاادري ما

عسى ان يكون رد فعل الرفاق الاخرين لو ادركوا اني اقوم بتحذيرك؟ صدقني يا (توم) انك في موقف حرج.

«دعني اخبرك يا (سلفر)» قال الرجل الاخر بصوت متهدج وقد احمر وجهه «انك شخص يشهد الجميع له بالامانة والاخلاص ولديك من الثروة ما يكفل لك عيشا هانئا ورغيدا وهو امر يتمناه الكثير من البحارة البؤساء فهل لك ان تخبرني لماذا رضيت ان يقودك هؤلاء الرعاع الى طريق الضلال؟ دعني اوكد لك باني افضل بتر ذراعي عن الاخلال بواجبي والتنكر لمبادئي».

ومن مكان بعيد عن المستنقع انطلقت فجأة صرختا غضب متتاليتان اعقبتهما بعد ثوان قليلة صرخة الم طويلة رددت صداها صخور تل (المنظار) مرارا وتكرارا ثم هبت الطيور مرة اخرى وحلقت في سماء المستنقع لتشكل كتلة قاتمة كبيرة ولتملأ الكون صخبا وجلبة بفعل حركة اجنحتها السريعة. وبقيت صرخة الموت التي سمعتها تدور في رأسي فترة طويلة بعد ان كانت الطيور قد عادت الى اماكنها وخلدت الى السكون.

تباغت (توم) عند سماعه هذه الصرخات اما (سلفر)

فلم يبـد عليـه الاهتمـام ولا الاكتراث ابدا بل اتكأ بخفة على عكازه وهو يراقب (توم) من كثب.

«جـون!» قال البحـار وهـو يمـد يده الى (سلڤـر) ليصافحه «اخفض يدك!» صاح (سلڤر) وهو يخطو خطوة سريعة وثابتة الى الوراء مثل لاعب جمباز ماهر.

«كمـا تشـاء يا (جـون سلڤـر)» قال (تـوم) «ان وخـز ضميرك الأسود هو الذي يخيفك مني. ماذا كانت تلك الصرخة؟»

«تلك؟» ابتسم (سلڤـر) وهـو يغمض عينيـه نصف اغمـاضـه تلك العينـان اللتيـان تلامعتا مثل قطعة زجاج «انها صرخة (الن)».

«(الن)!» صاح (توم) «عسى ان يمن الله تعالى عليه برحمتـه ورضـوانـه كان بحـارا مخلصـا وامينا لن اعتبرك رفيقي بعـد الان يا (جـون سلڤـر) واذا قدر لي ان امـوت فاني سافـارق الحيـاة بضميـر مرتاح لاني لم اخن شرفي ولم اتنكـر لواجبي. اقتلني انـا الاخـر ايضا ان إستطعت إني اتحداك».

قال ذلـك واستـدار بشجـاعـة واخذ يتقدم ماشيا تجاه

الساحل. وبصرخة مدوية امسك (سلقُر) بغصن شجرة قريبة واخرج عكازه من تحت ابطه وقذف به بقوة شديدة إلى الامام فاصاب (توم) بين عظمي الكتف بضربة قاضية افقدته صوابه على الفور بعد ان قذف بيديه الى الهواء من هول الصدمة وسقط مكفيا على الارض.

ولا بد ان يكون ظهره قد تعرض لكسر من هول الضربة وقسوتها وما هي الالحظات حتى القى (سلقر) نفسه فوقه ليدفن خنجره حتى القبضة في موضعين من ذلك الجسم الاعزل الذي فقد قابلية الدفاع عن نفسه وكان (جون) يلهث بصوت مسموع وهو يسدد ضربتي خنجره القاتلتين الى جسم رفيقه.

شعرت ان الدنيا كلها بدأت تسبح وتدور وسط جو من الضباب وان اجراسا كانت تدق في رأسي وكأن (سلقر) و (طيور) المستنقع وكل شيء حولي يدور ويدور امامي كذلك.

وعندما استعدت وعيي كان (سلقر) قد وضع قبعته المثلثة الشكل على رأسه وثبت عكازه تحت ابطه وهو يمسح نصل خنجره ببعض الحشائش غير مكترث بالجثة

التي كانت مسجاة قربه ثم اخرج صفارة من جيبه ونفخ فيها عدة مرات وسرعان ما ادركت ان مزيدا من الرجال كانوا سيجتمعون في هذه البقعة وان وجودي يشكل خطرا على حياتي إذا قد القى نفس مصير (الن) و (توم) اذا ما تم اكتشافي ولذلك زحفت مبتعدا باعظم درجة من الهدوء وباسرع ما استطعت وما ان بدأت زحفي حتى سمعت الرجال ينادي بعضهم البعض الاخر وبعد ان وصلت الى نهاية الاجمة التي كنت مختفيا فيها اطلقت ساقي للريح كما لم افعل من قبل.

واخيرا وجدت نفسي عند سفح التل ذي القمتين حيث، انتصبت اشجار البلوط على مسافة من بعضها لتشكل منظرا يشبه الغابات المألوفة وقد اختلط بهذه الاشجار عدد من اشجار الصنوبر التي تراوح ارتفاعها بين خمسين وسبعين قدما. وكان الهواء عليلا بدرجة اكثر مما كان عليه في منطقة المستنقع.

وهنا واجهت خطرا جديدا جعلني اتسمر في مكاني وقلبي يخفق بشدة.

الفصل العاشر

(بين جن): البحار المتروك



* المتروك اي الشخص الذي كان يلقى عمدا على ساحل جزيرة مهجورة ويترك هناك الى ما شاء الله. وكان الاجراء هذا يشكل احدى وسائل العقاب التي كانت تطبق بحق المخالفين والمجرمين والمناوئين من رجال البحر لاسيما بين افراد طواقم القراصنة ـ المترجم.

قفـز شكـل بشري من خلف احدى شجرات الصنوبر التي انتصبت عند المنحدرات السفلى للتل ذي القمتين فأرسـل خلفـه سيـلا من الحصى والـرمـل الخشن الذي انحـدر متنـاثـرا باتجـاهي ولم استطـع تحديد ماهية هذا الشكل باية درجة من الدقة : هل كان انسانا ام قردا؟ فقد صعب على تحـديـد ذلك لكثافة شعره الاشعث وبشرته الداكنة .

وازاء هذا المخلوق العجيب بدا (سلقـر) نفسـه اقـل فظاعة ورهبة ولذلك قررت العودة الى الشاطىء واتجهت نتيجة قراري هذا صوب القوارب وسرعان ما اخذ الشكل البشرى هذا يتحرك باتجاه دائري وهو يركض بسرعة من شجرة الى اخرى محاولا سد الطريق علي .

كان يركض بساقين شأنه بذلك شأن اي انسان ولكنه في الحين ذاته يكاد ينحني الى النصف في اثناء الركض وهـو أمـر لم اعهـده في اي انسـان من قبل ومع ذلك فانه كان في الواقع رجلا وهو امر لم يسعني الشك فيه .

ثم بدأت استذكر ما كنت قد سمعته عن أكلة اللحوم البشـريـة وبـذلك كنت على وشك الصراخ طلبا للنجدة

ولكن حقيقـة كونـه انســانـا بغض النظر عن هيئته الغريبة وشكله المتـوحش اعـادت الثقة الى نفسي وتصورت في الحين ذاتـه (سلقَـر) الـذي بدأ خوفي منه يتجدد تناسبيا وفي تلك اللحظـة تذكـرت المسدس الذي كنت احمله وتــدفقت الشجــاعــة في عروقي ، فسحبت مسـدسي ومشيت تجـاه هذا الـرجـل الذي خرج من خلف احدى الأشجار وتقدم نحوى خطوة ثم تردد وتراجع خطوة اخرى الى الخلف. وعنـدمـا اقتربت منه خرّ على ركبتيه وشبك يديه الواحدة بالاخرى وهو ينظر الى بتوسل.

«من انت؟» سألته وانا اقف في مكاني ثابتا.

«بين جن». اجـاب بصـوت صدىء مثـل قفل اصابه الصـدأ «اجـل ياسيدي! اني (بين جن) البائس الذي لم يكلم بشراً منذ ثلاث سنوات».

وعلى الرغم من لون بشرته الفاتم الذي اكتسبه بفعل نور الشمس المحـرق فانـه كان رجلا ابيض وكانت عيناه الفـاتحتا اللون وسط ذلك الوجه الداكن تثيران الفزع ولو قورن بمتسـولي العـالم وفقـرائـه لنال كأس السبق لبؤس حالـه وخشـونـة مظهـره ولملبسه الرث فقد كانت ملابسه

عبــارة عن مجمـوعة من رقع بالية كانت مزيجا من قماش القنب ونسيـج كتيم للمـاء تمـاسـك احـدهما مع الاخر بفعـل عدد من العيـدان الخشبية والازرار المعدنية وحبل مكسـو بالقـار وكـان الشيء الـوحيـد الذي كان بالامكان التعرف عليه بسهولة من جملة ما كان عليه من ملبس هو الحـزام الجلدي ذا المشبـك المعـدني الذي كان يشده حول خصره.

«ثـلاث سنوات!» قلت بدهشة «هل غرقت السفينة التي كنت على ظهرها؟»

- «كلا يارفيقي بل تركت.. هجرت».

كنت اعـرف عن وسيلة العقـاب هذه: وهي ان يتـرك الانســان مهجـورا على ساحل جزيرة ولايعطى غير كمية قليلة من البارود ومسدس او بندقية ليتدبر بهما امره. كان هذا اجراءا مألوفا في مجتمعات القراصنة بشكل خاص.

«ثــلاث سنـوات وانـا اقتـات على المـاعـز والتـوت والمحـار اني اتـوق الى وجبـة مطبـوخة يارفيقي واشتهي بالذات قليلا من الجبن! لااظنك تحمل شيئا من الجبن

أليس كذلـك؟ قضيت عدة ليـال وانـا احلم باكل قطعة صغيــرة من الجبن ـ الجبن المــائــع فوق قطعــة خبـز محمصة» قال (بين جبن).

«اعدك بكميات كبيرة من الجبن اذا ما قدر لي العودة الى السفينة مرة اخرى».

وفي اثنـــاء هذه المحـادثـة كان هذا البحـار البـائس يتحسس سترتي ويدي وجزمتي وهو يعكس شعور بهجة طفـوليـة لوجـود انسان اخر معه وقد انعشه وعدي بجلب كميات من الجبن له فنظر الي قائلا:

«ماسمك يارفيقي؟» سألني باهتمام

«جيم» اجبته قائلا.

«اجل (جم)» قال بنبرة لـم تخل من فرح وراحة «لقد عشت حياة خشنة وصعبة عندما تنظر اليّ فقد لاتظن اني انسان ابن ام واب اليس كذلك؟»

«كلا!» اجبته بصراحة.

«كـانت لي ام تقيـة ورعـة وكنت شابا متحضرا ومؤمنا بالله اقــوم بجميـع ما كتب على من فروض دينيـة وكنت اردد صلواتي بسـرعـة يعجـز الكثيـرون عن مضـاهـاتهـا

ولكنني بدأت انحدر نحو الهاوية عندما تعلمت المقامرة كنا نتسابق في دحرجة النقود المعدنية وكنا نمارس ذلك في إحدى المقابر.

وقد انذرتني امي مرارا وتكرارا وقالت ان الله تعالى سيعاقبني على ذنوبي اجل ياصديقي لقد استذكرت كلماتها في كثير من المناسبات وانا اعيش عزلتي البائسة هذه على ارض هذه الجزيرة الموحشة ولكني عدت الى سابق عهدي : رجلا يخاف الله ويرعى امور دينه. لن تجدني اتعاطى شرب (الرم) بكثرة كما كنت افعل بل اكتفي بجرعة صغيرة جدا ـ جرعة واحد فقط اشربها نخب حظي او نخب حياة شخص عزيز فقط. واعلم ياجيم. . » تم نظر حوله وواصل كلامه بصوت واطيء قائلا «اني ثري ـ أجل! ثري جدا».

لم يعد لدي شك ابدا ان هذا البائس المسكين قد اصيب بالجنون ولربما عبرت قسمات وجهي عما دار في رأسي من فكر بهذا الخصوص اذ سرعان ما بدأ الغضب على (بين)

«اوكد لك اني ثري جدا وساغنيك كذلك لانك كنت

اول من اكتشف وجـودي»« قال ذلـك وهـو بمسك بيدي وينظر الى وجهي مليا ثم واصل كلامه قائلا: «اخبرني يا (جيم) اخبرني الحقيقة بالله عليك: أليست هذه السفينة هي سفينة (فلنت)؟»

«كلا» اجبته «لقد مات (فلنت) ولكن هناك بعض من رجاله على ظهرها وهذا من سوء حظنا».

«هل يوجد بينهم.. رجل له رجل واحدة؟»

«اتعني (جون سلڤر)؟

«هو بالذات» قال وهو يلوي يدي «لو كنت مرسلا من قبل (سلڤر) فسأكون في عداد الاموات!» اخبرته تفاصيل قصة رحلتنا والمشاكل التي واجهناها وعندما انتهيت مسح على رأسي وقال: «انت غلام صالح يا (جيم) ولكنني اجد ان جماعتك قد وضعوا انفسهم في مأزق حرج جدا ومع ذلك عليك ان تضع ثقتك في رفيقك (بين جن) الذي سيعمل على انقاذ الموقف فهل تظن ان السيد الملاك الذي حدثتني عنه يكافىء من يقف منه موقف المساعد والمنقذ؟

اجبته بنعم على الفور.

«اني لااطمح الى عمل اصبح من خلاله خادما هل يوافق السيد هذا بالتنازل لي عن الف باون من ثروة قد أصبحت في الواقع ملكا لي؟» سأل (بين جن).

«اجل» اجبته قائلا. «سيتم تقسيم الثروة التي يحتويها الكنز على عدد المشاركين في الرحلة».

سأل: «وهل سيوافق على تأمين رحلة عودتي الى الوطن؟»

قلت له: «ان (تريلوني) هو سيد مهذب ولن يتوانى عن تلبية مثل هذا الطلب المشروع ولكننا بالاضافة الى ذلك بحاجة الى خدماتك للعمل على ظهر السفينة تأميناً لوصولها الى الوطن بسلام».

«اجل هذا صحيح» قال ذلك وبدت عليه امارات الارتياح ثم واصل كلامه قائلا: «دعني اخبرك قصتي اذا كنت على ظهر سفينة (فلنت) عندما تم دفن الكنز على هذه الجزيرة: فقد نزل الى البر بصحبة ستة من الرجال وبقي على الجزيرة فترة اسبوع باكمله وكان بقية افراد الطاقم ينتظرونه على ظهر الـ (والروس) وعندما انقضى اليوم السابع عاد (فلنت) الى السفينة بمفرده وقد اعتراه

شحـوب يشبـه شحـوب المـوت اما الذين ذهبوا معه فقد ماتوا جميعا ولم يعلم اي من الباقين كيف تم ذلك: هل وافتهم المنيـة نتيجـة مرض او اصابة او انهم قتلوا؟ وكان (بلي بونـز) يعمل مساعداً للربان بينما كان (جون سلفر) مسؤولا عن امور الاعاشة.

وقـد سألاه عن الكنـز ومـاذا حل به فاجـابهمـا قائلا: بامكـانكمـا الـذهـاب الى البـر والتفتيش عنـه ان شئتما ذلـك. ولكن هذه السفينـة لن تنتظر عودتكما فهي ذاهبة في طريقها للحصول على المزيد من الغنائم هذا ما قاله وبعـد مضي ثلاث سنوات على هذه الحـادثـة بالـذات كنت على ظهـر سفينـة اخـرى وقد شاهدنا هذه الجزيرة فاخبـرت رفـاقي عن وجـود كنز (فلنت) فيها وتمكنت من اقناعهم بالقيام بمحاولة العثور عليه وامتلاكه.

لم يرتـح ربـان السفينة لهذه الفكرة الا انه اضطر الى الاستجـابـة نتيجـة الحـاحنـا الشـديـد وقد انصرفنا الى التفتيش عن الكنــز هذا فتــرة اثني عشــر يومـا من دون جدوى وكنت اواجـه العتب واللوم والعبـارات النابية بعد كل يوم من الايــام هذه وفي صبــاح يوم مشـرق معتـدل

الحرارة جاءني رفاقي ليقولوا لي: «يا (بين جن) خذ هذه البندقية وهذه الفأس وكذلك هذه المجرفة.

وبامكانك البقاء على هذه الجزيرة ما تشاء واذا ما اكتشفت كنز الربان (فلنت) فبامكانك الاحتفاظ به لنفسك!» «وهكذا ياعزيزي (جيم) امضيت ثلاث سنوات لم اذق منها قطعة من الجبن ولا قطرة من (الرم). عليك ان تخبر السيد الملاك تفاصيل قصتي يا (جيم) لكي يعرف كيف قضى هذا البحار البائس ثلاث سنوات من عمره على هذه الجزيرة البائسة وذاق حرها وبردها وصحوها ومطرها وهو لايفكر الا بصلواته وامه البارة، الحنون ولكن هناك امر اخر استطاع القيام به وعندما تخبره ذلك اقرصه بحدة قال ذلك وهو يغمز لي بطرف عينه ويقرصني قرصة حادة جدا ليواصل كلامه قائلا: اجل يارفيقي اخبره. قل له ان (بين جن) رجل طيب حسن الاخلاق وانه يثق بالسادة المهذبين لابالمغامرين الرعاع وبعد ان انتهى من كلامه قام بقرصي مرة اخرى.

قلت له: «لم افهم الجزء الاخير مما قلت ولكنني مع

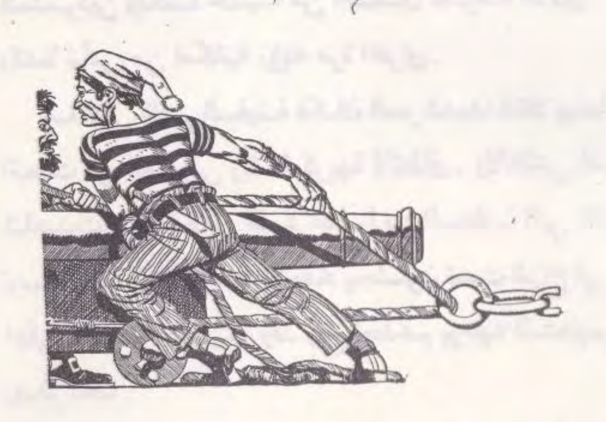
ذلـك اعـدك باني ساخبره ما قلت لي متى ما تمكنت من الوصول الى ظهر السفينة».

«لقــد صنعت قاربــا بيــدي الاثنتين اللتين تراهمـا بعينيـك اجـل صنعتـه بنفسي انـه مخفي تحت الصخرة البيضاء يمكننا الذهاب اليه عند حلول الظلام ياالهي ما هذا؟؟»

على الــرغـم من بقــاء ساعـتيـن على وقت غروب الشمس فقـد اهتـزت الجـزيـرة باكملهـا من جراء قذيفة المدفع التي اطلقت من السفينة.

«لقــد ابتـدأوا القتـال» قلت صائحـا وبـدأت اركض باتجاه مرسى السفينة وكان (بين جن) يركض الى جانبي بكـل خفـة وسهـولة. وسرعان ما تلا اطلاقة المدفع وابل من نيـران اسلحة خفيفة وبعد فترة قصيرة لاحظت العلم البـريطـاني يرفـرف فوق غابـة شاهدت ذلك امامي وفي منطقة لم تبعد عني مسافة اكثر من ربع ميل.

الفصل الحادي عشر
الحصن



كان الوقت قد بلغ الواحدة والنصف ـ او ثلاثة اجراس كما هو متعارف عليه بلغة البحرية ـ عندما انطلق القاربان من الـ (هسيانيولا) الى البر وكنت في القمرة مع الربان والسيد (تريلوني) نتدارس الوضع ولو كانت هناك

نسمة هواء قليلة لما توانينا في التغلب على المتمردين الستة والهروب بالسفينة الى عرض البحر.

ولكن بانعدام الريح ، واخبار انسلال (جيم هوكنز) الى البر لم يعد لدينا اي حول او قوة ولم يكن احدنا يرتاب بنوايا (جيم هوكنز) واحتمال اختياره جانب المتمردين ولكننا خشينا من احتمال تعرضه للاذى. وكدنا نيأس من امكانية رؤيته مرة اخرى.

اما على ظهر السفينة فكان الحر شديدا قاتلا بينما انبعثت من المرسى رائحة كريهة لاتطاق. ولا اظنني قد شاهدت بؤرة للحمى اشد خطرا من المنطقة التي كنا نرسو فيها وكان الستة الاوغاد يجلسون تحت شراع في اعلى مقدمة السفينة وقد راح احدهم بوجهه المتجهم يصفر لحنا.

وقد تقرر ان اقوم انا و (هنتر) بالذهاب الى البر بـ (القارب الملحق)* للاطلاع على ما كان يدور هناك من

* القارب الملحق - هوزورق صغير ملحق بسفينة شراعية كان استخدامه مقصورا على اداء المهام اليسيرة - المترجم

أمـور وفعـلا قمنـا باخـذ القـارب هذا وسرنا باتجاه موقع الـحـصـن كما تبـيـنـه الـخـريطـة. وقـد شاهـدنـا في أثنـاء رحلتنا هذه الرجلين اللذين كان (سلڤر) قد تركهما عند الساحل لحراسة القاربين اللذين اقـلا افـراد الطـاقم الى الجـزيـرة وقـد قام الـرجـلان المـذكـوران بمشـاهـدتنا الى ان توارينا عن انظارهما اثر اتجاهنا الى منعطف في الخط الساحلي.

ومـا ان وصلنـا البـر حتى انطلقنـا نقطـع مسـافة مائة اليـاردة بين السـاحل والحصن ركضا وكان كل منا يحمل مسدسين جاهزين للاستعمال.

كان الحصن هذا يضم دارا متينـة البنـاء شيـدت من جذوع الاشجار وانتصبت فوق تل صغير وعلى مقربة من نبـع للمـاء الصـافي وكـان للمبنى هذا عدد من الثغرات على جانبيه لاغراض استخدام الاسلحة النارية الخفيفة وكانت الدار محاطة بسياج مبني من الواح خشبية متباعدة بلغ ارتفـاعـه ست اقدام وكانت الفراغات بين الواحة من العرض بحيث لاتؤمن اي غطاء للمهاجمين وكان مجال الـرمي مفتـوحـا امـام الدار بشكل يمكن عشرة رجال من

الصمود امام قوة عمادها فوج باكمله.

وقد استهوتني فكرة وجود نبع الماء الى حد بعيد جدا. كانت الـ (هسيانيولا) تحمل السلاح والعتاد والطعام والنبيذ الفاخر ولكنها كانت تفتقر الى الماء كان الأمر هذا يجول في رأسي عندما سمعت صرخة موت اطلقها رجل ولم يكن الموت بالنسبة لي امرا جديدا.

فقد سبق لي الخدمة بامرة (دوق كامبرلاند)(*) وقد اصبت بجرح في رجلي في اثناء معركة (فونتيينوي)(**).

وقد خشيت ان تكون صرخة الموت هذه صادرة من (جيم هوكنز)، فاخذت نبضات قلبي تزداد سرعة.

اسرعنا الى (القارب الملحق) وذهبنا الى السفينة فوجدنا ان ماسمعناه قد هز رجال مجموعتنا وارعبهم -

---

* - دوق كامبرلاند - قائد عسكري بريطاني مشهور خاض معارك حاسمة عديدة خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر. وعبارة (دوق) هي لقب ارستقراطي يعد اعلى الالقاب بعد الامير. وقد يرأس دولة كما كان عليه الحال في اوربا حتى نصف الربع الاول من القرن التاسع عشر.

** واقعة فونتينوي: هي المعركة الشهيرة التي خاضتها القوات الملكية الفرنسية عام ١٧٤٥ ضد القوات البريطانية - الهولندية المشتركة بقيادة (دوق كامبر لاند). وقد انتهت المعركة بفوز القوات الفرنسية التي قادها المارشال المحنك (دي ساكس) المترجم

كان السيد شاحب اللون وهو يفكر بما تسببه من مشاكل نتيجة سوء تصرفه في الاساس. وقد شملت موجة الرعب هذه، ان صح التعبير، واحداً من البحارة الستة الذين تركهم (جون سلفر) على ظهر السفينة.

قال الربان (سموليث) وهو يشير الى البحار هذا: «ان الرجل هذا حديث العهد بمثل هذه الاعمال والممارسات. ان مجرد حث بسيط من جانبنا سيدفعه الى نبذ جماعته واللجوء الينا.»

اطلعت الربان (سموليث) على تفاصيل خطتي التي قضت بالانسلال من السفينة - بعد اخذ كفايتنا من المؤن والاسلحة والعتاد - والاعتصام في الحصن لمقاتلة المتمردين. وسرعان ماعملنا على القيام بتنفيذها.

قام (ريدرووث) بحراسة الرواق بين القمرات ومقر اقامة افراد الطاقم بعد ان زودناه باربع بنادق ومرتبة كبيرة من اجل حمايته. وقام (هنتر) بجلب القارب ووضعه تحت باب السفينة الخلفي، بينما قمنا أنا و(جويس) بتحميل القارب بصفائح البارود والبنادق والبسكويت وبراميل (البيرة) وقناني الكونياك وصندوقي الطبي الكبير. اما السيد (تريلوني) والربان (سموليث) فإنهما بقيا على ظهر السفينة وقد قام الاخير بمناداة (هاندز) - مدير الدفة

المتمرد ـ بصفته اهم البحارة الستة .

«اسمعني يا (هانـدز) . اننا مسلحون بمسدسات ولا نتـواني عن قتـل اي شخص منكم قد تسـول له نفسـه اعطـاء اشـارة لمن هم في البـر. وسـرعان ماقفز البحارة الستـة ليقفـوا منتصبين وليهـرعـوا بعـد ذلك بالنزول من السُلّم الامـامي المؤدي الى القسم الاسفل ليتمكنوا بعد ذلك من التعرض الينا من الخلف . ولكنهم عندما وجدوا (ريدرووث) امامهم عادوا ادراجهم . وبعد ثوانٍ برز رأس على ظهر السفينةفصاح به الربان قائلاً : «اخفض رأسك ايها الكلب حيث انت! فاختفى الرأس فوراً .

وكنـا في تلك اللحظـة قد انتهينـا من تحميل القارب فاتجهنـا به انـا و(جـويس) و(هنتـر) نحـو البـر باقصى ما تستطيع المجاذيف دفعنا من سرعة .

في هذه المـرة ارتـاب الحـارسـان على البـر من أمـر رحلتنا هذه فقفزا واقفين . وقبل ان نختفي وراء المنعطف لاحظت قيـام احـدهمـا بالتقـدم نحـو الاشجـار طلبـاً للمسـاعـدة . وقـد راودتني فكـرة التقـدم بهـدف تدميـر القاربين ولكنني خشيت من عامل الوقت ـ لم يكن لدينا متسع من الوقت للقيام بذلك وتحقيق ايصال شحنتنا الى الحصن في آن واحد .

وبعد ان قمنا بنقل الحمولة الى الحصن وتركها بحماية (جويس)، عدت انا و(هنتر) الى القارب. كان بامكان (جويس) ان يقف موقفاً حازماً ومشرفاً بالبنادق الست التي كانت بحوزته. اما انا و(هنتر) فقد قمنا مرة اخرى بتحميل القارب والعودة مجددا الى الحصن. وعندما قمنا بنقل حمولتنا الى الحصن عدت الى السفينة بمفردي.

لم يبد امر قيامنا بنقل حمولة ثالثة عملاً جريئاً بالدرجة التي قد يتصورها البعض. فلم يكن لدى اي من الرجال الذين كانوا على البر بندقية، اومسدس. وقد ظننا ان بامكاننا قتل ستة منهم تقريبا قبل وصولنا الى البر والاشتباك معهم في معركة ضارية وذلك بتصويب نيران اسلحتنا النارية ضدهم. وكان السيد (تريلوني) بانتظاري عند شباك الجهة الخلفية من السفينة بعد ان كان قد تجاوز خوفه واسترد لونه الطبيعي. وقد قمنا بتحميل القارب مجددا بما لدينا من لحم الخنزير والبسكويت والبارود، ثم حمل كل منا ـ انا والسيد (تريلوني) والربان و(ريدرووث) ـ بندقية وسيفاً. اما بقية الاسلحة وصناديق العتاد فقد قمنا بالقائها في البحر.

اخذ مستوى الماء ينحسر بعد المد. وقد جاءتنا من

جهـة الشـاطىء اصـوات ضعيفـة صادرة من جهة قاربي المتمـردين عنـدمـا ركبنـا القـارب الملحق. وهنـا توجه الربان (سموليث) بنظره نحو السفينة وصاح قائلا:

«هل تسمعني يا(ابراهام جراي)؟»

لم يأت اي جواب من مقدمة السفينة.

«اني اتـرك السفينـة (يـاجـراي) وانـا اوجه لك امرا، بصفتي قائـدك، يقضي بضـرورة قيـامـك بالالتحاق بي فوراً ـ احمـــل معي ساعـــة واني امهلك فتـرة من الـزمن قدرهـا ثلاثـون ثانية فقط، فعليك في غضونها القيام بما يمليه عليك واجبك».

تلا ذلك فترة صمت لم يسمع في غضونها شيء.

«هيـا ايهـا الـرجل»، قال الربان «اسرع فاني اعرض حياتي وحياة البقية للخطر في كل لحظة.

تلا ذلك شجار، سُمع من خلاله صوت تبادل الضربات والكلمات؟ وعلى حين غرة برز (جراي) وقد حمل خده جرح سكين واضحا.

«اني معكم ياسيـــدي!» قال جراي ذلـــك وقفـز الى المـاء. وسـرعـان ما انتشلناه من الماء واجلسناه معنا في القارب ثم بدأنا نجذف باتجاه الساحل.

كان قاربنـا يحمـل اكثـر من طاقتـه، ولـذلك اخذت

المياه تغمر جوفه وما كدنا نقطع مسافة مائة ياردة تقريباً حتى كان سروالي ومعطفي قد تشبعا بالماء. وقد اخذ الجزر يكوِّن تيارا وسط مصب النهيرين، ويدفعنا بعيدا عن نقطة نزولنا. فلو سلمنا امرنا للتيار هذا لاصبحت نقطة نزولنا على مقربة من زورقي المتمردين حيث كان ظهور (سلڤر) محتملاً في اي وقت.

وجهني الربان (سموليث) للقيام بتوجيه القارب شرقاً وبزاوية قائمة مع المجال الذي كان علينا ان نسلكه ـ فقد ادرك مسبقاً احتمال انخفاض حدة التيار كلما اقتربنا من الشاطىء وكان علينا النزول عند اقرب نقطة تقودنا الى الحصن.

وفجأة تكلم الربان مرة اخرى. وقد لاحظت تغيراً واضحاً في نبرة صوته. قال: «المدفع!»

ظننت في بادىء الامر انه يقصد احتمال قيامهم بقصف الحصن، ولذلك قلت له: «لن يتمكنوا ابدا من جلب المدفع الى البر وحتى لو تمكنوا من ذلك فانهم لن يتمكنوا من سحبه عبر الغابات.»

ـ «انظر الى الجهة اليسرى ياحضرة الطبيب، قال الربان. كان المتمردون الخمسة على ظهر الـ(هيسيانيولا) يرفعون القماش المشمع من فوق

المدفع الطويل الذي كان في وسط السفينة. وقد ادركت فوراً باننا كنا قد تركنا القذائف والبارود الخاصين بالمدفع في الخزانة. وهنا التفت (ابراهام جراي) نحوي وقال لي بصوت اجش: «ان (هاندز) مدفعي ممتاز فقد كان افضل المدفعيين لدى (فلنت)، بل المدفعي الاول».

وجهنا مقدمة القارب باتجاه نقطة نزولنا على الساحل مباشرة. وكنا في هذه اللحظة بالذات باتجاه متوازٍ مع جانب السفينة وبذلك فقد كنا امام فوهة المدفع الموجهة من هذا الجانب اي اننا كنا هدفاً سهلاً وواضحاً. وكان بامكاني لا رؤية (هاندز) حسب، بل مشاهدته ايضا وهو يجلب القذائف ليضعها في المدفع.

من هو افضل هداف بيننا؟ سأل الربان.

«السيد (تريلوني)» اجبته قائلا:

«هل لك ان تصيب احد هؤلاء المتمردين بنار بندقيتك ياسيدي (تريلوني)؟ وحبذا لو استطعت اصابة (هاندز) بهدوء وبرود أعصاب اعد السيد (تريلوني) بندقيته استعداداً للرماية. وقد وقفنا متأهبين لغرض موازنة القارب في اثناء قيام السيد الملاك باطلاق بندقيته. وبالفعل فاننا اخذنا نتكيء من جانب الى آخر للحفاظ

على توازن القارب عندما اسند (تريلوني) البندقية الى كتفه .

امـا على ظهـر البـاخرة ، فكان (هاندز) يقف خلف فوهة المـدفـع حامـلا بيـده المـدك فكـان بذلـك اكثر تعرضا للاصـابـة من اي من رفـاقه الاربعة . ولكن حسن طالعه دفعه الى الانحناء في اللحظة التي اطلق فيها (تريلوني) رصـاصته التي انطلقت لتصيب البحار الذي وقف خلف (هـاندز) والذي هوى ساقطا وهو يطلق صرخة عظيمة لم يردد صداهـا رفـاقـه الـذين كانـوا يقفـون قربه على ظهر السفينـة حسب بل وعـدد من اولئـك الـذين وقفـوا على الشـاطىء ايضـا . وكـان عدد آخـر من الـذين كانوا على البر. يظهرون من بين الاشجار ويتجمعون على ظهر احد القاربين ، اما البقية فقد اخذوا يسرعون على امتداد الشاطىء محاولين الوصول الينا وقطع تقدمنا .

وقد قمت بجلب انتباه الربان اليهم .

«انهم يضيعـون وقتهم ويجهـدون انفسهم بلا جدوى ، » قال الربان (سموليث) . «اني لا اخافهم ابدا ، بل اخاف من قذيفة المدفع . اننا نشكل هدفاً تسهل اصابته بالنسبة للمتمردين الذين يقفون على ظهر السفينة . والآن نطلب من السيـد (تريلوني) مراقبة تحركات (هاندز) ومجموعته

وتحذيرنا حالما يوشكون على اطلاق القذيفة لكي نتدبر امرنا!»

كنـا في اثنـاء ذلـك على بعد ثلاثين او اربعين ضربة مجـذاف من الشـاطىء حيث يمتـد شريـط ارضي ضيق يمكننـا النـزول عنـده. وكـان قارب القراصنة، من جهة اخـرى، ينحـرف عن خط سيـره المطلوب بفعـل الجزر وبذلك كان المدفع يشكل الخطر الوحيد بالنسبة لنا.

وكان (هاندز) يصوبه نحونا وقد اهمل الرجل الجريح الذي اخذ يزحف بعيدا عنه.

وهنا صاح (تريلوني): «حاذروا!»

وصاح الربان بدوره: : «توقف!»

وفي هذه اللحظة بالذات انحنى هو و(ريدرووث) كل على المجـداف الـذي بيـده وبـدأا فوراً بالجـدف الى الخلف بقـوة شديـدة دفعت مؤخـرة القارب تحت سطح المـاء. وبعـد لحظـة سمع صوت القذيفة وكان هذا اول صوت سمعه (جيم هوكنز) اذ انه لم يكن قد سمع صوت العيـار النـاري الذي كان (تريلوني) قد اطلقه من بندقيته واصاب به البحار الذي وقف خلف (هاندز). وقد اثارت قذيفـة المـدفع هذه رشاشاً من الماء راح يتناثر هنا وهناك ويملأ زورقنـا الذي اهتز بعنف بحيث لم يبق على ظهره

سوى اناو الربان اما البقية فقد انقلبوا ساقطين في الماء.

وقد تمكنا من الخوض في الماء والوصول الى البر بسلام ولكن ذخيرتنا سقطت لتستقر في القعر. ولم تتعرض بندقيتي للماء لاني تمكنت من رفعها الى الاعلى وكذلك بالنسبة لبندقية الربان الذي كان قد علقها على كتفه.

وكنا على ثقة من تمكن (هنتر) من الصمود داخل الحصن وان ساورنا الشك بالنسبة لـ(جويس) الذي لم يكن رجل حرب. وقد خضنا في الماء باقصى ما تمكنا من سرعة تاركين القارب خلفنا. وعندما كنا نسرع في قطع المسافة بين الشاطىء والحصن كانت اصوات القراصنة تأتينا واضحة ينادي بعضهم الآخر ويحاولون عبثا قطع الطريق الصحيح والاقصر عبر الاجمة القريبة من الحصن.

ولما كان (تريلوني) افضل هدافٍ بيننا، فان الربان تنازل له عن بندقيته محتفظاً بالبندقية التي كانت اصلا لدى الملاك والتي ابتلت نتيجة سقوطه في الماء. ولما كان (جراي) اعزل فاني اعطيته سيفاً وقد اثلج صدورنا عندما بصق على يده وامسك مقبض السيف وحرك يده بعنف بحيث جعل النصل يحدث صفيراً. وقد بات

واضحا ان مساعدنا الجديد كان مكسباً مجديا .

وعند وصولنا الحصن هاجمنا مايقرب من سبعة متمردين ، يقودهم (جوب انديرسون) ، ولكنهم سرعان ماتراجعوا مولين الأدباء بعد ان جرح احدهم وسقط الآخر ميتاً نتيجة الاطلاقات النارية التي صوبها نحوهم كل من (هنتر) و(جويس) من داخل الحصن وانا والسيد (تريلوني) من خارجه .

وبعد ان اعدنا حشو بندقيتينا ذهبنا لنلقي نظرة على الرجل الذي سقط صريعاً ، فوجدناه جثة هامدة نتيجة اصابته في قلبه ، وفي تلك اللحظة عندما وقفنا فرحين نتأمل ماحققناه من نجاح سقط (ريدرووث) المسكين صريعاً بعد ان اصابته فجأة رصاصة مسدس اطلقت من بين الشجيرات التي انتصبت امامنا بكثافة . وقد قمنا انا والسيد (تريلوني) بتوجيه نار بندقيتنا نحو المنطقة التي جاءت منها الاطلاقة ولكننا لم نكن نعلم اين الهدف . ثم التفتنا لنركز اهتمامنا على (ريدرووث) . وسرعان ما ادركت بان موته بات وشيكا . وكان يئن الما وينزف دما عندما حملناه الى داخل الدار.

وكان (حارس الطرائد) هذا مثال الوفاء والطاعة .

فعلى الرغم من تقدم سنه فانه كان ينفذ كل امر يصدر له

خلال محنتنـا هذه بطـاعـة عميـاء وعنـدما سقط جريحا برصاص القراصنة لم يبدر منه اي نوع من التذمر ولم يقل سوى العبـارة التـالية : «ليتني كنت قد تمكنت من توجيه نار بندقيتي نحوهم اولا!»

وقــد توفي بعـد ذلـك بلحظـات وفي اثنـاء قيـام السيـد (تريلوني) بتلاوة بعض الصلوات.

وفي نفس الــوقت لاحظت ان الــربــان كان يفــرغ محتـويـات جيـوبه التي بدت منتفخة لكثرة ما احتوته من اشيــاء ـ فقــد اخــرج منهــا انجيــلا وعلمين وطنيين بريطانيين، واقلاما ودواة وسجل السفينة الرسمي والكثير من التبغ. وكان قد اكتشف وجود عمود من خشب التنوب فقـام بالتعـاون مع (هنتـر)، بتثبيتـه في احدى الزوايا ثم تسـلق الى سطــح الــدار حيث قام بوضــع العلم على العمـود. وعنـدمـا هبـط نازلاً لف جثـة (توم ريدرووث) بالعلم الثاني،

«لقـد مات ميتـة شريفـة»، قال الـربان وهو ينظر الى جثـة (ريـدرووث). لا خوف على من يمـوت في سبيـل الواجب. ان موقفنا ليس جيدا كما تصورنا.

فعلى الـرغم من وجود كميات كافية لدينا من العتاد، الا اننا نعاني من نقص في المواد الغذائية نتيجة ماضاع

منا في اثناء الرحلة الاخيرة هذه ولذلك اعتقد اننا قاب قوسين او ادنى من الفشل».

وفي تلك اللحظة بالذات مرت فوق الدار قذيفة مدفع، لها دوي وصفير، لتسقط بعيدا في الغابة.

وهنا قال الربان موجهاً كلامه الى القراصنة:

«هيا ايها الاوغاد! مزيدا من القذائف لكي تستنفدوا الكمية القليلة التي بحوزتكم من البارود!»

ثم سقطت القذيفة الثانية في باحة الحصن لتثير عاصفة من الرمل ولكنها لم تحدث اي ضرر ابدا.

وقال السيد (تريلوني) يخاطب الربان: «لا يمكن رؤية الدار من السفينة، ياحضرة الربان. انهم يصوبون قذائفهم نحو العلم باعتباره دلالة لهم. اليس من الاجدى بنا انزاله؟»

«أنكس رايتي؟» صاح الربان مشمئزاً. كلا والف كلا!»

واظننا قد أيدنا الربان جميعا لان اصرارنا على ابقاء الراية مرفوعة قد اوضحت لاعدائنا بشكل لا يقبل الشك اننا نستهين يقذائفهم المدفعية ولا نحسب لها اي حساب.

وهكذا استمر القراصنة بارسال قذائفهم خلال الامسية باكملها. وكانت القذائف تسقط قبل وصولها الحصن او من فوق الدار لتسقط بعيدا باستثناء واحدة فقط سقطت

فوق سطح الـدار فاحـدثت فجـوة وسقطت على ارضـه لتحـدث فجـوة ثانيـة. وسرعان ما اعتدنا هذا العبث ولم نعد نعير اي اهتمام ابدا.

وقـد تبـرع (جـراي) و(هنتـر) للذهاب الى الشاطىء لاستعـادة صنـاديق لحم الخنزير من البحر ولكنهما عادا مسـرعين ليخبـرونـا ان القـراصنـة كانوا يطوقون المنطقة بكـامـل عددهم وبقيـادة (سلفـر). وكـان لدى كل منهم بندقية قد حصل عليها من مصدر سري.

وبعـد قليـل صاح (هنتـر)، الذي كان يقوم بالحراسة والمراقبة، قائلا: «ينادينا احدهم!»

وهنـا صاح صوت قائـلا: يا حضـرة الطبيب! ياسيـدي الملاك! ايها الربان! هل هذا انت يا (هنتر)؟»

هرعت الى البـاب لاجد ان (جيم هوكنز) كان يتقدم بحذر نحو الحصن. وما هي الا لحظات حتى اصبح في وسطنا.

الفصل الثاني عشر
حوار ثم هجوم



حالما شاهد (بين جن) العلم البريطاني يخفق فوق الحصن فانه اوقفني وجلس قائلاً:

«ان رفاقك يقبعون بسلام وامان داخل حصن (فلنت). وسيقوم (سلفر) بدوره برفع علم القراصنة

الـ(جـولي روجـر) . ولكنني أوكـد لك ان رفاقك هم في وضـع افضـل بكثيـر لمتانة المبنى الذي اقامه (فلنت) . أجل !(فلنت) الذي لم يكن يخشى احدا غير (سلفر) هذا .

«اذن عليِ الاســراع والالتحـاق برفـاقي» ، قلت ولن يرافقك (بين جن) الا بعد حصولك على عهد شرف من السيـد المـلاك بخصـوص حصـولي على ألف پاون من الثروة وسأكون بانتظارك في نفس المكان الذي التقينا به اول مرة . وعليكم مراعـاة امـر هام : من يرد القـدوم لأي سبب من الاسبـاب فعليـه التقـرب حامـلا علما ابيض . ولـدى صديقـك ورفيقـك (بين جن) واجب ان كان بنيـة القـراصنـة هؤلاء المبيت في البـر هذه الليلة . ستتـرمـل بعض الـزوجـات وستثكـل بعض الامهات اولادهن قبل انبلاج الصباح» . .

وهنـــا انقطـــع كلام (بين جن) بفعـل دوي المـدفـع وسقوط قنبلة على الرمال قرب المكان الذي كنا نقف فيه الامـر الـذي دفعنـا الى الانطلاق راكضين كل في اتجاه مختلف عن الآخر .

وقـد استمر القصف هذا زهاء ساعة من الزمن اهتزت فيهـا الارض كلمـا راحت قذيفـة تمزق اغصان الاشجار

وتثير عاصفة من الرمال والطين بعد ارتطامها في الارض . وكنت انتقل من مخبأ الى آخر وانا اخاف التقرب من الحصن الذي كان القصف متركزا على الحزام المحيط به . وبدلاً من ذلك فاني سلكت طريقي باتجاه شرقي ، على امتداد الشاطيء .

وكانت الشمس قد غابت لتوها والريح تهز الاشجار وتعكر مياه المرسى وقد انخفض المد ورحت انا امشي على امتداد الرمل الرطب حيث لاحظت علم القراصنة الـ(جولي روجر) يعلو فوق السفينة خفاقاً . وفي اثناء قيامي بالنظر اليها لاحظت هناك وميضاً تلاه دويّ عالٍ من مدفعها ـ وبهذه القذيفة انتهى القصف المدفعي الى غير عودة . وكان عدد القراصنة يوجهون ضربات فؤوسهم الى زورق ليقطعوا قطعاً خشبية بينما اندلعت نار كان بالامكان رؤيتها من خلال الاشجار وهي على مقربة من مصب النهير .

وفي اثناء سيري على امتداد الشاطىء لاحظت صخرة بيضاء منفردة ، ارتفعت فوق الشجيرات التي احاطت بها ، فتذكرت ماقاله لي (بين جن) وادركت اين يمكنني الحصول على قارب اذا ما احتجت واحداً .

بعد ذلك سرت بمحاذاة طرف الغابات الى ان

اشرفت على الحصن من جهة الشاطىء
فركضت عبر الارض الرملية الفاصلة وما لبثت ان دخلت الحصن لاجـد ترحيبـاً دافئاً وصميماً من لدن اصحابي . وما ان انتهيت من رواية تفاصيل قصتي حتى بدأت انظر حولي .

كانت الـدار مبنيـة من جذوع اشجـار الصنـوبـر المـرصـوصة بعضها الى البعض الآخر بطريقة تفتقر الى التنـاسق بحيث كثـرت الثغـرات والفتحـات بينهـا الامر الذي من خلاله كانت الريح تصفر عبرها وهي تقذف الى الداخل رذاذاً من الرمل الناعم كلما هبت . وكانت الرمال هذه تجـد طريقهـا الى عيـونـا واسناننا وما كنا نتناوله من طعـام . ولم تكن المـدخنـة اكثر من فتحـة في السقف وبـذلـك لم تجـد طريقهـا الى الخارج الانسبة قليلة من الـدخـان الـذي كان يتصـاعـد في اثناء اشعالنا اية نار، ولـذلـك كنـا نسعل باستمرار ونمسح سيول الدموع التي كانت تنهمر من عيوننا .

وقـد قام الـربـان (سمـوليث) بتقسيمنـا الى وجبتين تتنـاوب الحـراسـة والمراقبة : كانت الوجبة الاولى تضم الطبيب وانـا و(ابراهام جراي) بينما ضمت الوجبة الثانية السيد (تريلوني) و(هنتر)و(جويس) . كما ارسل اثنين منا

لجلب الحطب وكلف اثنين آخرين بحفر قبر (ريدرووث).

وقد تولى الطبيب مهمة طهو الطعام بينما وقفت انا اراقب ما يدور خارج الباب. وكان الطبيب يأتي ليقف قرب الباب، بين وقت لآخر، لاستنشاق قليل من الهواء النقي. وقد قال لي في احدى هذه المناسبات: «ان (سموليث) هذا هو رجل افضل مني بكثير.» ثم سألني: «هل تظن ان (بين جن) هذا رجل؟» «لست متأكدا ان كان يتمتع بكامل قواه العقلية،» اجبته قائلاً:

«لا تتوقع من رجل قد قضى فترة ثلاث سنوات وهو يعيش عزلة تامة على جزيرة موحشة مثل هذه ان يتصرف بعقل ومنطق مثل تصرفك او تصرفي، (يا جيم). هل قال انه يشتهي جبناً؟

«اجل يا سيدي»، اجبته قائلا. طلب مني قليلاً من الجبن».

«لدي صندوق صغير اضع فيه قليلا من السعوط، على الرغم من اني لا اتعاطى استنشاقه عادة. ولكنني كنت قد وضعت فيه كمية قليلة من جبن (الپارميزان)(*).

---

* ـ جبن پارميزان ـ ويسمى جبن (پارما) وهي المدينة الايطالية التي يصنع فيها هذا الجبن الجاف الذي يهوى اكله الكثير من الناس ـ المترجم

فيمكنك اخذ هذه الكمية واعطاؤها لـ(بين جن) . »

وبعد ان تناول كل افراد مجموعتنا وجبة من لحم الخنزير الذي كنا قد جلبناه معنا، وشرب كل منهم قدحاً من البراندي الممزوج بالماء، جلس الرؤساء الثلاثة في زاوية من الدار لتدارس موقعنا الذي لم يكن يبشر بخير. فلم يكن لدينا اي سبيل للحصول على اية مساعدة من جهة خارجية. وكنا، قبل مبارحتنا ميناء برستول والتوجه الى هذه الجزيرة، قد اتفقنا على ان تقوم سفينة اخرى بالتحرك من الميناء المذكور ومحاولة البحث عنا إن لم نكن قد عدنا في نهاية شهر آب من هذا العام. إلا ان تحقق هذا الفرج كان يعني وجوب. انتظارنا اشهراً عديدة، وفي كل الاحوال كنا سنضطر الى الاستسلام بسبب نفاد مالدينا من طعام قبل وصول هذا الفرج بفترة طويلة. وكان افضل امل لدينا، على مابدا، وهو التوفيق في القضاء على القراصنة، أوعلى اكبر عدد منهم بحيث يضطرون اما للاستسلام اوللعودة الى السفينة والابحار تاركيننا على الجزيرة. وقد كانوا في بداية الامر تسعة عشر رجلاً اصبحوا الان خمسة عشر فقط بما فيهم اثنان كانا قد اصيبا بجروح، علما ان احدهما ـ وهو الذي اصيب على ظهر السفينة ـ كان بالضرورة في وضع

سيىء، ان لم يكن قد توفي. وبالاضافة الى كل ذلك كان لدينا حليفان يقاتلان الى جانبنا: (الرُم) والجو.

اثناء الليل كنا نسمع المتمردين وهم يرددون اناشيدهم بصوت مدوٍ اثقله الخمر. ولما كانوا قد عسكروا قرب المستنقع فقد اعتقد الدكتور (لايڤزي) ان نصفهم سيقع صريع الامراض الفتاكة في فترة لا تزيد عن اسبوع واحد. وهكذا، استنتج الدكتور (لايڤزي) قائلاً: اذا ما اخفقوا في قتلنا فسوف يكونون سعداء لتمكنهم من الهرب على ظهر الـ(هسيانيولا) التي بامكانهم دائماً ان يجولوها الى سفينة قراصنة ويستخدموها لهذا الغرض»

«ستكون عند ذاك اول سفينة افقدها»، قال الربان (سموليث) وهو يطلق الحسرات.

نمت نوماً عميقاً بعد ان انتهت نوبتي وحل بديلي محلي ولم افق إلا على صوت هرج ومرج حولي. ثم سمعت احدهم يقول: «جاء واحد منهم يحمل الراية البيضاء.» وبعد لحظات صاح صوت آخر قائلا:

«انه (سلڤر)! (سلڤر) بنفسه!»

وبعد ان قمت بفرك عيني هرعت الى احدى الفتحات في الجدار والقيت نظرة الى الخارج. كان

الـوقت مبكـرا جدا من صبـاح يوم بارد كانت سمـاؤه صافيـة . وقـد رأيت (سلقـر) يصـاحبـه رجل يحمل راية بيضـاء وهمـا يمشيـان بتأنٍ ، كمن يخـوض في المـاء وينظران الى الحصن يشيء من الحذر.

«قف والا سنضطـر الى اطـلاق النـار! صاح الـربـان محذراً . ثم اوعز الينا من فوق كتفه قائلاً :

«ليقف كل منكم في موضعه داخل الدار. انها خدعة بالتأكيد .

«اننا نرفع راية المهادنة» ، صاح (سلقر) .

«وماذا تبغيان من رفع راية المهادنة؟» سأل الربان .

وهنـا اجـاب الرجل الذي جاء بصحبة (سلقر) قائلاً :

«نطلب المـوافقـة ، ياسيـدي ، على قيـام رئيسنـا الربان (سلقر) بالمجيء اليكم وعقد حوار معكم للوصول الى تفاهم» .

ـ «الـربـان (سلقـر) ! لعمـري انـه ترفيـع الى رتبـة اسمى !» تمتم الـربـان وهـو يكلم نفسه ثم صاح بصوت جهـوري قائـلا : ومن هو الـربـان (سلقر) هذا؟ انني لم اسمع باسمه من قبل !»

«انا ، ياسيدي ! لقد انتخبني الرجال رباناً عندما تركتنا هاربـاً ، (قـال جون سلقـر) وهـو يشدد على عبارة «تركتنا

هارباً» . «ان كل ما اطلبه هو المجيء اليكم للحوار ومن ثم المبارحة بسلام على ان تتعهدوا بعدم اطلاق النار إلا بعد ان اكون قد بارحتكم بأمان»

«اذا مارغبت في الحوار فتقدم» ، قال الربان «وان كانت هناك اية خيانة او محاولة للغدر فانها ستصدر من جانبكم انتم لامن جانبنا . »

«ان وعد السيد المهذب هي كلمة شرف اكتفي بها» ، قال (سلڤر) ثم تقدم الى السياج . وبعد ان اسند عكازه الى الجزء الداخلي للسياج تسلقه بخفة وسرعة ليجد نفسه داخل منطقة الحصن . وقد قام الربان (سموليث) بالجلوس على عتبة الدار وهو يصفر لحناً ويراقب تقدم (سلڤر) نحوه .

«اجلس يا رجل!» قال الربان .

«ألا ندخل الى الدار ، ياسيدي؟» سأل (سلڤر) «ان الطقس بارد لا يسمح للشخص بالجلوس على الرمل براحة على ما اظن . »

«لوكنت رجلاً صادقاً وشريفاً ، يا (سلڤر) لكنت الآن تجلس في مطبخك على ظهر السفينة . وفي كل الاحوال انت واحد من اثنين : اما ان تكون طباخ سفينتي او الربان (سلڤر) ـ القرصان المتمرد ـ الذي سيكون مصيره

حبل المشنقة.»

«حسن إذن، قال طباخ السفينة،» عليك ان تمد لي يدك لتساعدني على الوقوف بعد انتهاء حوارنا.

قال ذلك ثم ارتمى الى الارض جالساً وهو ينظر حوله.

وعندما وجدني استرق النظر اليه حياني وطلب مني ابلاغ الدكتور (لايڤزي) تحياته واحترامه.

«من الاجدى بك الافصاح عن قصدك،» قال الربان.

«هذا ماجئت من اجله» قال (سلڤر). لقد ابليتم بلاءً حسناً مساء يوم امس. كما يبدو ان احدكم يحسن استخدام الهراوة استخداماً فاعلاً وقتالاً!

كان امراً باغت رجالي الذين توجب عليهم منذ آلاٰن فرض الحراسة المشددة على معسكرنا خشية تكرر ماحدث ليلة الامس. ولو قدر لي النهوض من نومي لحظة قبل ان اتمكن من الاستفاقة لما استطاع الشخص هذا الافلات من قبضتي. ولم يكن رفيقنا قد مات بعد، عندما شاهدته للمرة الأخيرة.»

وفجأة تذكرت ماقاله لي (بين جن) حول قيامه بجعل بعض نساء المتمردين ارامل. فلابد انه إذن قد قام بمباغتة معسكر القراصنة وهم مستلقون حول النار بعد

ان اسكـرهم (الـرم)! ولم استطـع مغـالبة ابتسامة تشفٍ اعتلت وجهي إثر ادراكي ان عدد اعدائنا قد هبط ليصبح اربعة عشر.

«حسن»، قال الـربـان بهـدوء وهـو يشعـل غليـونـه. انه بالتأكيد لم يفهم ماقاله (سلڤر) ابدا.

وكيف كان له ان يعرف؟ ولكن نبرة صوته لم تكشف عن جهله الامر هذا ابدا.

قال (سلڤر): «اننا نريد الكنز، وسنفوز به حتما، كما نريـد الخـريطـة مثلما تريدون انتم الخروج من الجزيرة بسلام وامان.»

«هذا امر متروك للظروف»، اجاب الربان.

«لا داعي للتعــامــل مع رجــل بهـذه الطـريقـة»، قال (سلڤـر). «انـه امـر غيـر مجـدٍ لاسيمـا واني شخصيا لا اضمر لكم اي شر».

«ان كلامك هو الشيء غير المجدي، يا ايها الرجل. اننـا ندرك جيـداً ما اردتم القيام به وما قررتم لنا من مصير ولكنكم الآن عاجزون عن ذلك.»

«هـل باح (ابـراهـام جراي) بالسر اذن؟ سأل (سلڤر) بعصبية ظاهرة.

«لا تتســرع في حكمـك على الامـور»، صاح الـربـان (سمـوليث). «لم يخبرنا (جراي) بشيء ولم نسأله نحن بدورنا شيئاً ابدا. ولكن اعلم يارجل اني لن استسلم إلا بعــد ان اكــون قد افنيتكم وافنيت هذه الجــزيــرة من الوجود. وهذا موقفي الثابت».

وقـد دفـع غضب الـربـان هذا واصراره بـ(سلڤر) الى الهدوء والى استجماع قواه للقيام بمحاولة اخرى.

وهنـا اخـرج غليـونـه الطيني وبعض التبغ وقال يخاطب الـربـان: «تستهـويني جميع ممارسات السادة المهذبين والتي اجـدهـا في غايـة التنسيق والكمال. وبذلك اريد الآن مجاراتك وتدخين الغليون كما تفعل انت.». وقال ذلك واخذ يملأ غليونه بالتبغ ثم اشعله. وهكذا الرجلان يدخنـان غليـونيهمـا بصمتٍ وهمـا ينظـران احدهما الى الآخر تارة ويلتفتان ليبصقا تارة اخرى.

«والآن، ياسيـدي»، واصـل (سلڤر) حديثه، اعطونا الخريطة التي تدلنا على الكنز وضعوا حداً لعذاب هؤلاء البحـارة السـذّج وحـرمـانهم. فان فعلتم ذلك اعطيناكم احـد خيارين: يمكنكم المجيء معنا الى السفينة، بعد تحميــل الكنـز عليهـا، لنقـوم بايصـالكم الى مكـان ما بامان، واقسم لك على ذلك بشرفي، او بامكانكم البقاء

هنا بسلام وامان ان كنت لا تثق برفاقي خشية قيامهم بتسوية حسابهم معك. وهذا لا يعني ترككم الى مصيركم كلا! فاننا بعد ان نقتسم الكنز معكم فإن كل رجل يأخذ نصيباً مساوياً لبقية رفاقه ثم نبحر، وسوف نعمل على ايقاف اول سفينة تصادفنا لنخبر ربانها عن وجودكم هنا لكي ياتي بسفينته لانقاذكم واخذكم الى الوطن.

ولابد ان تعترف، ياسيدي الربان، ان هذا العرض هو اقتراح مجدٍ» ثم رفع صوته وهو يضيف قائلا: «آمل ان اكون قد سُمعت من قبل الذين هم داخل الدار لأن كلامي هو في الواقع موجه للجميع».

«اهذا هو كل ماتريد قوله؟» سأل الربان وهو يقف ويضرب بغليونه على راحة يده محاولاً استخراج مابه من رماد.

«لقد قلت ما اريد باسهاب،» اجاب (جون) الطويل. «فاذا رفضتم الاستجابة فستجدون انفسكم مضطرين لنوع آخر من الاستجابة ـ ستضطرون الى اجابتنا بالبنادق.».

والآن اسمع ما اقوله لك، يا رجل، «قال الربان بهدوء وثقة عالية». اذا ماجاء كل منكم على انفراد

للاستسـلام ، فسأكبله بالحـديـد وارسله الى انجلترا من اجل احالته الى القضاء امام محكمة عادلة ومنصفة . اما اذا رفضتم العـرض هذا فليحكم السيف والبندقية بيننا ، ولتـذهب الـدنيـا الى الجحيم ، ولا يمكنكم العثور على الكنـز ولا يمكنكم الابحـار بالسفينة وقيادتها ولا يمكنكم محاربتنا . لقد ادرك (جراي) حقيقة ذلك كله وهرب من الجمـاعـة التي تركتهـا على ظهر السفينة ، فاعلم ياسيد (سلڤـر) انـك ، ورفـاقـك ، اشبـه بسفينـة مهجورة رمتها الامـواج على ساحـل رملي فوقفت لاحـول لها ولا قوة ، وهـذا كل ما اريـد قولـه لك . بحق السماء . وسوف اقوم بتصـويب رصـاصـة قاتلة الى رأسـك العفن عنـد لقـائنا القادم . والآن اخرج من هنا بسرعة ! »

جحظت عينا (سلڤر) من شدة الغضب . وبعد ان قام برمي رماد غليونه قال للربان (سموليث) :

«ساعدني على الوقوف ! »

«لن اقوم بذلك شخصياً اجابه الربان .

«من الذي سيساعدني ؟ » صاح بصوت مدوٍ .

لم يتحـرك اي منـا لمساعدته . وبعد ان تفوه بعبارات نابيـة ، اخـذ يزحف على الـرمـل حتى وصل الى الشرفة فامسـك باحـد اعمدتها ورفع نفسه ثم وقف مستندا على

عكازه. ثم بصق في الينبوع القريب وقال: «هذا هو رأيي فيكم!». ثم صاح بصوت مدوٍ مواصلاً كلامه: «قبل انتهاء الساعة ساهاجمكم واقتحم دفاعاتكم. والآن اضحكوا ماشئتم واشمتوا ماشئتم فلن تتمكنوا من ذلك بعد لحظات. سيكون موتاكم هم المحظوظين.» وبعد ان شتمنا جميعاً، استدار ومضى ليتسلق السياج بنفس السرعة والرشاقة وليتواري بعد ذلك بين الاشجار.

وعندما استدار الربان ليواجه الدار، اكتشف ان (جراي) كان الوحيد الذي بقي واقفاً في الموقع المخصص له، فاستشاط غضباً، وكانت المرة الاولى التي نراه فيها غاضباً.

صاح الربان: «الى مواقعكم!» فهرعنا منفذين الايعاز ثم التفت الى (جراي) وقال: «واما أنت يا (جراي) فسأثمن موقفك هذا من خلال ماسأدونه في سجل السفينة. لقد قمت بواجبك خير قيام. واني في عجب من تصرفك ياسيد (تريلوني). اما انت ياحضرة الطبيب، فارجو ان تكون قد استحققت لبس البزة العسكرية لصاحب الجلالة الملك بجدارة اكثر والتزام اشد في اثناء اشتراكك في معركة (فونتينوي)».

احمرت وجوهنا خجلاً ونحن نسمع هذا التأنيب

ونـــراقب مايـــدور خارج الحصن من خلال المـــزاغـــل ونمسـك ببنـادقنا المحشوة . وبعد ان سكت الربان اخذ يراقبنا بصمت ثم قال يحدثنا :

«لـقــد اهـنت (سلفــر) باقسى ما تمكنت من وسيلة وتكلمت معـه بغضب شديـد ، ولـذلـك فانـه سيهاجمنا بضراوة في غضون ساعة من الزمن وعلى الرغم من انهم يفـوقـوننـا عددا فاننـا نحارب من موضع دفاعي . وبذلك يمكننـا صدهم وافشـال تعـرضهم اذا ماالتـزمنـا بالنظـام والضبط الشديدين» .

وكان بحوزتنا مايقرب من عشرين بندقية توزعت بيننا نحن السبعـة المـدافعين ، امـا السيـوف فاخـرجت من اغمادها ووضعت وسط الدار .

وبـانخفـاض حدة برودة الجـو أمر الربان (سموليث) السيد (تريلوني) بحمل السلة الحديدية التي كانت النار تشتعل فيها واخذها الى الخارج لاطفاء مافيها من نار . وخـلال توزيع جرعة من البراندي على الجميع قمت انا بأكل لقمة لسد رمقي .

اوكلت مهمة الدفاع عن الجهة الشمالية من الدار الى السيـــد (تـريلوني) و(جـراي) ، وقـام الطبيب بحـراسـة الباب ، بينما تسلّم (هنتر) و(جويس) مسؤولية الدفاع عن

الجهتين البـاقيتين. ولمـا لم نكن انا والربان (سموليث) من الذين يحسنون التصويب بجودة ودقة فقد تولينا مهمة املاء البنادق واعادة املائها.

وسـرعـان ما اخـذت الشمس تتـوسط السماء وتمزق الضبـاب باشعتهـا وتلتهب الرمال بحرارتها. فقمنا بخلع سترنا ومعاطفنا واخذنا نترقب الهجوم وسط حمى الحرارة الملتهبة والقلق.

ومضت ساعة من الزمن.

«ارجـوك ياسيـدي،» قال (جويس) يخاطب الربان، «هل اقوم بفتح النار حالما ألمح اي شخص؟»

«هـذا ما اوعـزت به،»، صاح الـربان «شكرا ياسيدي»، قال (جويس) بنفس نبرة الصوت المؤدبة.

ومـرّت بضـع ثوانٍ قبـل ان يثبت (جـويس) الهـدف ويطلق بنـدقيتـه. وسـرعـان ما توالت الاطلاقات النارية حولي، بينمـا انهمـرت اطـلاقـات اخرى على الجوانب الخـارجيـة للحيطـان. وعنـدمـا انقشـع دخان البنادق، عادت الغابات الى سابق هدوئها.

«هـل تمكنت من اصـابـة اي من المتمـردين؟» سأل الربان وهو ينظر الى (جويس).

«كلا ياسيدي»، قال (جويس وهو يناولني بندقيته لاعادة ملئها.
«قول الصدق هو افضل شيء بعد الاخفاق في تحقيق المطلوب»، قال الربان. «وكم اصبت منهم انت شخصيا ياحضرت الطبيب؟»
«احصيت ثلاث ومضات،» قال الدكتور (لايفزي). اما (جراي) و(السيد (تريلوني) فكانا اقل تأكداً لان النسبة الاعلى من النار كانت قد جاءت من الجانب الذي توكلا بحمايته - فقد قاتلا بين سبعة او تسعة رجال. وقد ادرك الربان ان الجزء الرئيس من الهجوم كان سيأتي من ذلك الجانب.
اما التعرض من بقية الجهات فقد حصل بهدف ارباكنا وازعاجنا.
وفجأة - وبصرخة مدوية - ظهرت مجموعة من القراصنة من الجهة الشمالية لتهاجم الحصن هجوماً مباغتاً وقد واكب الهجوم هذا وابل من نيران العدو الذي انفتح علينا من الغابات حتى لقد تناثرت بندقية الطبيب متهشمة.
وقد تسلق المهاجمون فوق السياج مثل القردة. ولاحظت قيام السيد (تريلوني) و(جراي) باطلاق

نيـرانهمـا على المهـاجمين مراراً وتكراراً. وكانت نتيجة ذلـك سقـوط ثلاثـة من المهاجمين: سقط الاول داخل السيـاج، امـا زميـلاه فقـد سقطـا خارج السياج لينهض احدهما بعد ثوان ويسرع مختفياً بين الاشجار.

ولكن اربعـة من المهـاجمين قد تمكنـوا من العبـور بسلام فوق السياج والتقدم نحو الدار، تصاحبهم هتافات التشجيـع التي انطلقت من بين اشجـار الغـابة، وما لبثوا ان اصبحوا وسطنا.

وفجأة لاحظت وجـه (جـوب انـديـرسن) ماثلاً امامي وهو ينادي رفاقه قائلاً: هاجموهم جميعاً!

انتزعت بندقية (هنتر) من يده وطرح ارضاً فاقد الوعي بعد اصابته بضربة قاضية من اخمصها.

ثم تقدم مهاجم ثالث باتجاه الطبيب حاملاً بيده سيفاً بتاراً.

امتلأت الـدار بالـدخـان وعـلا فيهـا الهـرج والمرج والاربــاك اضـافـة الى ماسمعتـه من عيـارات ناريـة من المسدسات واصوات انين وألم.

«السيوف ايها الرجال!» صاح الربان موعزاً.

«حاربوهم في الخارج».

اختطفت سيفـاً، من المجموعة التي كنا قد وضعناها

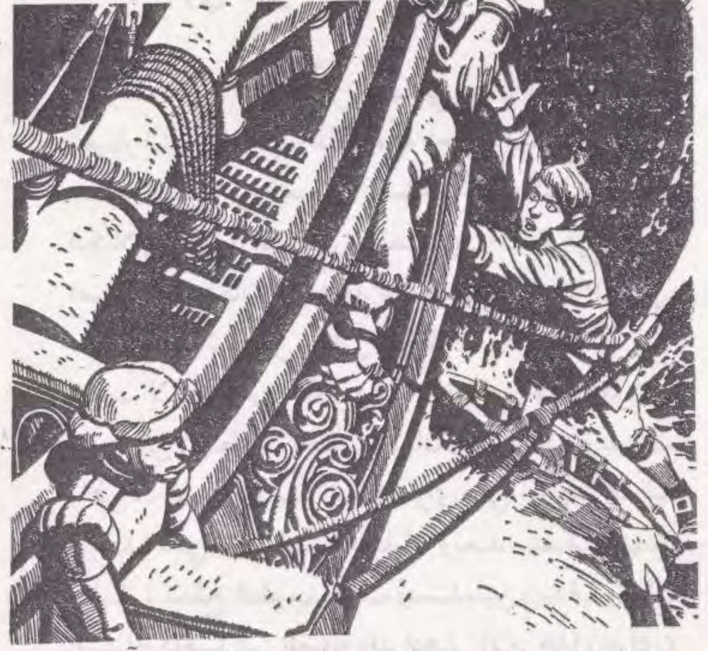
وسط الدار، وهرعت الى الخارج حيث الشمس مشرقة .
وكـان الطبيب قد تمكن من صد مهـاجمـه الـذي ارسله مترنحاً بدون نظام بعد ان اصاب وجهه بجرح بالغ .

وبعد ان استدرت من زاوية الدار وجدت نفسي اقف امـام (جـوب انـديـرسن) وجهاً لوجه . وقد اطلق صرخة مدويـة وهـو يرفـع سيفه ليقطعني نصفين ولكنني تمكنت من الانسـلال جانبـاً ، متفـاديـاً ضربته ، والتدحرج فوق المنحدر الرملي .

ومـا لبثت ان وقفت على قدمي منتصبـاً لاشـاهـد في اثناء ذلك اجتياز ثلاثة قراصنة آخرين السياج الخارجي . وكان احدهم يضع على رأسه قلنسوة حمراء وقد لاحظته يحدجني بنظرة حقود وهو يحمل سيفه بين فكيه .

وفي اثنـاء ذلـك قام (جـراي) ـ الـذي جاء خلفي ـ بضرب (جوب انديرسن) ضربة سيف اطاحت به صريعاً على الفـور بينمـا سقـط احـد المهاجمين الثلاثة صريعاً بنيـران المـدافعين داخل الدار. كما استطاع الطبيب ان يتخلص من ثاني المهـاجمين بتسديد ضربة موجعة له . وسـرعـان ما انتهت المعـركـة بهـروب بقيـة القـراصنـة المهـاجمين . وبعد لحظات خاطفة لم يبق سوى خمسة قراصنـة صرعى : سقـط اربعـة منهم داخـل السياج بينما

الفصل الثالث عشر
مغامرتي في البحر



في ضوء ماحدث، لم يقم المتمردون بهجوم آخر بل توقفوا كذلك حتى عن اطلاق الرصاص من الغابات، وقد تمكنا من خلال هذه الهدنة ـ ان صح هذا التعبير ـ من الانصراف الى معالجة جرحانا وتحضير غدائنا. ولم

يستعد (هنتر) وعيه بل فارق الحياة بهدوء. وقد بقي احد جرحى المتمردين على قيد الحياة فترة قصيرة ولكنه سرعان ماتوفي متأثراً بجراحه في اثناء محاولة الطبيب انقاذه.

وقد عانى الربان من كسر في عظم الكتف نتيجة العيار الناري الذي اطلقه عليه (جوب انديرسن). وقد منعه الطبيب من الحركة واستخدام يده كما حرّم عليه الكلام إلا عند الضرورة القصوى. اما الجرح الذي اصاب كفي فكان طفيفاً وقد عالجه الطبيب بعد ان أنبني على محاولة تعريض حياتي للخطر.

وبعد الانتهاء من تناول وجبة الغداء، جلس كل من (تريلوني) والطبيب بجانب الربان وبدأوا الكلام بصوت واطىء، بينما جلسنا انا و(جراي) في الجهة الثانية البعيدة لكي نؤمن لهما الخلوة. وبعد منتصف النهار بقليل، تسلح الطبيب بسيف ومسدسين وبندقية وتسلق السياج ذاهباً الى الغابة وقد ادهش الامر هذا (جراي) الذي سقط غليونه من فمه من فرط التعجب وقال: «هل جن الرجل يارفيقي؟»

«كلا!» اجبته قائلا. «ان كان حدسي صحيحاً، فاظنه ذاهباً لمقابلة (بين جن).

وقد اتضح ان حدسي كان صائباً.

فكرت في الطبيب وتصورته ماشياً عبر الغابات الرطبة، والهواء العليل يهب على وجهه ليكسبه حيوية ونشاطاً. فقد دفعنا جو الدار الخانق الى الشعور بالحسد ازاء كل من يتمكن من الخروج. وقد شعرت انا بالذات ان ملابسي كانت ملتصقة بجسمي وانا اجلس محاطاً بالموتى. وكان اشمئزازي لا يقل شدة من خوفي. وهنا راودني فكر سرعان ماتبلور ليصبح مخططاً - اردت ترك الحصن ان استطعت لذلك سبيلاً، والانطلاق للبحث عن قارب (بين جن).

وسرعان ماقررت تنفيذ مخططي هذا فقمت وعمدت الى ملء جيوبي بالبسكويت وتسليح نفسي بمسدسين وطلقات وعلبة بارود، وقد ادركت جيداً عدم تمكني من الحصول على الموافقة في حال قيامي بطلبها للغرض الذي اردت تحقيقه، ولذلك قررت التسلل في اثناء انشغال السيد (تريلوني) و(جراي) بتبديل ضمادات الربان. تسللت هارباً من خلال التواري بين الاجام القريبة. ومرة اخرى فاني قمت بعمل خاطىء - ففي هذه المرة عمدت الى ترك الحصن بحراسة شخصين فقط يتمتعان بلياقة بدنية كاملة. ولكنني لم اكن سوى صبي

كان قد قرر مسبقاً القيام باجراء ما.

تركت الغابات خلفي ووجدت البحر مشمساً، تتصل زرقته الصافية بالافق، والزبد يعلو الامواج المتكسرة على الشاطىء. ولا اظن ان هناك موقعاً على هذه الجزيرة لايصله هدير هذه الامواج المتكسرة.

كانت مياه المرسى هادئة، وقد رست الـ(هسپانيولا) بسكون تام على صفحة الماء التي بدت مثل المرآة. كما رسا الى جانب السفينة القارب الخاص بالربان وهو يحمل (سلڤر) على ظهره، بينما مال رجلان من فوق الحاجز الايسر للسفينة وكان احدهما يضع قلنسوة حمراء على رأسه.

وكانت الببغاء تجلس على معصم (سلڤر) وهي تصرخ بصوت عالٍ. وبعد فترة قصيرة اخذ (سلڤر) يجذف عائدا الى البر بينما هبط البحاران الى اسفل السفينة.

وفي ذلك الوقت بالذات كانت الشمس، تهبط خلف (تل المنظار) بينما اخذ الضباب البحري يتجمع ليبدأ بتكوين طبقات كثيفة. وهنا تبادر الى ذهني وجوب الاسراع اذا ما اردت العثور على قارب (بين جن) قبل حلول الظلام، ولذلك فاني سرت مسرعاً باتجاه الصخرة

البيضاء التي كانت ماثلة امامي بوضوح .

كان الطريق وعراً، وموحشاً للغاية. وفي الوقت الذي انتهيت فيـه عن ازاحـة الشجيـرات والعثور على القارب اوشك الليل على اسدال وشاحه القاتم على الكون. وعندما دققت النظر في القارب وجدته مصنوعاً من جذوع الشجـر المبتورة والمثبتة بعضها بالبعض الآخر والمغلفة بجلد المـاعز. وقد وجدت في قعره مجذافين، ولم اكن في الـواقـع قد شاهـدت قاربـاً مثله من قبل حيث بدالي اشبـه بالقـوارب البـدائيـة التي كان يصنعها البريطانيون القدامى. وكانت ميزته الوحيدة تكمن في خفة وزنه الامر الذي يعني سهولة حمله من مكان الى آخر بلا ادنى مشقة.

كان علي الاكتفـاء بهـذا القدر من المغامرات إلا اني أبيت ذلك، فبدلا من العودة الى جماعتي قررت التوجه الى السفينـة ومحـاولـة قطـع حبـل مرسـاتها لكي تصبح تحت رحمـة التيـارات والـرياح التي لابد ان تدفعها نحو الشاطىء فترتطم به.

وكنت قد آمنت ايمـانـاً راسخـاً بان انـدحار القراصنة كان سيدفعهم بالنتيجة الى اللجوء الى السفينة والابحار بعيداً عن الجزيرة في اقرب وقت ممكن.

جلست لتنـاول البسكويت الذي كنت قد جلبته معي حتى تكـون الظلمـة قد حلت بصـورة كاملة فيكـون الضبـاب قد حجب كل النجـوم . وبعد ان غطى الظلام جزيـرة الكنز بعتمته الموحشة ، حملت القارب واتجهت الى حافة الماء . وكانت النار التي اشعلها القراصنة على البـر نقطـة تتـلامـع امـامي من خلال الاشجـار . وكـان بامكاني سماع اغانيهم الثملة . اما على السفينة الراسية فلم يظهـر هنـاك سوى ضيـاء واحـد خافت كان اشبـه بلطخـة ، غيـر واضحة المعالم ، وسط طبقات الضباب ، لم يكن قارب (بين جن) زورقـاً سهـل القيادة ، فقد ثبت ان ميـزتـه كادت تقتصـر على سيـره بشكل دائري فقط . ولـولا المسـاعـدة التي حظيت بهـا من لدن المـد لبقيت ارواح حيث كنت . وفي اثناء تقدمي اخذت السفينة تبرز امـامي تدريجيـاً من خلال الظـلام ، وقـد اخـذ هيكلهـا وصـواربها تظهر بوضوح ، اشد سوادا من العتمة نفسها . وعندما اقتربت منها مددت يدي وآمسكت بحبل الارساء .(*)

وبفعـل الـدفـع الشـديد للتيارات المائية ، كان حبل

---

* ويسمى ايضا بـ(الهوس) وهو الحبل الذي تكون المرساة في نهايته . المترجم

الارســاء هذا متــوترا كوتر القوس ووسط الظلمة المحيطة بي كان البحــر يزبِـد ويفــور مثل سيل جبلي متدفق . وما كان علي سوى القيام بقطع الحبل بسكين لتهيم السفينة على وجهها بلا هدى ولتلعب بها التيارات ماشاءت.

ولكن قطـع حبـل الارساء وهو متوتر على هذا النحو لا يقل خطــورة عن العبث بحصـــان بري ، جامـح . فلو قمت بقطعه لارتد نحوي وازالني ، مع القارب ، من فوق سطح المـاء . وقـد شاءت الظـروف ان يكـون الحظ بجانبي - فبينما كنت افكر في الامر هبت ريح دفعت بالسفينة نحو مجـرى التيـار . وسـرعان ما شعرت ان الحبل قد ارتخى بيدي واخذ يغطس تحت سطح الماء .

فتحت مديتي وبـدأت بقطـع خيوطه المجدولة خيطاً بعد آخر حتى اخذت السفينة تترنح وهي ترتبط بجديلتين فقط . بعد ذلك جلست انتظر بهدوء ازدياد سرعة الريح .

وفي اثنـاء انتظاري سمعت حوارا بين صوتين سرعان ماتعرفت على احدهما ـ انه صوت (هاندز) وكان يناقش بصـــوت ثمـل جداً . ولابـد انـه كان يكلم القـرصـان ذا القلنســوة الحمـراء . وبعـد لحظـات ألقيت الى البحـر زجاجة (رُم) فارغة ثم تلا ذلك صوت نقاش حاد صاحبه تراشق بكلمـات السُبـاب التي كانت تزداد وتقـل بزيـادة

حدة النقاش وانخفاضها.

وعلى البـر، كان بامكـاني رؤيـة توهـج نار معسكـر القـراصنـة، وكـان احـدهم يردد اغنيـة قديمة من اغاني البحارة المشهورة:

«ولم يبق من رجال طاقمها.
سوى فرد واحد على قيد الحياة.
هذه السفينة.
التي بدأت رحلتها بخمسة وسبعين....»

وهنـا ادركت ان الكلمـات الحـزينـة لهذه الاغنية قد عبـرت تعبيـرا صادقا عن حال مجموعة كانت قد تكبدت خسارة فادحة صباح ذلك اليوم فلقد كان البحارة هؤلاء، في الواقع لا يقلون قسوة عن البحر الذي يمخرون عبابه.

واخيـرا هب النسيم وانغمـر الحبل تحت سطح الماء فقطعت الجـديلتين الاخيرتين. وما ان فعلت ذلك حتى انجرفت الى مقدمة السفينة بفعل استدارتها حول نفسها وهي تنـدفـع مع التيار. وهنا اخذت ادفع نفسي تدريجياً نحـو مؤخـرتها خشية غرقي نتيجة وقوعي تحت هيكلها. واثنـاء محـاولتي التخلص من شر ما قد تفعله بي جارتي الخطـرة هذه عثـرت يدي على حبـل متـدلٍ من اعلاها

فتمسكت به بشدة .
وهنا راودتني رغبة جامحة لكي استرق النظر الى الداخل من خلال نوافذ القمرات ولذلك سحبت نفسي الى اعلى مؤخرة السفينة وتمكنت من التحديق الى احدى القمرات

وفي ذلك الحين كان القارب والسفينة يتحركان بسرعة مع مجرى التيار وهما يطآن الموجات الصغيرة وينشران رشاشاً من الماء في الاتجاهات كافة ، اي ان السفينة كانت ـ بلغة البحارة ـ تتكلم بصوت جهوري .
وعندما امعنت النظر داخل القمرة ادركت في الحال سبب اخفاق البحار المكلف بالحراسة في الانتباه لما حدث :

كان (هاندز) والقرصان الآخر قد انهمكا ـ احدهما مع الاخر ـ في نزاع مميت وقد امسك كل منهما برقبة الآخر.
هبطت عائداً الى قاربي قبل فقدان توازني ، ولم تكن عيناي تريان اي شيء ماعدا الوجهين القرمزيين وهما يتمايلان تحت نور المصباح . وكانت سرعة سير السفينة قد ازدادت واخذ قاربي يترنح بشدة وهو ينزلق فوق الاثر الذي كانت تخلفه السفينة في الماء في اثناء سيرها .

وسرعان ما امتلأ قلبي رعباً وانا الاحظ اندفاع السفينة باتجاه عرض البحر بدلا من اتجاهها نحو الساحل.

وفي اثناء سيرها في المضايق، انحرفت السفينة انحرافاً حاداً ومفاجئاً وسرعان ماسمعت صوت اقدام على السلالم وعلى ظهر السفينة - فقد استفاق الاثنان، على مابدا، من سكرهما واخذا بدركان حجم الخطر الذي - يجابهانه. وقد تأكد لي اننا غارقون لا محالة بفعل الامواج العارمة، وان حياتي كانت مقبلة على نهاية وشيكة.

استلقيت في اسفل ذلك القارب الصغير فترة لابد انها كانت ساعات عديدة، وقد اخذتني في النهاية سنة من النوم حلمت من خلالها بارض الوطن وبنزل (الاميرال بينبو).

وعندما استفقت ونظرت حولي وجدت ان (رأس هالبولاين) و(تل مزينماست) كاناقريبين مني وهما منحدران صخريان، شاهقان، تداعت عند اسفلهما مجموعة من الصخور. ولم تعد المسافة التي تفصلني عن الشاطىء تزيد على ربع ميل وبذلك كان من السهل عليّ التجديف للوصول الى الشاطىء ولكنّ منظر الامواج العارمة وهي تجأر وتقذف الرذاذ الى الهواء

دفعني الى تغيير رأيي . والاكثر من ذلك فاني لاحظت عدداً من اســود البحـر التي كانت تزحف فوق الصخـور الملسـاء . ولمـا كنت اجهـل انهـا غيـر مؤذية فقدْ خفت التقرب منها، وكانت الصخور ترن بفعل اصوات نباحها .

امـا الـ(هسيـانيولا) فقد اختفت كلياً عن الانظار. ثم تذكرت ماكان (سلڤر) قد اخبرني به عن التيار الذي كان يجـري على امتـداد كل الساحل الغربي لجزيرة الكنز. ولمـا وجـدت نفسي في مجـرى ذلك التيار فقد تركت له حريـة دفعي من أجـل ان اتمكن في النهاية من الوصول الى منطقـة (رأس الغـابـات) حيث الشاطىء اكثر اماناً . ولحسن الحـظ كان هنـاك ارتفـاع في سطـح البحر عمل على حمـل قاربي والسيـر به بسهولة طالما تجنبت القيام بايـة حركـة مفاجئة وإلا تقاذفت الامواج القارب وغطتني بسيــل عارم من رذاذهــا . وســرعــان ما ادركت ضرورة الانبطـاح في اسفـل القارب وعدم اللجوء الى استخدام المجـداف إلا عندما يكون الماء هادئا . وكان هذا عملاً بطيئاً للغاية .

ثم بدأت اعاني عذاب العطش حيث كانت الشمس تكويني بلهيبها المحرق وكان الملح الذي قد جف على

وجهي يتسبب بتشقق شفتي . وهكـذا فاني تقت كثيـرا للوصول الى البر لاسيما وان البحر قد حملني بعيداً عن النقطة التي اخترتها للنزول .

وبينمـا انـا على هذه الحال شاهدت شيئاً دفعني الى تغيير رأيي تماماً!

لقد رأيت الـ(هسيانيولا) تقف أمامي على بعد نصف ميل تقريباً وقد نشرت اشرعتها التي تلامعت بفعل اشعة الشمس فظهـرت كانهـا الثلج على الفضـة . ومن خلال مراقبتي للسفينـة فانهـا بدت وكأنهـا خاضعة لسيطرة من كان على ظهرهـا . وبعـد فتـرة قليلة اخـذت تتجـه نحو الـغـرب فظننت ان بحـارتهـا قد شاهـدوني فجـاءوا ليطـاردوني . ولكنهـا سرعـان ما اصبحت في وجه الريح فتوقفت عن الحركة وقلوعها ترتجف .

«يـالهم من حمقى ،» قلت في نفسي ، «لا بد انهم ما يزالون تحت تأثير الخمر» .

وكانت الامواج ترتطم بالسفينة فترفعها تارة وتقذف بها تارة اخـرى وبـذلـك اتضح لي انها كانت تطفو وتسير من غيـر موجه . فلو تمكنت من الصعود على ظهرها لاعدتها الى ربـانهـا . ولـذلـك فاني جلست منتصبـا في زورقي واخـذت احـرك المجداف بكل ما اوتيت من قوة : واثناء

ذلك كان الماء يتسرب الى القارب الامر الذي اضطرني الى التـوقف من وقت الى آخـر لتفـريغه مستخدماً قبعتي لهذا الغرض .

كانت الـ(هسيـانيـولا) تقف بلا حول او قوة ، وقـد اخـذت اشـرعتهـا ترسـل اصـوات قرقعـة اشبـه بدوي المـدافع بينما راحت بكراتها تدور وتتدحرج . وكانت قد استـدارت في الـوقت الـذي وصلت فيه إليها ، فتوجهت الى مؤخـرتهـا حيث كان الشباك ـ الذي كنت قد اطللت من خلالـه ـ ما يزال مفتـوحـاً ونـار المصبـاح ـ الذي كان على المـائـدة ـ ما تزال مضيئـة . وكنت احـاول جاهـداً الـوصول اليها والامساك بها عندما ملأت الريح اشرعتها فراحت تطير وتنقض مثل الخطّاف .

ومـا لبث يأسي ان تحـول الى فرح عنـدمـا استدارت لاواجـه جانبهـا ، ثم دارت بعـد ذلـك دورة كاملة لتتجـه نحـوي والامـواج تفـور بيضاء تحت الطرف الامامي من مقدمتها . وكانت قد اتجهت نحوي بسرعة فائقة كدت لا ادرك من خلالهـا مدى الخطر الذي واجهني . فكنت اذا ما اعتليت قمـة موجـة طويلة اجـد ان السفينة قد اعتلت هي الاخـرى قمـة المـوجـة التي جاورتهـا . وسـرعان ما

اصبح (الدقل المائل)[*] فوق رأسي ، فهببت واقفاً وانا ادفع القارب بقدمي تحت سطح الماء لامسك، بيد واحدة بالسارية الممتدة من (الدقل المائل)، ولاعلق قدمي بالدعامة . وهكذا تهشم القارب وتركت على الـ(هسپانيولا) اواجه مصيري بمفردي .

---

* الدقل المائل ـ هو العمود المثبت في مقدمة السفينة المترجم

الفصل الرابع عشر

أنزلت راية القراصنة



ارتعشت الـ(هسپـانيـولا) في اثنـاء هبـوب الريح على قلوعهـا الامـاميـة وكـانت تقـذف بي الى البحر مرة اخـرى، ولـذلـك فاني انتظـرت انخفاض حدة الريح لا تسلق على الاربـع (الـدقـل المائل) ولا سقط بعد ذلك

على رأسي فوق ظهر السفينة.

وقد اخفى الشراع الرئيس الجزء الخلفي من ظهر السفينة عني. وكان هذا مهجوراً. ومنذ ابتداء التمرد لم يكلف احد نفسه مشقة تنظيف الارضية الخشبية التي ظهرت عليها آثار اقدام كثيرة وراحت قنينة فارغة تتدحرج بحرية في قنوات تصريف المياه.

وفجأة تحول مجرى الريح ليصبح خلف السفينة، فاندفع ذراع التطويل الرئيس(*) باتجاه وسط السفينة ليكشف لي الجزء الخلفي من سطحها حيث وجدت الحارسين مستلقيين على الارض ـ بدا ذو القلنسوة الحمراء متخشبا وقد انحسرت شفتاه لتكشفا عن اسنانه، بينما استند (هاندز) الى جانب السفينة الممتد فوق سطحها العلوي وقد سقط ذقنه فوق صدره. وكان ذو القلنسوة الحمراء يتدحرج من مكان الى آخر، كلما ترنحت السفينة ومالت، من دون ان تفارق وجهه تلك الابتسامة المقرفة. وعند كل هزة للسفينة كان جسم (هاندز) ينزلق منحدراً حتى استلقى تماماً فوق الارض. وعندما لاحظت اثار دم بينهما ظننت انهما قد قتل

---

* ـ ذراع التطويل ـ هو العمود الذي يستخدم لاطالة قاعدة الشراع ـ المترجم

احدهما الآخر.

وفجأة أنَّ (هــانــدز) وتلوى دافعــاً نفســه الى وضــع الجلوس مرة اخرى وقد شحب لونه شحوب الموتى وكان انينـه يمـزق نيـاط قلبي ألمـاً ولكنني سرعـان ما تذكرت الكلام الذي كنت قد سمعته في اثناء اختبائي في برميل التفاح فنبذ قلبي ما اعتراه من شعور بالرحمة.

تم مشيت على ظهر السفينة حتى وصلت الى الصاري الرئيس.

قلّب (هـانـدز) عينيه عندما رآني ولم تظهر على وجهه امارات التعجب من شدة سكره، الا انه تمكن من التفوه بعبارة واحدة: «براندي».

وبعـد ان تجنبت حركـة ذراع التطـويـل عندما تمايل على نحو فجائي، انسللت اسفل السلم الذي يصل ظهر الـسـفينـة بالحجـرات السفلى وذهبت الى القمـرات لاجـدهـا مقلوبـة رأسـاً على عقب، وقـد تم تحطيم كل الادراج والخـزانات المغلقة بحثاً عن خريطة الكنز. كما غطت الارض طبقـة عن الطين لكثـرة تردد الارجل فوقها بينمــا تلوث الطــلاء الابيض الـذي كان يغطي جدران القمرات والحواجز الفاصلة بينها. وارتطمت عشرات من زجـاجـات الخمـر الفـارغـة بعضها بالبعض الآخر وهي

تتدحرج هنا وهناك داخل القمرات والممرات، كما لاحظت تمزق صفحات كتاب طبي يعود للدكتور (لايفزي) نتيجة قيام بعض المتمردين باستخدام قصاصاتها مشاعلا لغليوناتهم. اما المصباح الذي انار القمرة الاخيرة فقد استمر يعكس توهجاً بيناً مفعماً بالدخان.

وقد اختفت معظم براميل النبيذ من قبو السفينة واستهلكت معظم زجاجات الخمر التي القيت فارغة هنا وهناك. ومع ذلك تمكنت من العثور على زجاجة احتوت على شيء من الـ(براندي) فاخذتها بغية اعطائها الى (هاندز)، كما عثرت على شيء من الجبن والبسكويت وقليل من الفواكه المخللة.

فحملت كل هذه الاشياء الى ظهر السفينة ولكنني وضعت الأكل بعيدا عن متناول يد (هاندز) الذي ناولته زجاجة البراندي بعد ان اطفأت نار عطشي بشرب الماء من الابريق المخصص له. وقد رفع (هاندز) الزجاجة الى فمه وكاد يفرغ كل محتواها في جوفه.

«هل تعاني من الم شديد؟» سألته وانا قابع في زاويتي اتناول ماتيسر لي من طعام.

اجابني قائلاً: لو كان الطبيب معنا على ظهر السفينة

لتماثلت الى الشفاء بسرعة البرق. اما بالنسبة لهذا الاحمق فانه قد مات وذهب الى جهنم وبئس المصير، فهو لم يكن بحاراً بالمعنى الصحيح باي حال من الاحوال.

والآن هل لك ان تخبرني من اين اتيت انت؟»

«جئت لأتسلّم قيادة هذه السفينة ياسيد (هاندز). فارجو منك اعتباري ربانك منذ الآن، هكذا أجبته.

حدجني بنظرة غاضبة ولكنه لم ينبس بحرف واحد، وقد زالت نسبة قليلة جداً من الشحوب الذي كان قد اعترى وجهه وان استمر يبدو مريضاً وهو يتمايل مع حركة السفينة. ثم واصلت كلامي قائلا:

«لا يسعني ان ارى هذه الراية، ياسيد (هاندز). ساقوم بانزالها فوراً. لان عدم وجود اية راية هو افضل بكثير من هذه الراية بالذات».

ومرة اخرى تجنبت حركة ذراع التطويل، وعمدت الى انزال راية القراصنة التي ما ان امسكت بها بيدي حتى القيت بها على ظهر السفينة وانا اصيح باعلى صوتي: «عاش صاحب الجلالة الملك! هذه نهاية الربان (سلفر)!»

كان (هاندز) يراقبني وقد ارتسمت على قسمات

وجهه نظرة خبيثة وتدلى ذقنه فوق صدره. واخيرا خرج من دائرة صمته وخاطبني قائلا:

«اظنك تريد النزول الى البر، ايها الربان (هوكنز)، أليس كذلك؟ والآن دعنا نتكلم بصراحة.»

«قل ما بدا لك، ياسيد (هاندز)»، قلت وأنا أزدرد طعامي بشهية.

«الاحمق هذا»، قال وهو يؤميء برأسه مشيراً الى البحار الميت، «كان ايرلندي الأصل يدعى (أوبراين)، وكنا قد رفعنا الشراع بهدف الرجوع بها الى المرسى الذي كانت راسية فيه، إلا انه مات، فمن يا ترى، سيعمل على مساعدتي في قيادتها والعودة بها؟ اما انت فلا حول لك ولا قوة من دون الاستعانة بي وبخبرتي.

والآن عليك ان تناولني شيئاً من الطعام وان تجلب لي عصابة ألف بها جرحي لكي اقوم انا بدوري بمساعدتك في تسيير السفينة وبذلك يكون كل منا قد وفى بالتزاماته تجاه الآخر.»

قلت له: «لابد ان تفهم باني لن اعود بالسفينة الى مرسى (الربان كيد)، اي المكان الذي كانت راسية فيه قبل وصولها هنا. اني اريد ايصالها الى الخليج الشمالي ومن ثم دفعها الى الشاطىء».

قال: «هذا ماتريده بالتأكيد لست بالغباء الذي يحول دون فهمي ماتهدف الى تحقيقه. لقد حاولت انا تحقيق ماأريد ففشلت انك صاحب الامر والنهي الآن. إذن انت تريد الوصول الى الخليج الشمالي؟ كيف لي ان اعارضك؟ لن اعارضك حتى لو امرتني بالتوجه الى رصيف الاعدام!»

وسرعان ماتوصلنا الى اتفاق بدأت أقرّه.

الـ(هسپانيولا) تسير الى حيث اردت. وقد تمنيت ان نتمكن من الوصول الى شمال الجزيرة في منتصف ذلك اليوم من أجل دخول المدخل الشمالي قبل ان يصل المد ذروته حيث يمكننا من دفع السفينة الى الشاطىء وانتظار الجزر لكي نتمكن من النزول الى البر.

وبعد ان ثبت ذراع الدفة نزلت الى قمرتي حيث اخرجت من صندوقي الخاص منديلاً حريرياً كانت امي قد اعطته لي. ثم ناولت المنديل هذا الى (هاندز) وساعدته في تضميد جرحه به. وبعد ان أكل قليلا وشرب جرعة اخرى من البراندي استعاد نشاطه فاعتدل في جلسته وبدأ يتكلم بوضوح اكثر.

وسرنا تدفعنا الريح ومنظر الجزيرة يتغير كل دقيقة تقريبا. وسرعان ما اصبحت الاراضي المرتفعة من

الجـزيـرة خلفنـا وبـدأنا نسير بمحاذاة ارض رملية واطئة تناثرت فوقها أشجار الصنوبر. الى ان انعطفنا نحو زاوية التل الصخري التي تمثل النهاية الشمالية للجزيرة

وقد تمتعت جداً بممارسة مسؤولية القيادة كما تمتعت بالطقس المشمس، الجميـل، وبسبب ماتـوافر لدي من مأكـل ومشـرب فاني لم اعـد اشعـر بالاسف لقيامي بنبذ رفـاقي. ولـربمـا انتـابني شعـور اقوى بالسعادة لولا قيام (هاندز) بمراقبة تحركاتي وسكناتي وانا فوق ظهر السفينة - كانت على وجهـه ثمـة ابتسـامـة غريبـة، ابتسامة رجل مسن لم تخـل من غدر وخبث، ابتسامة راحت تلاحقني حيثمـا ذهبت، وحيثمـا تحركت، وأنا اقوم بما كان علي القيام به من مسؤوليات ضمن اطار هذه المهمة.

ثم غيـرت الـريـح اتجـاههـا نحو الغرب فانخفضت نتيجة ذلك سرعة السفينة في سيرها نحو مدخل الخليج الشمالي.

ولعـدم وجـود الـدفـع الكافي الذي من شأنه تمكيننا من ارسـاء السفينـة، ولاني لم اجـرؤ على توجيهها للارتطام بالشاطىء قبل ارتفاع المد، كان لدينا متسع من الوقت. وقـد علمني (هـانـدز) كيفيـة العمل على ايقاف السفينة

بعيداً عن المرسى [*] ـ وهو امر تمكنت منه بعد عدة محاولات ـ ثم جلسنا اثر انتهائي من ذلك لنتناول وجبة طعام اخرى.

«اسمعني، ياحضرة الربان»، قال (هاندز) وهويلعق طرف فمه، «هل لك ان تقذف بجثة رفيقي (اوبراين) الى البحر فوجوده امامنا لا يشكل منظرا لطيفاً اليس كذلك؟»

اجبت (هاندز) باني لست من القوة بحيث اتمكن من القيام بذلك بمفردي وعليه لابد ان تبقى الجثة حيث هي في الوقت الحاضر. ونظر (هاندز) الي نظرة ذات مغزى وقال:

«ان الـ(هسيانيولا) سفينة مشؤومة، يا(جيم)، فقد مات هنا الكثير من الرفاق، مثل (اوبراين)، منذ ان بارحنا ميناء (برستول). والآن اريد ان اطرح عليك سؤالاً: انك تعرف جيداً باني لست برجل مثقف بينما اكتسبت انت ملكة القراءة والكتابة فما رأيك بالموتى؟

---

* هي عملية ايقاف السفينة خارج المرفأ او الميناء او المرسى لكي تبقى ثابتة في محلها من غير ان تجنح الى الشاطيء او ترتطم بالصخور لاسيما عندما يكون المرفأ او الميناء مكتظا بالسفن ولا يسمح بالارساء فيه لفترة معينة. والعبارة بالانكليزي هي (Laying the ship to) ـ المترجم

اتعتقد انهم يعودون الى الحياة مرة اخرى ام انهم ينتهون نهاية ابدية بعد ان تفارقهم الحياة؟»

«يمكنك القضاء على الجسد، اما الروح فلا يمكنك قتلها. لقد رحل (اوبراين) الى عالم آخر ولربما يقوم الآن بمراقبتنا والاستماع الى مانقوله»، أجبته قائلاً:

قال (هانـدز): «يتضح مما تقول، إذن ان قتل الشخص ليس إلا مضيعة للوقت. ولكنني لا احسب للارواح حساباً باي حال من الاحوال، وساعتبر قيامك بجلب زجاجة نبيذ لي بادرة لطيفة و«مؤدبة»، يا (جم)، اذ اني اجد (البراندي) هذا شراباً قوياً جداً.

لم اصدق ما ادعاه من امر تفضيله النبيذ على البراندي، سيما وان عينيه أبتا الالتقاء بعيني بل ظلتا تتحركان في اتجاهات شتى بخفة وسرعة. لقد اراد ابعادي عن ظهر السفينة لامر مافي نفسه. ولكي لا يرتاب في شكي بنواياه فاني اجبته على الفور قائلا:

«سأجلب لك قليلا من الـ(پورت)[*]، ولكن عليك ان تصبر قليلا الى حين عودتي اذ ساضطر الى التفتيش عنه.» قلت ذلك وهرعت اهبط السلم وانا اتعمد احداث

---

*البورت ـ هو نوع من انواع النبيذ. اصله برتغالي ويتميز بقوته ومذاقه الحلو

إكبـــر قدر من الجلبـة . ومـاهي الا لحظـات حتى قمت بخلع حذائي والاسراع عبر الممر الى السلم الذي يربط الجـزء الـذي يبيت فيه افراد الطاقم بالطرف الامامي من ظهـر السفينـة . وبعـد ان ارتقيته اطللت برأسي لاختلس نظـرة الى الجـانب الخلفي حيث تركت (هـانـدز) فرأيته يسير على يديه وركبتيه وهو يئن الماً بسبب الجرح الذي كان قد اصـاب فخـذه . وسـرعـان ماوصـل الى لفـة من الحبـال ما ان مد يده تحتهـا حتى اخـرج مديـة طويلة النصـل ، عليهـا اثـار دم كان قد جفّ . وبعـد ان اخفاها تحت سترته عاد يزحف الى مكانه .

بات واضحاً ان المدية كانت ستستخدم للقضاء عليّ ولـكـنني كنت واثقـاً في الحين ذاتـه ان سلامتي كانت مضمونة الى حين تحقيق دفع السفينة الى الشاطىء وهو هدف اراد كلانـا تحقيقـه ولكن لسببين مختلفين ! ! كنت اجهـل دافـع (هاندز) ـ فلربما اراد الزحف بعد ذلك الى رفاقه القراصنة او استخدام المدفع لاستقدامهم اليه . لم يسعني تحـديد عرضه بالضبط . ولكن كان هناك ثمة امر واضح واكيد : كنت على ثقة من امر بقائي سالماً ومعافى لحين جنوح الـ(هسپانيولا) وارتطامها بالشاطىء .

هبطت السلم واسرعت الى مؤخرة السفينة ، وبعد ان

لبست حذائي وعثرت على زجاجة (پورت) عدت الى حيث كان (هاندز) متكئاً.

لقد وجدته في نفس الوضع الذي تركته فيه، الا انني لاحظت انه قد اخفض عينيه فبات كمن يعجز عن النظر الى النور. وما ان ناولته الزجاجة حتى نزع غطاءها بطريقة اوحت بوضوح خبرته الطويلة في هذا المضمار. وبعد ان افرغ جزءاً من محتواها في جوفه، نظر الي وتكلم بجدية قائلا:

«لقد جبت اطراف البحار وركبت الامواج فترة تجاوزت الثلاثين عاماً ذقت فيها حلو الامور ومرها وعرفت الطقس المعتدل والرديء، ومارست القتل بالسكاكين وخبرت الجوع بسبب نفاد المؤونة ولكنني لحد الآن لم اعرف لعمل الخير مذاقاً حلواً ولا نتيجة مفرحة فالفائز هو من يقوم بتسديد الضربة الاولى، والاموات لا يؤذون ولا ينتقمون، وهي حقيقة لاشك فيها». ثم تغيرت نبرة صوته فجأة عندما نظر الي ليقول: «ماعليك سوى تنفيذ اوامري، ايها الربان (هوكنز)، اذ سترتطم السفينة بالشاطيء وتنتهي من مهمتنا هذه».

كادت لا تزيد المسافة الى الشاطىء عن ميلين بحريين ولكن الملاحة فيها كانت تتطلب خبرة ومهارة

عاليتين بسبب ضحالة الماء التي جعلت مسار السفينة ضيقاً جداً. فوجب علي الالتزام بارشادات (هاندز) وتنفيذها بدقة تامة لانه كان في الواقع مرشداً بحريا من الصنف الممتاز. وكنا نتوجه الى الشاطىء ونحن نسير بخط ملتوٍ متفادين خلال سيرنا الانزلاق الى المواقع الضحلة وقد وجدت متعة عظيمة في مراقبة سير السفينة وتجاوزها جميع ما اعترضتها من عراقيل، وقد تم ذلك من خلال تنفيذ ارشادات واوامر (هاندز).

وعندما انتهينا من المرور بالرأسين - اي رأس (هاولبولاين) وتل (مزينماست) - اخذ البر يحيط بنا تدريجيا. وقد شاهدنا في نهاية المصب الخليجي لنهري الجزيرة حطام سفينة قديمة نمت فوقها الحشائش والاوراد وغطت دعائمها الاعشاب البحرية، فكان منظرا حزيناً اوضح لنا ان المرسى كان هادئاً.

وهنا التفت (هاندز) ليقول لي: «يالها من منطقة مختارة لارتطام السفينة فيها انها ارض رملية منبسطة، تكثر الاشجار فيها.»

«كيف سنتمكن من رفعها واعادتها الى البحر مرة اخرى؟» سألت:

قال: «يمكنك ذلك عن طريق مد حبل الى البر

وامراره حول احدى الاشجار الضخمة هناك ومن ثم عقد نهايته حول الرافعة الرحوية والانتظار بعد ذلك الى حين صعود المد الذي يتم عنده الشد على الحبل فترتفع السفينة لتعود الى وضع العوم.
والآن يا(جيم) عليك الانتباه لان السفينة تسير باكثر من السرعة التي يجب سيرها بها في هذه المياه.
ادر الدفة قليلا الى جهة اليمين! وحافظ على الاتجاه! والآن ادر الدفة قليلاً جداً الى اليسار. . وحافظ على الاتجاه. . .»
كنت اعمل على تنفيذ اوامره بكل دقة واتقان حتى الوقت الذي صاح فيه فجأة: «الآن يابني!»
وهنا ادرت الدفة بشدة في الاتجاه المعاكس لتمضي الـ(هسبانيولا) مسرعة نحو الساحل. وفي اثناء انتظاري توقف السفينة عن الحركة توقفت لحظات معدودة عن مراقبة (هاندز). ولربما سمعت صوت حفيف او لمحت ظلاً يمر سريعاً من امامي، ولكنني عندما نظرت حولي وجدته يمشي نحوي وقد رفع مديته بيده. وعندما دفع بنفسه الى الامام راوغته وانطلقت الى مقدمة السفينة دافعاً في اثناء ذلك ذراع الدفة الذي سرعان ما مال باتجاه الريح ليصيب (هاندز) في صدره.

نفذت من جانبه واسرعت واقفاً اما الصارية الرئيسة حيث سحبت مسدسي وادرت فوهته باتجاه عدوي الذي اخذ يتقدم نحوي ثم ضغطت على الزناد. ولكن المسدس لم يطلق اية نار بسبب تعرض فتيله لماء البحر.

وعلى الرغم من جرحه الذي كان (هاندز) يعاني منه فانه تقدم نحوي بسرعة وبخفة وقد تناثر شعره الاشيب على وجهه الذي ارتسمت عليه آيات الغضب والسخط. أما انا فقد وقفت برهة وانا امسك بعمود الصارية الرئيس بعد ان ادركت عدم جدوى استخدام المسدس الثاني الذي كان قد اصاب فتيله ما اصاب فتيل المسدس الاول من ماء البحر.

وبعد ان ادرك احتمال قيامي بمراوغته فانه توقف وهو يتظاهر بالحركة يميناً وشمالاً. وفي اثناء محاولة كل منا سبق الآخر في تحديد حركته القادمة ارتطمت السفينة بالساحل فترنحت لتميل الى الجانب بزاوية قدرها خمس واربعون درجة.

وسرعان مافقدنا انا و(هاندز) توازننا فرحنا نتدحرج باتجاه مجاري تصريف المياه، وجثة الرجل ذي القلنسوة الحمراء تتدحرج هي الاخرى خلفنا.

وقـد تمكنت من النهـوض ، والـوقـوف على قدمي ، قبل (هاندز) الذي اشتبك مع الجثة .

وبعـد ان زحفت فوق ظهـر السفينـة المـائـل تسلقت حبـال الصـاري الاقـرب الى مؤخرة السفينة ، ثم اخذت اتشبث بكلتا يدي حتى تمكنت من الجلوس على منصة هذا الصـاري . وقـد كان لسـرعتي في التسلق والوصول الى المنصة المذكورة الفضل في انقاذ حياتي اذ سرعان ماسـمعت صوت اهتـزاز السكين التي كان قد ارسلهـا (هـانـدز) اثـري وانا اتسلق الصاري لتثبت فيه على بعد ستة انجات تحتي .

وعنـدمـا القيت نظـرة الى الاسفـل قابلني وجـه (هاندز) الـذي اتجـه الى الاعلى وقد بانت عليه امارات التعجب وخيبة الامل .

وقـد قمـت في الـلحظـات التي تلت جلوسي على المنصـة باستبـدال فتيلي المسـدسين استعـداداً للقـاء (هـانـدز) الـذي اخـذ يرفـع نفسـه الى الاعلى محـاولاً الوصول الي وهو يسحب رجله المجروحة سحباً .

وكـان قد استعـاد مديته التي وضعها بين فكيه وهو يحاول الـوصـول الي . ثم نظـرت اليه وانا امسك بمسدسي في كل يد من يدي وقلت له :

«سألهب رأسـك بنـار هذين المسدسين اذا ما تقربت مني خطـوة اخـرى، فالمـوتى لا ينتقمون اليس كذلك؟ قلت بضحكة مكبوتة.

توقف برهـة فادركت انـه كان يقـرر تحـديـد الخطـوة التالية التي كان عليه اتخاذها. ثم أخرج السكين من بين فكيه وقال لي:

«لقـد نفـر احـدنا من الآخر على ما اظن، يا (جيم)، ولولا انحراف السفينة بعد جنوحها لتمكنت منك ولكنت الآن في عداد الاموات. ولكن ذلك كان من سوء حظي. امـا الآن فان علي ان اوجـه لك ضربـة مميتـة وهـو ليس بالامر السهل بالنسبة لبحار متمرس مثلي ازاء صبي مثلك.»

ابتسمت له وانا اشعر مثل ديك يقف فوق حائط حيث اشعـر بأمـان تام بفضـل المسـدسين اللذين كانا بيديّ. ويلمـح البصـر لاحظت يده اليمنى تميـل الى الخلف اعقبهـا صوت شيء جاء يصفـر في الهـواء ليعـاجلني بضـربـة ويشعـرني بوخـزة مؤلمـة وهـو ينفذ الى كتفي. وسـرعـان ما وجـدت نفسي مثبتـاً في الصـاري بفعـل السكين الـذي رمـاني به (هـانـدز). فما كان منى سوى الضغـط على زنـادي المسدسين مدفوعا بما اصابني من

دهش» وألـم في وقـت واحـــد. وبعـــد لحظـــة سقــط المســدســان من يدي ولكنهمـا لم يسقطا بمفرديهما: اذ بصيحة مكبوتة سقط (هاندز) على رأسه في الماء.

برز مرة واحـدة الى سطـح المـاء وسط بركة من الزبد والدم ليغوص مرة اخرى الى الابد. وبعد ان هدأ الماء. وزالت المـوجـات الصغيـرة تمكنت من رؤيـة (هـانـدز) مستلقياً على الرمل النظيف في القعر، تحت الظل الذي طرحـــه جانب السفينـــة.. ومـــرت بجســـده المسجى سمكـة، ولـربمـا سمكتـان، فبدا من خلال اهتزاز الماء كأنـه يحـاول النهـوض. ولكنـه كان ميتـاً ـ مستلقيـاً في الموقع الذي اراد ان يرسل جسدي اليه.

لقـد دفعني رعبي الى الغثيـان والغشيـان وانـا اراقب الـدم السـاخن يجـري فوق ظهري وصدري كانت وخزة السكين اشبـــه بلسعـــة الحـديـد السـاخن وقـد خشيت سقـوطي في الماء الراكد، ذي اللون الاخضر لأرقد بعد ذلـك بجـانـب (هـانـدز). ولم اثب الى رشدي واتمالك زمام امري الابعد انقضاء فترة غير قصيرة من الزمن

كادت السكين تقضي علي تمـامـا لولا حسن طالعي الذي دفعها الى الانحراف قليلا لتصيبني بجرح سطحي:

فقد نفذت الى جزء صغير من جلدي ومنه الى الصاري الذي شبكتني به. ولكنني تمكنت من الخلاص بعد تمزق ذلك الجزء الصغير من جلدي بفعل ما اصابتني من رعشة.

ثم طفقت نازلاً من خلال استعانتي بحبال الصاري. وقد عمدت الى معالجة جرحي بما تيسر لي من مواد ـ ذلك الجرح الذي لم يكن عميقاً او خطراً كما ادركت على الفور اني استطيع استخدامها بكل حرية وبلا ألم.

وقد قررت التخلص من جثة البحار ذي القلنسوة الحمراء الذي اتكأ على الجدار المحيط بظهر السفينة مثل دمية قبيحة الشكل. فبعد ان رفعته من وسطه القيت به الى البحر فغطس على الفور بينما راحت قلنسوته الحمراء تطفو فوق سطح الماء. وما ان هدأت حركة الماء وتلاشت الموجات الصغيرة حتى ظهر لي بوضوح وقد القى رأسه الاصلع فوق ركبتي الرجل الذي كان قد قتله، بينما راحت الاسماك الصغيرة تمر من فوقهما بلا مبالاة.

كانت الشمس قد اوشكت على المغيب فانعكس ظلال شجرات الصنوبر على ظهر السفينة ليزينه باشكال مختلفة. وقد هب نسيم كان من القوة بحيث دفع

الاشـرعـة العاطلة الى احداث قرقعة عالية. وقد تمكنت من انزال الاشرعة الثانوية(*) بسهولة، اما الشراع الرئيس فكان انزاله امرا صعبا جداً - فبعد ان قطعت الحبال التي تقوم برفع او انزال هذا الشراع فانه سرعان ما انتشر طافياً فوق سطح الماء. وكان هذا كل ماتمكنت القيام به.

ولما ركدت السفينة على جانبها اصبح مايصيبها امرا متروكا لما كان سيحدث من تطورات.

زحفت الى الامام لامسك بحبل المرساة الذي كنت قد قطعته لاستعين به في النزول الى الماء الضحل الذي خضتـه وصـولاً الى الشاطىء. وقد تركت الـ(هسپانيولا) ترتكـز على جانبهـا وقـد طفـا شراعها الرئيس فوق سطح المـــاء. وكنت آمـــل ان يقتنـع الـربُـان (سمـوليث) بان استعادتي للسفينة كفيل بدفعه الى غض النظر عن هربي.

وباتباع مسار النهر الذي يصب في الخليج المعروف باسم (مـرسى الـربان كيد) فاني سرعان ماوجدت نفسي في المنطقة التي كنت قد التقيت بـ(بين جن) فيها للمرة الاولى. ومن خلال توهـج النـار الذي لاح لي بين التلين

---

* هي في الواقع الاشرعة المثلثة الشكل التي تكون في مقدمة السفينة

فقد حسبت انه كان يقوم بطهو طعام العشاء.

وكنت اتعثر بالشجيرات واتدحرج في الحفر الرملية وانا اسير في الظلمة المتزايدة، الى ان تمكنت من رؤية طريقي بصورة افضل عندما ظهر القمر ناشراً ضياءه في كل مكان

وبين مشي وركض وصلت الى الحصن اخيراً. وقد لاح لي توهج من خلال الاشجار كان في الواقع ينبعث من عدد الجمرات.

اجتزت الفسحة التي تقع امام الدار، فوجدتها تسبح في ظل قاتم تقلمه اشعة القمر الفضية. وكان الصمت يخيم على كل شيء. وبعد ان وجدت مكانا كانت الظلال فيه هي الاكثر قتمةً قمت بعبور السياج.

وعندما سمعت صوت شخير رفاقي شعرت بغبطة اثلجت صدري. ولاني لم اجد احداً يقوم بالحراسة فاني لمت نفسي كثيراً لتركهم وهم بهذا العدد الضئيل جداً. ووسط دندنة الشخير المنتظمة كان يطرق سمعي بين حين وآخر صوت نقر لم استطع التعرف عليه او تحديده.

سرت الى الداخل، وبضحكة مكبوتة قررت

الاستلقاء للنوم في مكاني المعهود لأتمتع في الصباح بمراقبة وجوه رفاقي عندما تعلو الدهشة وجوههم وهم يكتشفون وجودي .

وفجأة عثرت برجل احد النائمين لاسمع بعد ذلك صوتاً حاداً مزق الصمت والظلام في آن واحد بصيحة «ثمانيات ! ثمانيات!»

ماذا اسمع؟ هل يمكن لببغاء (سلفر) الخضراء ان تكون هنا؟ (فلنت) داخل الحصن؟

كانت الببغاء في الواقع هي التي تنقر على قطعة الخشب في اثناء قيامها بالمراقبة والحراسة أفضل من اي رجل! وسرعان ماهب النائمون من مضاجعهم وانتصبوا واقفين . استدرت لأولي ادباري ولكنني وجدت نفسي اقف امام احدهم الذي اسرع الى تطويقي بذراعه . وهكذا وقعت في الفخ ! وبعد ان قام شخص آخر بايقاد مشعلٍ تأكدت بصورة لا تقبل الشك ان القراصنة قد استولوا على الحصن .

كانوا ستة رجال، لا اكثر ولا اقل ـ ولم يبق غيرهم من المتمردين على قيد الحياة . وكان احدهم مايزال مستلقياً على الارض، وقد اسند نفسه الى كوعه وهو يطيل النظر إلي بوجه علته الصفرة وقد لف رأسه بعصابة ملونة

بالدماء. وقد خطر لي ان الرجل هذا قد يكون الشخص الـذي اصيب بجـرح، في اثنـاء هجوم القراصنة علينا، وقد فر مولياً ادباره اثر ذلك.

جثمت الببغـاء فوق كتف (جـون سلڤر) الذي بدا لي اكثـر تجهمـاً من ذي قبـل. وكانت البدلة التي يلبسها قد تلوثت بالطين وتمزقت اجزاء منها.

«هـاهـو ذا صديقي (جيم هوكنـز) إذن، قال وهو ينظر الي، «وقد جاء للسلام علينا، ياله من لطف!

ثم جلس على برميـل البـرانـدي واخرج غليونه من جيبه وملأه، وقـال يخـاطب رجـالـه: «يمكنكم العـودة الى امـاكنكم كمـا كنتم ولا داعي للوقـوف احتـرامـاً وتبجيلاً للسيد (هوكنز) الذي سيسامحكم على جلوسكم، وهذا امر اكيد جداً.

والآن يا(جيم) ماهذه المفاجئة الجميلة؟»

لم اجب بحرف واحد! وكانوا قد اوقفوني امام الحائط حيث التقت عينـاي بعيني (سلڤـر) بكل جرأة وعزم بينما ملأ اليأس والقنوط قلبي.

وبعـد ان اشعـل (سلڤـر) غليونه وسحب منه نفساً طويلاً عاد ليواصل حديثه قائلا:

«لقد احببتك منذ البداية، يا(جيم)، لما تتمتع به من

شجـاعـة ومشـابـرة . انـي ارى فيـك نفسي عنـدمـا كنت
مثلك : شابـاً يانعـاً ووسيمـاً . وقـد اردتك منذ البداية ان
تكـون معنـا لتقـاسمنـا ما نحصـل عليه من ثروة . والان
ياعــزيــزي (جيم)، لا اظنـك ستخيب املي ! وفي كل
الاحـوال لا خيـار لديـك ابـداً ، فاصـدقاؤك قد نبذوك :
حيث اعتبـرك الـدكتـور (لايفـزي) ناكـراً للجميـل بينما
يجـدك الـربـان (سمـوليث) خائناً لأنك نبذت جماعتك
ورفضت القيام بما عليك من واجبات .
ويمـا انك لا تستطيع البقاء بمفردك ، فلا خيار لك سوى
الانضواء تحت راية الربان (سلفر) .

إذن كل شيء حتى الآن هو على مايرام : فاصدقائي
مايـزالـون احيـاء يرزقون وان اغضبهم نبذي لهم وهربي
منهم . فان شعوري بالراحة يفوق شعوري بالاسف .

قال (سلفر) وهو ينفث دخان غليونه :

«لا اجد موجباً لقيامي باعلامك انك الآن اسير
لا حول لك ولا قوة ومع ذلك اريد منك القيام باختيار
الانظمـام الينـا راغباً لا مكرهاً ، ولك الحرية المطلقة في
رفض ذلك ان شئت» .

«علي الاجـابـة إذن؟» قلت وانـا اشعر ان وجهي كان
يستعر من شدة الخوف .

«لا يوجـــد من يمـــارس اي ضغـــط عليـــك، ايهـــا الصبي»، قال (سلڤر). «انني اجد في رفقتك متعة بالغة».

«حسن»، قلت بجسـارة. «اريـد ان اعـرف تفاصيل الامور: لماذا انتم هنا؟ وماذا حل باصدقائي؟»

ماذا حدث؟» سأل احدهم بلهجة غاضبة «انه لسعيد الحظ من يعرف كيف تطورت الامور لتصل الى هذه الحال!»

دعـك من هذا الكلام يا(جورج ميري) ولا تكن اعتدائياً في تصـرفـك، قال (سلڤـر) يخـاطب الـرجـل هذا. ثم التفت الي وخاطبني بلهجة مؤدبة ورقيقة:

جاءنـا الـدكتـور (لايڤـزي) صباح يوم امس يحمل علماً ابيض واخبـــرني باننـا قد خسـرنـا الصفقـة بعـد رحيـل السفينـة. وكنـا قد اهملنا هذا الجانب ـ فقد الهانا شرب الخمـر عن مراقبـة السفينـة التي اختفت عنـا وتـركتنـا. صدقني، ياعـزيـزي (جيم)، عنـدمـا اقول لك انني لم اكن ابـداً وسـط رفقة اكثر خيبة وحماقة من هذه التي شاء سوء حظي عملي معهـا. وعنـدمـا طلب مني الـدكتـور امكـــانيـة تحقيق التـوصـل الى اتفـاق فاني وافقت على الفـور. وهـا انك تجدنا هنا في هذا الحصن وقد حصلنا

على جميع ماجئتم به من مؤن اما اصدقاؤك فقد رحلوا من هنا الى حيث لا اعلم.» قال ذلك ثم سحب نفساً من غليونه وواصل كلامه قائلا: «لا تظن انك جزء من الاتفاق - فقد ذهبوا وهم يلعنون الساعة التي تعرفوا فيها عليك!»

قلت: «إذن علي ان اختار أليس كذلك؟»

قال: «هذا امر لاشك فيه ابدا».

قلت: «اني لا اتوقع سوى الاسوأ. لقد شهدت موت الكثير من الرجال منذ اول لقاء لنا. ولكن هناك ثمة امر لابد لك من الاطلاع عليه: فبالدرجة الاولى عليك ان تدرك بانكم في وضع سيىء جداً بعد ان فقدتم السفينة والكنز والقسم الاعظم من رجالكم. فلقد ضاعت مغامرتكم وذهبت جهودكم سدى بسببي انا. فاعلم يا(سلڤر) اني كنت مختبئاً في برميل للتفاح في تلك الليلة التي شارفنا فيها على الجزيرة والتي سمعتك فيها تحدث (دك) و(هاندز) بتفاصيل نواياك. وقد قمت بدوري بنقل هذه التفاصيل بحذافيرها الى اصدقائي قبل انقضاء ساعة واحدة على سماعي لها. اما بالنسبة للسفينة فانا الذي قطعت حبل مرساتها وقتلت من كان على ظهرها، كما قمت أنا شخصياً بقيادتها وارسائها في

موقـع لن تعـرفـه ابـدا. لقـد ضحكت عليك منذ البداية واني لا أخاف منك اكثر من خوفي من ذبابة.

والآن يمكنـك قتلي او الابقـاء علي. فاذا ما ابقيتم على فبـامكاني الدفاع عن موقفكم عندما تقفون متهمين امـام القضـاء. امـا اذا اردتم قتلي فلن تجـدوا شاهـداً يحاول الحيلولة بينكم وبين المشانق».

توقفت عن الكـلام وانـا الهث. وقـد استغربت كثيراً عنـدما اخفق ماقلته في التأثير على القراصنة الذين وقفوا يمعنون النظر فيّ مثل مجموعة من الخراف.

ومع ذلك واصلت كلامي مخاطبا (سلفر):

«والآن ياسيدي (سلفر) ان كنتم قد اتفقتم على قتلي فاني أطلب منـك اخبـار الطبيب كيف تم لي مواجهـة مصيري الذي كتب علي».

«لن انسى ذلك،» قال (سلفر) بنبرة غريبة لـم اتمكن من خلالها معرفة ما اذا كان في الواقع يضحك مني ام ان ماقلته قد أثر فيه.

وهنـا انبـرى (تـوم مورجـان) قائـلا: «وبالاضافة الى ذلك كله فانه كان الشخص الذي تعرف على (بلاك دوج)».

«اجـل!» قال سلفـر، «كمـا انـه كان الشخص الذي وضـع يده على الخـريطة التي كانت بحوزة (بلي بونز). فهو إذن الشخص الوحيد الذي تسبب في اخفاقنا.»

«فليأخـذ جزاءه إذن!» قال (تـوم مورجـان) وهو يطلق السبـاب والشتـائم وينتصب واقفـا بعـد ان سحب مديته استعدادا لقتلي.

«قف مكانك وتمهل!» صاح سلفر بصوت جهوري، غاضباً، «هل تظن نفسك القائد هنا؟
فوالله لو تجرأت على الخروج عن طاعتي لاذقتك الويل.
لم التق لحد الآن بالرجل الذي عصى امري وبقي حيا!»

توقف (مورجان) ولكنني سمعت البقية يتمتمون، ثم انبرى احدهم قائلا: «ان توم على حق!»

«افضل الشنق على الامتثال لاوامر (سلفر)، قال آخر.

«من منكم ايها الحمقى يريد منازلتي؟» صاح (سلفر) بغضب مفـزع. «من يطلب منكم ذلـك سيجدني جاهزاً ومـا عليه سوى التجرؤ على استلال سيفه وسوف اقدم له كبده على صحن قبل الانتهاء من تدخين غليوني هذا!»

لم ينبس اي منهم بحرف واحد.

«هـذا هو معـدنكم ايهـا الجبنـاء»، واصـل (سلڤـر) تأنيبـه. ثم وضـع غليـونه في فمه وسحب نفساً وهو ينظر اليهم باحتقـار ليـواصـل كلامـه. «انكم لا تملكـون الشجاعـة على القتـال. ولعلكم تفهمون الانجليزية انا الربان هنا ـ وانا الذي اتولى قيادتكم ـ لانني افضل بكثير من اي منكم. وعليكم اطاعتي اطاعة عمياء وإلا سينال الـمخـالف منكم جزاءه على يدي. اني معجب بهـذا الصبي الذي لديه من الرجولة مالا يملكها اي منكم ايها الجـرذان! والآن اريـد ان اعـرف من منكم يجـرؤ على لمسه باي شكل من الاشكال؟».

قال (سلڤـر) ذلـك واتكأ على الحـائط ببرود وثقة وقد شبك ذراعيه وراحت عيناه تراقب بدقة.

امـا رجـالـه فانهم انسحبـوا الى الجهـة المقـابلة من الغـرفة وجلسوا يتهامسون فيما بينهم وهم يسترقون النظر اليـه. وقـد بدت وجـوههم حمـراوات بفعـل النور الذي ارسله المشعل في اركان الغرفة.

«نـود ان نستمحيـك عذراً يا سيـدي»، قال (جـورج ميـري). «لقد سئم الرجال هنا الاستضعاف. وبموجب تعليمـاتـك فان بامكـاننـا الاجتماع لتداول امرنا ولذلك

فاني اطـالب بحقي في الخـروج من هنـا للتـداول مع رفـاقي . » قال ذلـك ثم ادى للربـان (سلقـر) تحيـة قبـل خروجـه من الغـرفـة بهدوء وبرود أعصاب وكان (ميري) هذا عسلي العينين وفي الخامسة والثلاثين من عمره . وما ان خرج حتى تبعه البقية فبقينا أنا و(سلقر) . وحدنا .

قال لي (سلقـر) محـذراً : «افهم يا(جيم) انـك قاب قوسين او أدنى من التعـرض للتعـذيب والمـوت . اظنهم سيـتفقـون على عزلي من منصب القيـادة . ولكنني مع ذلـك سوف احـاول جهـدي الـوقـوف الى جانبك وعدم التخلي عنـك . لقـد اعجبت بطـريقة كلامك الرجولية ، الشجاعة . وعلينا الآن ان نتفق :

انت وانا . اذا ماوعدتني بالوقوف الى جانبي وانقاذي من حبل المشنقة ، فسوف اخلصك من قبضة هؤلاء الاشرار . »

بدأت افهم واقع الحال .

سألت (سلقر) قائلا : «هل ضاع كل شيء؟»

«أجـل» ، اجـابني قائـلا . ، «وقـد بدأت ادرك ذلك منذ اختفـاء السفينـة ، لا تأبـه بامـر هؤلاء الرعاع ، الجبناء . ساعمـل انـا على انقـاذك فلا تقلق من هذه النـاحيـة يا(جيم) ، ولكن عليك انقاذي من حبل المشنقة . »

اجبته : «لن آلو جهدا في هذا المجال» .
قال : «انك تتكلم بثقة وجرأة . لدي امل إذن!» ثم مشى وهو يعرج الى الشعلة ليأخذ منها نارا لغليونه .
ادرك انك اخذت السفينة ووضعتها في مكان امين» ، قال (سلفْــر) . «لم تكن لدي ايـة ثقـة بامكـانيـة اي من (هاندز) او (اوبراين) . انك فتى موهوب وشجاع يا(جيم) وبـامكـانـنـا ، انـا وانت ، تحقيق منجزات كبيرة لو قدر لنا العمل سوياً . »
وبينمـا كنـا على هذه الحـال ، دخـل احـد القراصنة وطلب الاذن باستعـارة المشعـل . وعنـدمـا اخذه وخرج جلسنـا انـا و(سلفر) وسط ظلمة دامسة . وقد حانت مني التفـاتـة باتجـاه احـدى المـزاغـل فرأيت من خلاله احد القراصنة وهو متحنٍ فوق كتاب ، ومديته التي كان يمسك بهـا تتـلامع بينما راح بقية الرجال يراقبونه . وما ان اعتدل هذا الــرجــل في جلستــه حتى نهض واقفــاً واخـذت المجموعة باكملها تتجه نحو الدار .
«دعهم يأتــوا يابني ، فان حيلي لم تنفـد بعـد» ، قال (جون سلفر) الطويل بنبرة مرحة .
دخـل الـرجـال الخمسـة ببطء وهم يدفعون (جورج ميري) امامهم .

«تقـدم مني (يـا (جورج))»، قال (سلڤر)، اني اعرف الانظمة جيداً.»

تقـدم القـرصـان من (سلڤـر) ونـاولـه شيئا ثم تراجع برشاقة ليقف في مكانه.

«البقعـة السـوداء! هذا ماظننته. ومن اين تمكنتم من الحصول على الورق؟ مهلا! هذا امر منحوس جداً! من الاحمق الذي قطع قصاصة الورق هذا من الانجيل؟»

«هـذا ماقلتـه لكم،» صاح؛ مورجان،، «لن نحظى بحسن الطالع بعد اليوم. سيواجهنا النحس!»

«سـوف تشـنـقـون جميعكم لقـاء عملكم هذا،» قال (سلڤر) بصوت متهدج. «من الاحمق الذي كان بحوزته انجيل؟»

«انه (دك)،» اجاب احدهم.

نظـر اليـه (سلڤـر) شزراً ثم قال: «عليك الركوع للصلاة والابتهـال الى الله طلبـا للغفـران. لقـد زال عنك الحظ حتى يومك الاخير».

«دعك من هذا الهراء!» قال (جورج ميري).

«لقـد سلمـك الـرجـال البقعة السوداء بعد ان تداولوا الامـر وتـوصلوا الى قرار معين. فاقلب الـورقـة واقـرأ

مامكتوب في ظهرها. بعد ذلك يمكنك الكلام».

«شكرا يا(جورج)،» قال (سلڤر) بنبرة لم تخل من مرارة. «لقد كنت دائما رجل عمل جادا. آه! لقد قررتم عزلي اذن! ياله من قرار. اني معجب بخطك يا(جورج) فهو انيق جدا. اظنك ستتولى القيادة بعدي لاشك!»

«عليك النزول والاشتراك في التصويت»، قال (جورج ميري).

اجابه (سلڤر) بهدوء لم يخل من قوة «مازال ربانكم وقائدكم، وسأبقى كذلك لحين سماعي فحوى شكواكم، حتى ذلك الحين فان بقعتكم السوداء هذه تخلو من كل قيمة.»

«ان الرجال مجمعون على عزلك من منصب القيادة»، قال جورج.

«اولا لانك افسدت امر هذه الرحلة وضيعت علينا فرصة ذهبية.

ثانيا:لانك تركت الاعداء يخرجون بسلام من هذا الفخ بلا مقابل او مبرر مقنع.

وثالثا لانك منعتنا من اللحاق بهم والقضاء عليهم بصورة نهائية.

اما رابعا، واخيرا فانك تحمي هذا الصبي الذي يعتبر اساســا المتسبب الاول في الاخفــاق الــذي مانـزال نواجهـه. ان افسـادك الامر، واخفاقك في ممارسة قيادة حكيمة، والاصرار على المحافظة على حياة هذا الصبي سيؤدي بنا جميعا الى التأرجح على حبال المشانق.»

«ان كان هذا هو كل مالـديـك فاود الآن الاجـابة قال (سلفَر). بهدوء. لو قدر للامور ان تسير وفق ماخططت له لكنـا الآن على ظهـر الـ(هسيـانيـولا) نمخر عباب البحر بصحبـة كنـزنا من الذي اجبرني على تغيير خططي؟ من الذي ناولني البقعة السوداء في اول يوم من نزولنا الى البر ودفعنـا الى هذه الحـال المـزريـة؟ من؟ انـه (انديرسن) و(هـاندز) وانت شخصيا يا (جورج ميري). انك الوحيد الـذي بقي على قيـد الحيـاة من بين افـراد هذا الثـلاثي الاحمق. اجـل، انت الـذي اغرقتنا جميعاً وانتهيت بنا الى الفشل»

توقف (سلفـر) عن الكـلام برهـة. وقـد لاحظت في اثناء ذلك اثر ماقاله والذي انعكس بوضوح في وجوه المستمعين.

ثم مسـح الطبـاخ البحري حيات العرق اللواتي تصببت على جبينه، وهو يرتجف غضبا، ثم واصل كلامه قائلا:

«اني اشمئز من الحديث معكم، واقسم بالله انكم لستم بمغامرين اشداء بل رعاع جبناء، تجهلون ابسط امور حرفتكم.»

«تكلم عن الآخرين! فالكلام هذا لا يشملني»، قال (ميري).

«لقد قربنا من حبل المشنقة الى الحد الذي بدأت فيه اشعر بتشنج رقبتي،» صاح (سلفر).

«لن ارضى لنفسي التدلي من حبل المشنقة ويداي مكبلتان بالاغلال، والطيور تنقر عيني والبحارة ينظرون إلي وهم سائرون في طريقهم فيسأل احدهم قائلا من هذا؟ فيجيبه رفيقه قائلا انه (جون سلفر). فاعلموا يارجال اذن، اننا قريبون جدا من هذا المصير المخيف بفضل (جورج ميري) هنا وبفضل رفيقه (انديرسن) و(هاندز). اما ماجاء في (رابعا) من كلام ميري فدعوني أقل لكم اني لن اقتل هذا الصبي. انه رهينة لدينا وقد يكون فرصتنا الاخيرة للافلات من هذا الفخ المرعب وما هو امر (ثالثا)؟ هل كان علي قتل الطبيب الذي يأتي لزيارتنا يوميا؟ الم يداوِ الجرح الذي اصاب رأسك يا(جون)؟ وانت يا(جورج ميري) الم يحاول علاجك من مرض الملاريا الذي اصبت به.؟

ومـاذا عن النقطـة الاولى التي اثارها (ميري)؟ ماذا كنتم تأكلون قبل ان تلتمسوني من اجل القيام بالحصول على هذا الحصن ومـا احتـواه من صنـاديق لحم الخنـزيـر ويـراميـل النبيـذ لقـاء السمـاح للاعـداء، ان صح هذا التعبيـر، بتـرك هذا المكـان بامـان؟ لم يكن لديكم من طعـام سوى الفحم والـرمل هذا كل ماقمت به ـ وقد جاء تلبية لما طلبتموه انتم! ثم:

ان عمليـة المقـايضـة قد تمت بسبب قصاصة الورق هذه!» قال ذلـك والقى بورقـة على الارض سرعـان ما تعـرفـت عليـهـا: كانت خريطـة الكنـز التي حملت الاشـارات التي كان الـربـان (فلنت) قد وضعهـا عليهـا اساساً والتي كنت قد اخذتها من صندوق (بلي بونز) في نزل (الاميرال بينبو). وبينما كنت اتساءل في نفسي عن السبب الـذي دفـع الطبيب الى اعطـاء القـراصنـة هذه الخريطة، كان الرجال الخمسة يدققون النظر فيها. وقد يظـن من يرى طريـقـتـهم في لمس هذه الـورقـة انهم يلمسـون الـذهب نفسـه ـ ذلـك الـذي راح ضحيتـه ثلثا مجموع رفاقهم.

«هـذه اشـارات (فلنت) نفسـه لاشـك، قال احدهم «شيء جميـل!» قال (جـورج ميـري) بنبـرة لم تخل من

تهكم، ولكن كيف يمكننـا الحصـول عليه والاحتفاظ به ونحن لا نملك سفينة؟»

وهنا انتفض (سلڤر) واقفاً وهو يستند الى الحائط بيده وقال:

«يفتـرض بك الاجـابـة عن هذا السؤال ، يـاجورج ـ انت الـذي تهـوى تبـوأ منصب القيـادة لاسيمـا بعـد ان تسببت بفقـدان السفينـة ، قاتلك الله! ولكنك لا تستطيع ذلـك ابـدا لانـك لا تملك من العقـل والادراك ماتملكه حشـرة حقيـرة. اني مستقيـل، ايهـا الرفاق. اني انفض يدي منكم ومن كل مسؤوليـة تتعلق بكم وعليكم الآن ان تنتخبوا شخصاً آخر ليحل محلي».

«سلڤر»! صاحوا جميعا مرة واحدة. «سلڤر هو ربانناء.

«هـذا هو قراركم اذن.. حسن! عليك الانتظار قليلا يا(ميـري). اتمنى لك حظـا اوفـر في المـرة القـادمـة. وعليـك ان تدرك انـك لست بانسـان سيىء الحـظ الى درجة كبيرة ـ انك تقف امام شخص لا يريد الانتقام منك وهنـا يكمن حسن طالعـك. والآن يارفاقي علينا ان نتدبر امـر هذه البقعـة السوداء. لقد دنس (دك) إنجيله وجلب لنفسـه سوء الطـالـع،» قال (سلڤـر) وهو يتنقل بنظره من

واحد الى آخر.

«ساقبل الكتاب واطلب من الله الغفران»، قال (دك) «لا قيمة لانجيل مقطوع الاوراق»، قال (سلفر) وهو يلقي بقصاصة الورق اليّ ويقول: «خذ يا(جيم) يمكنك اضافتها الى ماتملك من تحف وطرف.

كانت ورقة مستديرة الشكل غطت البقعة السوداء احدى صفحتيها بينما حملت الصفحة الاخرى عددا من العبارات كانت احداها هي عبارة «معزول» اما البقية فكانت: «الكلاب والقتلة هم الذين يرسلون الى البرية!»

وهكذا انتهت اعمال ذلك اليوم. وبعد ان شرب كل منا جرعة اضطجعنا جميعاً للنوم باستثناء (جورج ميري) الذي امره (سلفر) بالقيام بواجب الحراسة ولم اتمكن أنا من النوم الا بعد فترة طويلة من الزمن بينما راح (سلفر) يغط في سبات عميق وهو يشخر بصوت عال كأي شخص بريء.

شخصيـا . وكم شعـرت بالخجـل عنـدما نظرت اليه وانا قابع وسط هذه المجموعة من القراصنة القتلة .

«صبـاحـك نور وسرور ياحضرة الطبيب، قال (سلفر) بمـرح وغبطـة وهـو ينهض ليـرحب بالطبيب. «لدينا زائر غريب) قضى ليلته الى جانب رفيقه جون»

كان الـدكتـور (لايفـزي) قد عبـر عتبـة الـدار ولكنـه سرعـان ماجمـد في مكانه وهو يحدق في (سلفر) ويقول بلهجة تعجب واضحة «ليس (جيم)؟ «بل هو بالذات» . اجاب (سلفر) وهو يبتسم .

قال الطبيب: «الـواجب قبـل كل شيء. اين المـرضى وبعـد ان نظـر الى واومأ برأسـه ايمـاءة جافـة اتجـه الى المـريض بنفس الطـريقـة التي اعتـاد عليهـا عنـد تفقد احـوال عائلة بريطـانيـة . «انـك انسـان محظـوظ، » قال يخـاطب الـرجـل الـذي كان يعاني من جرح في رأسه . «لابد ان رأسك مصنوع من فولاذ لتمكنه من مقاومة عيار ناري . يفـرض علي الـواجب انقـاذ حيـاة من يعمـل في خدمة جلالة الملك ويذود عن حياض الوطن كما يفرض على انقاذ حياة اولئك الذين يشاء سوء طالعهم ان ينتهوا فوق المشانق . »

استقبل المارقون هذه الطعنة النجلاء بصمت مطبق .

بعد ذلك انبرى احدهم قائلا : «دك» ليس على مايرام ياسيدي»

«تقدم يا (دك)» ، صاح الطبيب» انها الحمى . . دعني أرَ لسانك يارجل ! يا إلهي ! ماهذا؟ انه كفيل بأرعاب الامة الفرنسية باسرها(*) . انت بحاجة ماسة الى دواء . وكيف حالك انت يا(جورج)؟ ان لون وجهك لا يبعث على الراحة . هل تناول دواءه ايها الرجال؟»

«اجل ياسيدي . لقد تناوله من دون شك» ، قال (مورجان) وفي اثناء قيام الدكتور (لايفزي) باعطاء المرضى دواءهم ويتفقد احوالهم فانه واصل كلامه قائلا :

«انكم مجموعة حمقى وجهلة . ان معلوماتكم عن ابسط قواعد الصحة تقل عن معلومات اية بهيمة من البهائم ،

---

* بلغ العداء البريطاني ـ الفرنسي اوجه في سني القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، اللذين تخللتهما عدة حروب دامية ، ولم ينته هذا العداء بصورة عامة إلا في الربع الاول من القرن التاسع عشر اي بعد اندحار نابليون ولكنه في الواقع وإن لم يأخذ صيغة عسكرية بحتة ، حتى عام ١٩٠٤ عندما توصلت الدولتان الى عقد (الاتفاق الودي) من اجل مجابهة الخطر الذي شكلته في ذلك الحين ألمانيا القيصرية . وقد تطور (الاتفاق) هذا ليصبح حلفا عرف بالحلف الثنائي ثم اصبح حلفا ثلاثيا بدخول روسيا القيصرية ـ المترجم

ولا يمكنكم ان تعرفوا الفرق بين الهواء العليل والسم القاتل. هذه نتيجة البقاء قرب المستنقعات. وسوف تحتاجون الى وقت طويل قبل ان يتم لكم الشفاء من الملاريا.

اطرق القراصنة برؤوسهم خجلا كما يطرق التلاميذ المذنبون برؤوسهم وهم يستمعون الى تأنيب المعلم.

«والان» واصل الطبيب كلامه «ساكتفي اليوم بهذا القدر من العلاج لاني اريد التحدث مع الصبي (هوكنز).

كان (جورج ميري) يقف عند مدخل الدار وهو ينظر الى دوائه ويدمدم. ولكنه سرعان ما استدار الى الداخل وصاح بصوت مرتفع: «كلا!»

ضرب (سلفر) البرميل براحة يده، ضربة قوية ونظر الى (جورج ميري) شزراً ثم صاح كالاسد «اخرس»! ولكنه التفت الى الطبيب وقال برقة «بامكانك التحدث مع الصبي. اننا ممتنون لما ابديته تجاهنا من لطف. اننا نثق بك بدليل قيامنا بشرب ماتعطينا من دواء بلا تحفظ او خوف. هل لك يا(هوكنز) ان تعدني بشرفك، بصفتك سيداً مهذباً - وان كنت قد ولدت فقيرا - انك لن تهرب؟»

- وعدته عن طيب خاطر.

«حسن ياحضرة الطبيب، عندما تجتاز سياج الحصن سوف اجلب لك الشاب (جيم) وبامكانكما التحدث معا كما تشاءان».

وما ان خرج الطبيب حتى بدأ القراصنة يلعنون (سلفر) ويتهمونه باللعب على الحبلين وبانه كان يحاول التوصل الى عقد سلام خاص به، وهو ماكان يحاوله في الواقع. ولكنه زجرهم وقال انهم حمقى ومجانين وهو يلوح بالخريطة . ثم قال:

لست بخائن يا ايها الاوغاد. سوف نخرق الاتفاقية عندما يحين الوقت. ولكنني ساتملق الطبيب هذا واداهنه حتى ذلك الحين.».

وبعد ان اوعز لهم باشعال النار سار الى الخارج وهو يستند الى عكازه ويضع يده الاخرى فوق كتفي. وبعد ان سرنا بضع خطوات قال لي:

«تمهل يارفيقي ولا تمش بسرعة وإلا هجموا علينا اذا ماشعروا اننا نسرع».

وهكذا فاننا مشينا ببطء عبر المنطقة الرملية لنصل الى حيث وقف الدكتور (لايفزي) بانتظارنا.

وهنا قال (سلفر) يخاطب الطبيب.

«اعلم ياحضرة الطبيب اني انقذت حياة هذا الشاب

وعـزلت من قيـادة مجمـوعتي نتيجة ذلك. ليست حياتي هي الـوحيـدة التي تواجـه الخطـر، بل حياة هذا الشاب ايضـا. عدني بمحـاولـة انقاذي من حكم الاعدام بحق الرحمة السماوية.»

«ماهذا الكلام يا(جون)؟ هل انت خائف؟» سأل الطبيب.

«لست بجبان»، قال (جون) «ولكنني لابد ان اعترف اني اخـاف من حبل المشنقة. انك رجل صالح وامين، ومن النـوع الـذي لم اشهـد له مثيـلا من قبل، فارجوان تتـذكـر اعمـالي الصـالحة كما تتذكر السيئة منها. والآن ساترككما انت و(جيم) وحدكما.»

تركنـا (سلڤـر) وذهب ليجلس على جذل(*) قريب ولكنـه بعيـد عن مدى السمـع، واخـذ يصفـر لحنا بينما راحت عينـاه تراقبني بدقـة وتنظـر بين حين وآخـر الى الحصن حيث انهمـك الـرجـال في اشعـال النـار وتحضيـر وجبة الفطور المتكونة من لحم الخنزير.

«انت هنـا، إذن، يا(جيم)، قال الطبيب بنبـرة حزينـة. «لم يفترض بك ترك الحصن عندما كان الربان سموليث

---

* الجذل ـ هو المتبقي من اصل الشجرة بعد قطع جذعها ـ المترجم

مريضا. كان بحق السماء عملاً جباناً.

«اعلم ايها الطبيب،» قلت والدموع تنهمر من عيني، «كدت اكون في عداد الاموات لولا رعاية (سلفر) وحمايته لي ان بامكاني تحمل الموت، الذي قد استحقه لما اقترفته من عمل، ولكنني لا استطيع تحمل التعذيب. فلو انهم قرروا القيام بتعذيبي..»

وهنا قاطعني الطبيب قائلا: «توقف عن البكاء. لا يمكنني ان اراك في مثل هذا الحال. هيا دعنا نهرب من هنا.»

قلت: «لا يمكنني ذلك بعد ان وعدت (سلفر) بعدم الهروب»

قال: «لا يسعنا الالتزام بالوعود في مثل هذه الظروف. ساتحمل انا تبعة ما يترتب على هربك. هيا انهض! قفزة واحدة وتكون قد تواريت عن الانظار.»

«كلا!» قلت له باصرار. «لو كنت مكاني لأبيت الا الالتزام بما وعدت. وهكذا انا. لقد وضع (سلفر) ثقته في ولابد لي من العودة. واذا ماقرروا تعذيبي فقد اخبرهم عن موقع السفينة لاني قد تمكنت من دفعها حتى الارتطام بالشاطيء الجنوبي للخليج الشمالي

وعنـدمـا يصبح المد نصفيا(*) تكون قد خرجت من الماء واستقرت على اليابسة.»

«ماذا تقول؟ السفينة!». صاح الطبيب بتعجب.

وهنـا قمت باخبـاره بتفـاصيـل مغـامـراتي التي سمعهـا بصمت واهتمام.

«في كل خطـوة مشينـاهـا، يا(جيم)»، قال الطبيب، قدر لك التدخل لانقاذ حياتنا وبذلك سوف نبذل قصارى جهـدنـا لانقـاذ حيـاتـك ـ لقـد اكتشفت المؤامـرة كمـا اكتشفت (بين جن) ـ انت بمفـردك.» وهنـا نظـر الى (سلڤـر) وصاح بصوت مسموع: «دعني أُسدِ لك مشورة قيمة: لا ترهقوا انفسكم بحثاً عن الكنز!»

اجـاب (سلڤـر): «هـذا امـر غير ممكن. ان الطريقة الـوحيـدة لانقـاذ حيـاتي وحيـاة هذا الشاب هي محاولة البحث عن الكنز، وهذه حقيقة لا ريب فيها ابدا».

قال الطـبيب: «إذن كن على استعـداد لمـواجهـة عواصف الغضب والسخط عندما تجده!»

وهنـا انـدفـع (سلڤـر) يتكلم بمـرارة ويقـول: «انـك

---

* الزمن او الحالة المتوسطة بين المد والجزر ـ المترجم

تكتفي بالكلام القليل ياحضرة الطبيب. اني لا افهم - بالدرجة الاولى - ما الذي دفعكم الى ترك الحصن واعطائنا خريطة الكنز. وفي كل الاحوال لماذا لا تفصح عما تريد قوله؟»

قال الطبيب: «لا يمكنني ذلك لان السر لا يعود لي شخصيا واذا ما بحت به فسوف اعرض نفسي لغضب رفاقي وسخطهم. ولكنني اعدك وعدا حرا، شريفا: اذا ماقدر لنا الخروج من هذه الجزيرة بسلام وامان فسوف احاول جهدي - باستثناء لجوئي الى الادلاء بشهادتي زورا - لانقاذ حياتك.»

وهنا شعّ وجه (سلفر) فرحا وقال:

«لا يمكنك قول اكثر مما قلته حتى لو كنت أمي بشخصها!»

«اما مطلبي الثاني»، قال الدكتور، «فهو ان تعدني بعدم ترك الشاب هذا يغيب عن نظرك اذا ما احتجت المساعدة فما عليك الا ان تصرخ بطلبها. واني عائد على الفور للقيام بتأمين هذه المساعدة بالسرعة الممكنة استودعكما الله».

مد الدكتور (لايفزي) يده لي مصافحا ثم انطلق

عائـداً. ومـاهي إلا ثوانٍ حتى كان قد اختفى عن الانظار بعد توغله وسط الغابات المحيطة.

قال (سلڤر) وهو ينظر لي نظرة امتنان:

«لقـد انقـذت حيـاتي يا(جيم)، وسـوف اذكـر لك هذا الـصنيـع دومـا لقـد فهمت من طريقـة كلام الطبيب واشـارات يده انـه دفعـك الى الهـروب وادركت انك قد رفضت، والان علينـا القيـام بالبحث عن الكنـز من غير الافصـاح عن حقيقـة مانهـدف اليـه من خلال العملية. وعليـك البقـاء الى جنبي ومـراقبـة مايدور خلفي وبذلك نتمكن من انقاذ حياتنا».

بعـد ذلـك عدنـا الى القـراصنة وشاركناهم في تناول طعـام الافطـار. وكـانـوا قد اشعلوا نارا تكفي لشـواء ثور باكمله. انهم قوم مبـذرون لاسيمـا وانهم قد أعدّوا كمية طعـام كانت في الـواقع ثلاثة اضعاف كفايتهم! ثم انهم قاموا برمي مالم يتمكنوا من اكله الى النار. لم اشهد قوماً مثلهم يفتقـرون الى ادراك ماقـد يحصـل في الغـد. اما (سلڤر) فقد تغاضى عن الموضوع بخبث، ولم يلجأ الى تأنيبهم او نهرهم.

«انكم محظوظون لقيامي بالتفكير نيابة عنكم وبرعاية مصالحكم،» قال «سلڤر». «لقد علمت ان السفينة الآن

هي بحــوزتهم ولكنني لا اعــرف موقعهـا . ولكن علينـا البحث عنهـا وايجـادهـا متى ماحصلنـا على الكنـز بعد عثـورنـا على مكـانـه . ان المجمـوعـة التي سيكتب لها السيطـرة على السفينـة ستكـون لهـا الكفـة الـرابحـة» .
وهكـذا راح (سلفـر) يطمئن رفـاقه ويريحهم ، ولعله كان في الحين ذاتـه يحـاول جلب الـراحة الى نفسه كذلك . ولـو قدر لي ولـ(سلفـر) الذود عن حياتينا لوقفنا عاجزين : صبي لاحول له ولا قوة ورجل معوق برجل واحدة!
ولـذلـك كنت يائسا ومهموما عندما انطلقنا ـ انا وآسريَّ ـ بحثا عن الكنز.

كانـوا جميعهم مدججين بالسلاح : فقد علق (سلفر) بنــدقيتين فوق كتفيــه ووضــع فيٍ كل جيب من جيبيـه مسـدسـا كما حمل في جانبه سيفاً اما انا فقد ربطت من وسطي . بحبـل كان يسحبـه احدهم وبذلك كنت امشي معهم مثل الدب الراقص.

وبعـد ان وصلنـا الى الشـاطىء حيث ارسي القاربان انقسمنــا الى مجمـوعتين استقلت كل مجمـوعـة قاربـا واجتـازت به المـرسى . وكـان (سلفر) ينظر الى الخريطة بتمعن حيث بامكـانـه فقـط تحديد اية شجرة عالية» كان الـربـان (فلنت) قد وضـع اشـارة عليهـا ، وقد تمكن من

القيام بذلك بواسطة البوصلة.
وقد اختار كل فرد من القرصان شجرة مفضلة من الاشجار التي تناثرت امامنا فوق تل المنظار على انها هي «الشجرة العالية» المقصودة. اما (سلفر) فقد آثر الانتظار الى حين وصوله الى مسافة قريبة منها.
نزلنا عند مصب النهر الثاني الذي كان ينحدر من اعلى غابة (تل المنظار) ثم تسلقنا المنحدر باتجاه الهضبة، وكنا نسير عبر ارض مستنقعية سرعان ماتجاوزناها لنسير فوق ارض صخرية، صلبة بعد ان بدأ التل يصبح شديد الانحدار. وقد لاحظت انتشار الغياض والآجام ـ التي ضمت العديد من الشجيرات ذات السيقان المتعددة والاوراد الكثيرة ـ بين اشجار جوز الطيب. وكان الهواء منعشا وعليلا.
انتشر القراصنة هنا وهناك سالكين مختلف الاتجاهات بينما اخذ (سلفر) يسير ببطء وتثاقل فوق الحصى والرمل الخشن، الشديدي الانزلاق الامر الذي وجدت نفسي من خلاله مضطرا لمساعدته من حين الى آخر. وكنا على وشك الوصول الى اعلى الهضبة عندما اطلق احدهم صرخة رعب مدوية هرع اليه على اثرها بقية الرجال. وقد قمت انا و(سلفر) باقتفاء اثرهم.

عنـدمـا وصلنـا الى البقعـة المقصـودة وجدنا الرجال مجتمعين حول الجـزء السفلي من شجرة صنوبر ضخمة انتشـرت حولـه نبـاتـات متسلقـة . وهنـاك وجدنا هيكلا عظميـاً ، بشـريـاً مستلقيـا على ظهـره فوق الارض وقـد التصقت ببعض اضـلاعـه قطع متهرية من قماش بحري وتنـاثـرت حوله بقايا معطف ازرق تراكمت عليها الاتربة والاوساخ واوراق الشجر.

وقف الجميـع ينظـرون الى هذا الهيكل العظمي وقد اصاب الرعب قلوبهم فاصفرت وجوههم هلعا.

«انـه بحـار وهـذا أمـر لاشـك فيه» قال (سلڤر) وهويطيل النظـر في الهيكـل المسجى امـامـه ، «فهـولا يمكن ان يكــون اسقفـا ولكن ثمـة امـر غريب فاني لا اجـد هذه العظام ترقد على نحوطبيعي ابدا.

كان هيكـل الـرجـل يرقـد باستقـامه تامة حيث كانت قدماه تشيران الى اتجاه بينما راحت يداه المرفوعتان فوق رأسـه ـ مثلمـا يرفـع من يريد الغطس الى الماء يديه الى الاعلى ـ تشيـران الى الاتجاه المعاكس تماما: كانتا في الـواقـع تمتـدان باتجـاه (جـزيـرة الجمجمة) . وهنا قام

(سلڤـر) باستخـدام بوصلتـه لتحـديـد الاتجـاه. ولكنـه سرعان ما انتفض منتصبا، كمن راودته فكرة، وقال:
«الأمر واضح الآن: اذ لم يتم وضع الجثة هذه على هذا النحـو الا لتكـون مؤشـرا. . بحق السمـاء! انـه أحـد اساليب (فلنت) لا ريب! فلقد قام بقتل ستة من الرجال الذين رافقوه، واستخدم جثثهم لتكون دلالات.

ان الهيكل هذا، بعظامه الطويلة هو في الواقع هيكل رجـل طويـل القـامـة جدا وبـذلك لابد ان يكون هيكل (آليردايس)! هل تذكره يا(توم مورجان)؟»

«أجل»، اجاب (توم)، «وكيف لي ان انساه:

كان مديناً لي ببعض المـال. كمـا انـه استعـار مني مديتي قبـل نزولـه مع الخمسة الآخرين بصحبة (فلنت) الى هذه الجزيرة اللعينة.»

وفي اثنـاء ذلـك مدّ (جـورج ميري) يده بين طيات ما تبقى من ستـرة هذا البحـار البـائس وراح يفتش تحت عظـامـه، ومـا ان انتهى من ذلـك حتى صاح قائلا: «لم اجـد شيئـا هنـا ـ حتى ولا بنساً حقيراً. مهما يكن من امر (فلنت) واجرامه فهو لم يسرق بحارا ابدا. هناك ثمة امر غريب!»

«بحق السمـاء!» قال (سلفـر) «لـو كان (فلنت) على قيد الحياة لاصبح المكان هذا مقبرة لنا. لاننا ستة رجال وقد قام بقتل ستة رجال!»

«شـاهـدتـه ميتاً بام عيني»، قال (مورجان) «ادخلني (بلي بونـز) الى غرفتـه فرأيته مستلقيا على الفراش. كان جثة هامدة وقد وضعت قطعة نقود من فئة (پني) على كل عين من عينيه الاثنين! مات ميتة بائسة: مات وهويصرخ طالبـا جرعـة من (الـرم). ولم يردد غيـر اغنيـة واحـدة ـ خمسة عشر رجلاً... اني اكره سماعها الى هذا اليوم».

«كفاك هراء»، قال (سلڤر)» انه ميت والاموات لا يمشون ولا يرددون الاغاني.»

وانطلقنـا نسيـر مرة اخـرى، ولكن القـراصنـة اخـذوا يسيـرون بعضهم قرب البعض الآخـر ـ ولم ينتشـروا كما فعلوا في بادىء الامـر ـ واخـذوا يتكلمـون باصـوات مكبـوتـة، لقـد ملأ القـرصـان الميت قلوبهم رعبـاً. ثم واصلنـا تسلق الهضبـة حتى وصلنـا القمـة التي جلسنـا عندها للراحة.

كانت الهضبـة تميـل الى الغـرب وتطـل على منطقة

(رأس الغـابـات) حيث كانت الامـواج ترتطم بصخـور الشـاطىء وهي تطلق هديـرا عاليا. اما من الخلف فكان باستطـاعتنـا ان لا نرى مرسى (جزيرة الجمجمة) حسب بل المنخفضات الشرقية كذلك. وباستثناء صوت تكسر الامواج على الصخور ـ الذي كان يأتينا من بعيد ـ وطنين آلاف الحشـرات فقـد كان الصمت والسكـون يخيمـان على كل شيء.

انهمك (سلفر) بتحديد الاتجاهات بواسطة بوصلته. وبعد ان انتهى من ذلك قال:

«هنـاك ثلاث شجـرات عاليـات على امتـداد (جزيرة الجمجمة) وكتف (تل المنظار)، وهكذا فان العثور على موقـع الكنـز قد أصبـح امرا سهلا للغاية، ولذلك افضل الجلوس لتنـاول شيء من الطعـام قبـل الانطـلاق الى استخراجه من حيث قد دفن»

«لـقـد ارعبني مجـرد قيـامي باستـذكـار (فلنت) واعماله»، قال (توم مورجان). «لنحمد الله على موته».

«اجل! احمد الله على ذلك!» قال (سلفر).

«كان شيطانا مرعبا، قال احد القراصنة،

«وكان وجهه يميل الى الزرقة!»

«انــه بسبب الاكثــار من شرب (الـرم) الـذي دفعـه الى الموت في النهاية»، قال (جورج ميري).

صاروا يتكلمـــون بأصـوات واطئـة جدا وبـذلـك لم يتسببوا في تعكير ذلك الهدوء الذي خيم على الغابات.

وفجأة انطلق من بين هذه الغابات صوت رفيع، عالٍ يغني:

خمسة عشر رجلاً
فوق صندوق الرجل الميت
يو هو هو
وزجاجة رم

تأثر القراصنة بهذا الصوت تأثيرا واضحاً فقد اصفرت وجـوههم وظهـر الـرعب عليهـا وقـد تراجع بعضهم الى الـوراء فزعـا ودهشـا بينمـا امسـك الآخـرون ببعضهم. وسقـط (تـوم مورجـان) على ركبتيه، بينما صاح (جورج ميري) قائلا: «انه (فلنت)!

ثم توقف الغناء فجأة. وراح القراصنة ينظرون حولهم وقـد تملكهم الـرعب. حتى (سلفـر) نفسـه كان خائفا ـ

حيث علت وجهه صفرة غير اعتيادية، ولكنه سرعان ماتمالك نفسه وصاح :

«هيا! لا يجدر بنا التصرف على هذا النحو. تهيأوا لمواصلة السير. لابد ان ثمة شخصا ما يحاول العبث بنا وبغض النظر عن شخصيته فهو انسان حي يرزق، لم يبعث من بين الاموات، وهذا امر لا ريب فيه ابدا.»

ومرة اخرى انطلق هذا الصوت المجهول الذي اخذت الصخور المحيطة بنا تردد صداه وهو يقول :

«تعال يا(داربي ماجرو)! اجلب لنا شيئا من (الرم). هيا يا (داربي) اسرع!»

«كفانا ما سمعناه!» قال احد القراصنة برعب واضح. لنعد من حيث أتينا.»

«كانت هذه آخر عبارات (فلنت) قبل موته»، قال (توم مورجان) بنبرة انين.

اخرج (دك) انجيله وطفق يصلي بحرارة وخشوع. واصطكت اسنان (سلڤر) رعبا، بيد انه لم يفقد اتزانه. وبعد لحظة صاح قائلا :

«ايها الرفاق، لم يعرف احد شيئا عن (داربي ماجرو) سوانا نحن. واني عازم على ايجاد الكنز هذا حتى لو

اضطـــررت الى مجــابهـــة شيـاطين الارض كلهم. لم يخفني (فلنت) عنـدمـا كان حيـاً واني على استعداد تام لمـواجهتـه ميتـاً. فعلى هذه الهضبة هناك كنز تبلغ قيمته بحـــدود سبعمــائـة الف پاون ولـذلـك فاني لست على استعداد لتركه والهرب بسبب شخص متوفٍ، ازرق الوجه».

«كفاك يا(جون)»، صاح (جورج ميري)، «لا تغضب روحاً!»

«لا تتــكـلـم الارواح باصــوات لهــا صدى!»، قال (سلڤــر)». لم يكن الصـوت هذا صوت (فلنت) ابـدا. بحق السماء! عرفته الآن! انه (بين جن)!»

«صوت (بين جن)؟» سأل (مورجان) وقد علت وجهه ابتسامة». لا احد يابه بامر (بين جن) حياً كان ام ميتا».

وسـرعـان ماعـادت شجـاعتهم اليهم، ولمـا انقطـع الصـوت فانهم حملوا اسلحتهم ومعـاولهم وساروا خلف (جورج ميري) الذي حمل البوصلة بيده. اما (دك) فقد استمـر حامـلاً انجيله بيـده وقد ازداد وجهه صفرة من اثر الحمى والخوف.

ومشينــا بسهولة تامة بين اشجار جوز الطيب والازلية، وعبر مساحات واسعة حمصتها الشمس بحرارتها القوية.

وقد تمكنت من رؤية الخليج الغربي الذي كنت قد جبت ارجـاءه بقـارب (بين جن). وسرعان ما تجاوزنا شجرتين من الشجـرات الثـلاث العاليات ووصلنا الى الثالثة التي كانت عمـلاقـة بشمـوخهـا الى الاعلى. فهي شديـدة الارتفـاع بحيث يمكنهـا ان تكـون معلمـا للسفن يمكن تثبيتـه على الخـرائط. وقد انسى الكنز القراصنة خوفهم فاخـذت عيـونهم تزداد لمعـانـاً وهم يسرعون في سيرهم وكل منهم يحلم بما سيتحقق له من رفاه وغنى حتى آخر ايام العمر.

وكان منخارا (سلڤر) يرتجفان وهويعرج ويلعن ويطرد الـذبـاب عن وجهـه الـذي كان يتصبب عرقاً ويشد على الحبـل الـذي ربطني به. كانت في عينيه نظرة قاتلة بعد ان اصبـح قريبـاً من الذهب ـ اما الوعد الذي قطعه على نفسه امامي وامام الدكتور (لايڤزي) فلم يعنِ شيئا ابدا. وكـان (دك) يسير خلفنا وهويتمتم بصلواته ولَعناته بازدياد الحمى التي كانت قد اصـابتـه. وقـد تعثـرت في اثنـاء سيري وكدت اسقط ولكن (سلڤر) سارع الى شد الحبل في الوقت المناسب فاعتدلت في سيري.

واصبحنا قريبين من الاجمة.

«هيا ايها الرفاق! صاح (جورج ميري).

فانطلقـوا يركضـون. ولم يتمكنـوا من قطع اكثر من عشر ياردات عندما توقفوا على نحو فجائي ثم انطلقت صرخة مكبوتة. وبعد لحظة وصلنا انا (وسلفر).

كانت امـامنـا حفـرة عميقـة تهاوت أجزاء من جوانبها بينما نمت بعض الاعشاب في اسفلها الذي تناثرت فوقه اجـزاء من صنـاديق خشبيـة مهشمـة رسمت عليها عبارة (والـــروس)، اي اسم سفينـــة الـــربـــان (فلنت). امـا السبعمائة الف پاون فقد اختفت.

لم يفقد (سلفر) اتزانه ولكنه قام بتغيير خططه قبل ان يتمكن ايّ من البقية من التعبير عن الصدمة التي اصيب بها.

«جيم»! همس قائـلا، » امسـك بهذا المسدس وكن مستعـدا لمـواجهـة المشـاكـل.» قال ذلـك وهو يناولني مسدساً ذا سبطانتين.

ثم اخذنا نتحرك باتجاهٍ جانبي حول الحفرة حتى اصبحنا نواجـه القـراصنـة الخمسـة. وكـانت نظرات (سلفر) قد اصبحت وديـــة جداً، وازاء هذا التبـدل لم يسعني سوى التعبيـر عمـا كان يجول بخاطري فقلت له: «لقد غيرت ولاءك مرة اخرى إذن!»

لم يجـد (سلفـر) متسعا من الوقت للتعليق على هذه

الملاحظة. فقد قفز القراصنة الى الحفرة وبدأوا يحفرون باصابعهم وهم يلقون بقطع الخشب هنا وهناك ويطلقون اللعنات والشتائم وفجأة عثر مورجان على قطعة ذهبية فرفعها بيده لكي يراها الجميع : كانت قطعة من فئة جنيهين.

«جنيهان فقط!» صاح (جورج ميري). «هل هذا هو الكنز الذي وعدتنا به يا(جون)؟»

لم يعره (جون سلفر) اي اهتمام، بل قال يخاطب البقية بصفاقة واضحة : «واصلوا الحفر ايها الرفاق فلابد انكم ستجدون بعض الجوز او البندق بلاشك!»

«جوز او بندق؟» صاح (جورج ميري) بغضب.

«هل سمعتم ايها الرفاق؟ فاعلموا إذن ان (سلفر) هذا كان طوال الوقت على علم بهذه النتيجة. لا عليكم سوى النظر اليه لتروا الحقيقة هذه مرسومة على وجهه.»

«مرة اخرى تحاول ترشيح نفسك لتتبوأ منصب القيادة يا (جورج)! قال (سلفر) بلهجة تهكم. «انك بحق رجل مثابر لا يجد اليأس اليه منفذاً!»

ولكن في هذه المرة ايد الجميع (جورج ميري) ووقفوا الى جانبه. وسرعان ما خرجوا من الحفرة ليقفوا في الجهة المقابلة لنا.

لم يتحرك (سلڤر) من مكانه خطوة واحدة. كان يراقبهم ببرود اعصاب وهدوء تامين. كان شجاعا، ثابت الجنان وهو امر لا ريب فيه ابدا.

قال (جورج ميري) يحث جماعته: «انهما اثنان فقط ضدنا نحن الخمسة: كسيح عاجز وصبي غرّ اردت القضاء عليه قبل الان ولكنني منعت من قبل هذا الخائن. وقد حانت لي الفرصة الآن. هيا ايها الرفاق...»

ورفع يده استعدادا لقيادة الهجوم.

قرقعة! قرقعة! قرقعة!

انطلقت ثلاث بنادق من الاجمة موجهة نيرانها على نحو مفاجىء الى اجسام القراصنة: سقط (ميري) الى الحفرة، واستدار الرجل ذو العصابة دورة لولبية وسقط على جنبه ليموت بعد اختلاجة قصيرة. اما الثلاثة الباقون فقد استداروا على اعقابهم وانطلقوا هاربين.

وماهي الاغمضة عين حتى افرغ (جون سلڤر) رصاص مسدسية في جسد (جورج ميري) الذي استلقى يعاني سكرة الموت. «جورج»، قال (سلڤر)، «اظنني قد نلت منك مقتلا!»

وفي تلك اللحظة وصل الينا الدكتور (لا يڤزي) و(بين

جن) و(ابـراهـام جراي) بعـد ان خرجـوا من بين اشجار جوز الطيب وهم يمسكون ببنادقهم التي انبعث منها الدخان.

«الى الامام»!، صاح الطبيب. «اسرعوا! لابد لنا ان نمنـع وصـولهم الى القـاربين.» اثـر سماعنا هذا الايعاز سارعنا بالتقدم الى الامام. وكان (سلفر) يجاهد بكل ما اوتي به من عزم وقـوة لكي يواكبنـا ويكـون معنا. وعندما وصلنا الى اعلى المرتفع نادي قائلا:
«انظر ياحضرة الطبيب! ارأيت؟
لا داعي بنا الى الاسراع.»

كان المتمـردون الثـلاثـة يركضون بسرعة باتجاه (تل ميزنماست) فكنا بذلك نقف بينهم وبين موقع القاربين. وقـد جلسنـا نحن الاربعـة لنـرتاح قليلا بينما كان (جون سلفـر) يعـرج محـاولا اللحـاق بنـا، وهـو يمسح العرق المتصبب على وجهه وعندما وصل قال يخاطب الطبيب:

اني اشكـرك من كل قلبي. لقـد وصلت في الـوقت المناسب لتنقذ حياتي وحياة (هوكنز)».
ثم الـتفـت الـى (بين جن) وقـال له: «هــذا انت اذن يا(بين)! يالها من مفاجئة!»

تلوى (بين جن) كثعبان الماء خجلاً.

واصل (سلفُر) كلامه قائلا: «اجل (بين جن)! انت الذي افشلت خططي ودحرتني. يالسخرية القدر!»

وقد اخبرنا الدكتور (لايفزي)، في اثناء سيرنا الى مكان القاربين، تفاصيل ماقد حدث فاتضح ان (بين جن) كان هو بطل القصة من البداية حتى النهاية.

فهو الذي قد عثر على الهيكل العظمي عندما كان يجوب ارجاء الجزيرة بمفرده، وقد عثر بعد ذلك على الكنز الذي ـ بعد ان اخرجه من تحت الارض ـ نقله الى الكهف الذي كان قد اتخذه مأوى له. وقد بقي الكنز في كهف (بين جن) مدة شهرين من الزمن وذلك قبل وصولنا الى الجزيرة على ظهر الباخرة (هسپانيولا).

وعندما ادرك الطبيب عدم جدوى خريطة الكنز فانه قام باعطائها الى (سلڤر) من اجل ان يتمكن رفاقي من الانتقال بأمان وسلام الى كهف (بين جن) حيث كان هذا المنبوذ قد خزن كميات كثيرة من لحم الماعز، الذي كان قد ملَّحه هو بنفسه، وحيث يمكنهم حراسة الكنز والابتعاد عن الحمى.

وبعد ان اكتشف اني كنت قد وقعت بيد القراصنة،

وادرك اني سأكـون بصحبتهم عنـدمـا يكتشفون ان موقع الكنـز خالٍ فانـه قام باجتيـاز الجـزيـرة بصحبـة (ابراهم جراي) و(بين جن)، لينصب كمينـاً للقـراصنـة. وكـان (بين جن) قد سبق رفيقيـه بهـدف ارعـاب القـراصنـة وتأخيرهم لكي يتمكن (لايفزي) و(جراي) من استكمال الاستعدادات اللازمة.

«هكـذا إذن!» صاح (جـون سلفر). «لقد شاء حسن الطـالـع ان يكـون (جيم) برفقتي وإلا لكنتم قد قطعتم صديقكم (جون) اربا من دون اعارة الامر اية اهمية ابدا.»

«اجـل!» قال الـدكتـور (لايفزي) بلهجة لم تخل من مرح واضح. ومن دون اعادة الامر اية اهمية ابدا.»

وعنـدمـا وصلنـا الى مرسى القـاربين، قام الطبيب بتـدميـر احـدهما بفأسه ثم استقللنا الآخر وقطعنا مسافة الاميـال التسعـة الى حيث كانت الـ«هسپـانيـولا» مرميـة على الشـاطىء. وبعـد ان تركنـاهـا بحـراسـة (ابـراهام جراي) عدنـا الى القـارب مرة اخرى وتوجهنا الى منطقة (خليـج رم) حيث نزلنـا الى البـر وسـرنـا الى كهف (بين جن) حيث استقبلنـا السيـد (تـريلوني) الـذي ما ان رأى (جون سلفر) حتى قال له مؤنبا:

انك وغد ومحتال، يا(جون سلفر) وبرقبتك دم الكثير من الموتى الذين راحوا ضحية اجرامك وغدرك».

ودخلنا جميعا الى الكهف حيث كان الربان (سموليت) يرقد قرب النار وقد تناثرت في ارجاء الكهف اكوام من قطع النقود واكداس من القضبان الذهبية: اجل كان هذا كنز القرصان (فلنت) الذي اتينا من اجله قاطعين هذه المسافة العظيمة والذي كلفنا حياة سبعة عشر رجلا من الرجال الذين بدأوا الرحلة معنا على ظهر السفينة (هسيانيولا). اما عدد الرجال، ولربما النساء ايضا، الذين ذهبوا ضحية هذا الكنز - بشكل أوبآخر - منذ اول عهده فسيبقى امرا خاضعا للحدس والتخمين.

ثم جلسنا لنتناول عشاء قوامه لحم الماعز وشربنا نبيذا معتقا من الذي حملته الـ(هسيانيولا). وكان (جون سلفر) يشاركنا العشاء وهويجلس في الظل. لقد عاد كما كان في بادىء الأمر.

ذلك البحار الدمث، اللطيف المعشر، الكيّس الذي عرفناه عندما بدأنا رحلتنا الى جزيرة الكنز.

الفصل الخامس عشر

خاتمة المطاف



كانت مهمة نقل الذهب وتحميله على ظهر السفينة (هسپانيولا) شاقة ومضنية للغاية لا سيما بالنسبة لمجموعتنا الصغيرة. فقد انهمكت ساعة تلو اخرى في تعبئة القطع النقدية في اكياس الخبز. وقد جاءت القطع

النقدية هذه من شتى انحاء العالم وحملت صور مختلف الملوك والامراء كما ضمت عددا من النقود الشرقية ذات الاشكال الغريبة الجميلة.

وكنا نعمل يوما بعد يوم في تحميل هذه الثروة العظيمة على ظهر السفينة. وفي اثناء ذلك لم نسمع اي خبر عن المتمردين الثلاثة الذين كانوا قد فروا والتجأوا الى مكان ما في الجزيرة.

وعلى الرغم من اعطاء (سلفُر) حريته التامة إلا ان علاقتنا به لم تكن ودية تماما. وقد قام من جانبه بتحمل ذلك البرود، وعدم الاكتراث، اللذين اتسمت بهما علاقتنا به، بشكل جيد. اما (بين جن) فقد بقي يخاف هذا الرجل الرهيب ويخشى بأسه. وقبل قيامنا بالابحار من الجزيرة، عقدنا مجلسا قررنا من خلاله ترك المتمردين في الجزيرة. ولهذا الغرض فاننا تركنا لهم كمية كبيرة من البارود والعتاد كما تركنا القسم الاكبر من لحم الماعز المملح وبعض العدد اليدوية والادوية الطبية. بالاضافة الى كل ذلك فقد تركنا لهم ايضا شراعا احتياطياً وحبلاً بلغ طوله ما يقرب من ميلين بحريين وكمية من التبغ.

وفي يوم مشرق، جميل، ابحرنا تحت نفس الراية

التي قاتلنا في ظلها ونحن في الحصن . وفي اثناء مرورنا بالمضائق شاهدنا القرصان الثلاثة يقفون على قطعة ارض رملية . وعندما مررنا من امامهم نادوا علينا وهم يتوسلون ويتضرعون كي لا نتركهم على هذه الجزيرة الموحشة ، القاتلة ولكنهم عندما ادركوا ان السفينة لن تتوقف تناول احدهم بندقية واطلق منها رصاصة باتجاه السفينة . وقد اصابت الشراع الذي كان مباشرة فوق رأس (سلفر) ولكننا سرعان ما خفضنا رؤوسنا ولبثنا كذلك فترة من الزمن حتى اصبح مفعول اطلاقات المتمردين مجرد نقاط دخان في الافق .

اتجهنا الى اقرب ميناء في امريكا الاسپانية(*) من اجل استخدام طاقم سفينة جديد . وعندما وصلنا الى الميناء كان التعب والارهاق قد اخذا منا مأخذا عظيما وقد وجدنا في منظر عدد كبير من الزنوج والهنود (الحمر) -

---

* كانت العبارة هذه في باديء الامر تشمل جميع المناطق التي تقع تحت النفوذ الاسباني (لاسيما في الوقت الذي كانت تدور فيه احداث هذه القصة - اي منتصف القرن الثامن عشر) . اما لاحقا فان العبارة هذه تشمل جميع الدول الامريكية التي تقع جنوب الولايات المتحدة والتي لغتها الرسمية هي الاسبانية . وهذه الدول هي : المكسيك وامريكا الوسطى (باستثناء هوندوراس البريطانية) وكل جنوب امريكا (باستثناء البرازيل وغويانا) ومعظم جزر الهند الغربية - المترجم

الـذين استقبلونـا بوجـوه باسمـة وهم يبيعـون الفـواكـه والخضـر ـ تغيـرا رائعـا بالنسبـة لنا . فقد وجدنا ان هناك تفـاوتـا كبيـرا بين هذا العـالم وجـو المغامرات الدامية، الـرهيب الـذي عشنـاه على تلكم الجـزيرة . وكم كانت بهجتنـا عظيمـة عندما دعانا قائد سفينة حربية بريطانية ـ كانت ترسـو في ذلـك المينـاء ـ لتناول طعام العشاء على ظهـر بارجتـه . وقـد جرنـا تجاذب اطراف الحديث حتى فجر اليوم التالي .

وعنـدمـا وصلنا الى سفينتنا، وصعدنا الى ظهرها، كانت الشمس قد بدأت بالشروق .

كان (بيـن جن) يقف على ظهـر الـ(هسپـانيـولا) بمفرده . وما ان وصلنا حتى بدأ باعتراف ادهشنا جميعا ـ لانــه قد ساعـد (سلڤـر) على الهـروب في احـد قوارب السفينـة بحجـة ان بقـاء ذلـك البحـار الرهيب على ظهر سفينتنا يشكل خطرا عظيما على حياة كل فرد منا . ولكن الطبـاخ البحـري، الجهنمي هذا لم يغـادرنـا خالي الـوفـاض : فقد تمكن من اقتحام احدى الحجرات التي خزنت فيهـا المبـالـغ المـاليـة واخـذ منهـا مايقـرب من اربعمائة جنيه لتغطية نفقات رحلته .

وبوجه عام كان الجميع مرتاحين لرحيله، على ما

اظن .

واقتسمنا الكنز، فكان لكل منا نصيب وافر منه ـ فقد تقاعد الربان (سموليث) من العمل البحري . وقد قام (جراي) بتوفير حصته الى الوقت الذي التقى فيه بشريكة حياته التي بعد ان تزوجها عمد الى شراء سفينة مناصفة مع شريك له . وبعد ان حصل (بين جن) على الالف باون التي كان قد طلبها فانه بذرها حتى آخر بنس منها في غضون تسعة عشر يوما ، اذ انه في اليوم العشرين كان يتسول في الطرقات . وهو يسكن الان في قريتنا حيث يحبه اولاد القرية وشبابها كثيرا . كما انه عضو مهم في جوقة الترتيل التابعة لكنيسة القرية ذاتها .

ولم نسمع اي خبر عن (سلفر) منذ ان فارقنا فلعله قد التقى زوجته الزنجية ولربما هو الآن يعيش معها ومع ببغائه حياة هادئة ، مترفة .

انا انا فلن اعود ابدا الى تلك الجزيرة اللعينة ، وان اسوأ تراودني من احلام هي تلك التي اسمع من خلالها هدير الامواج وهي ترتطم بصخور الجزيرة وصوت الببغاء (فلنت) وهي تصرخ : «ثمانيات! ثمانيات!»

ملحق

للتعابير والمصطلحات البحرية الواردة في الرواية

الجزء الخلفي من ظهر السفينة	After deck
مرساة . ارسى . اوقف السفينة	Anchor
ارساء. الارساء . رسوم الارساء . مرسى . مرفأ	Anchorage
حبل يرتبط باعلى الصاري ويهبط الى جانب/ مؤخرة السفينة	Bckstay
يدفع ، يسحب السفينة الى الشاطئ	Beach
مقدمة السفينة .	Bow
المجذاف الامامي الاقرب الى مقدمة السفينة	Bow oar
الدَّفل المائل – دعامة/عمود ينبثق من مقدمة السفينة	Bow Spirit
جانب السفينة (البارز فوق الماء) . المدافع المنصوبة على الجانب هذا	Broad side
قرصات	Buccaneer
ربان. قائد السفينة	Captain
يوجه سير السفينة . يرشد . يقوم بدور المرشد	Cone
قارب / زورق صغير يكسى هيكله الخشبي بالجلد	Corackle

البحار الذي يقوم بتوجيه الدفة وافراد الطاقم الذين هم بدرجة ادنى من معاون الربان	Coxswain ...
منصة الصاري	Crosstree
سفينة شراعية ضخمة ذات مجاذيف . مطبخ السفينة	Galley
قارب صغير يخصص اعتيادياً للربان . قارب سريع الحركة	Gig
حبل المرساة	Hawser
انحراف السفينة مع الريح	Having leeway
الشخص الذي يقوم بادارة الدفة فعلاً ويكون مسؤولا تجاه الـ (coxswain)	Helmsman
خارج الماء تماماً . على اليابسة / البر	High and dry
اعلى نقطة يصلها الماء (بالنسبة للسفينة)	High water mark
بدن السفينة ، غطاؤها ، قشرتها	Hull
هيكل سفينة بالٍ . سفينة غير صالحة للعمل	Hullk
قارب يلحق بالسفينة ويوضع في الماء لاداء مهام عاجلة ويسيرة	Jolly boat
راية القراصنة (جمجمة بشرية تعلو عظمين متقاطعين)	Joll Roger
رافدة القص – عارضة رئيسية / قطعة فولاذية تمتد على طول السفينة	Keel

Keel havling	ضرب من ضروب العقاب ويعني جر الاشخاص تحت رائدة القص (راجع الفصل السادس من الرواية)
Larboard	الاتجاه قليلاً الى اليسار
Laying the ship to	وضع السفينة او ارساؤها خارج المرفأ / المرسى
Feeward	باتجاه الريح
Leeway	انحراف السفينة مع الريح
Lubber	ساذج . احمق . غبي . شخص يسيء التصرف
Mainsheet	حبل الشراع الرئيس
Mainsail	الشراع الرئيس
Maroon	ترك . . نبذ . هجر . (القاء شخص على ساحل جزيرة
Mate	ضابط على ظهر السفينة
Merchant Navy	البحرية التجارية
Mizzen	الشراع المنصوب على الصاري الاقرب الى مؤخرة السفينة
Mizzen mast	الصاري الاقرب الى مؤخرة السفينة .
Pirate	قرصان . من يقوم باعمال القرصنة
Port	ميناء . فتحة في جانب السفينة لدخول النور والهواء . ميسرة السفينة
Rudder	الدفة

Rvnaground — جنوح السفينة وارتطامها باليابسة . جنح . ارتطم بالارض

Seaman — بحار . احد افراد طاقم السفينة .

Schooner — (السكونة) – سفينة شراعية ذات صاريين كبيرين او اكثر

Shroud

Spanishmain — البحر الكاريبي

Spanish America — امريكا الاسبانية امريكا اللاتينية (عدا البرازيل وغويانا ومعظم جزر الهند الغربية

Spar — السارية. الصاري

Spyglass — المنظار . الناظور

Starboard — ميمنة السفينة

steevsman — الشخص الذي يقوم بادارة الدفة (انظر Helmsman)

Stern — مؤخرة السفينة .

Strand — شاطئ. الجنوح الى الشاطئ. يدفع السفينة الى الشاطئ . ترك الشخص مهجوراً على الشاطئ

Surf — الامواج التي تتكسر على الشاطئ

Swell — يرتفع. يعلو . الموجة العالية . الامواج العالية

Tiller — ذراع دفة السفينة

Tuvch — التوقف في الموانئ اثناء رحلة مجرية .

Wade — يخوض في الماء . يجتاز (مجالاً مائياً) خوضاً .

Wake الاثر الذي تخلفه السفينة اثناء سيرها في الماء

Warp حبل تسحب به السفينة (يكون الحبل هذا مشدوداً الى المرساة) . يجر (السفينة) بحبل مشدود الى المرساة . ينحرف عن السبيل .

سلسلة الكتاب العلمي

صدر منها:

المكتشفون الاوائل
الديناصورات العجيبة
الغاز مسلية
الكهرباء
الليزر
الاسعافات الاولية
الطاقة وانواعها
الانهار سرّ الحياة
مركبات الفضاء

سلسلة نصوص عالمية

صدر منها:

١ - جاك وحبة الفاصوليا
٢ - مغامرات لاثاريلبيو دي تورمس
٣ - الجزيرة الصغيرة وحكايات اخرىٰ
٤ - من خرافات ايسوب
٥ - الوريث الشرعي
٦ - الارنب و القط الوحشي
٧ - اساطير من الكاريبي
٨ - منهاوزن
٩ - اميرة ضوء القمر
١٠ - الرجل الحديدي
١١ - كيف صار الحوت

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٥٣٥) لسنة ١٩٨٨

دار الحرية للطباعة

السعر ٦٥٠ فلس

دار الحرية للطباعة